



الجمهورية التركية
جامعة يالوفا
معهد الدراسات العليا

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

الجوانب التربوية والسلوكية للوقف والابتداء في القرآن الكريم

رسالة الماجستير

زينب صاي

المشرف: أ.د. مصطفى أتيل أقديمير

يالوفا
أيار- ٢٠٢٤



الجمهورية التركية
جامعة يالوفا
معهد الدراسات العليا

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

الجوانب التربوية والسلوكية للوقف والابتداء في القرآن الكريم

رسالة الماجستير

زينب صاي
218122031

المشرف: أ.د. مصطفى أتيل أقدмир

يالوفا
أيار- ٢٠٢٤

التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية:

أتعهد وأصرح بأنني قد جهزت رسالتي هذه بعنوان: "الجوانب التربوية والسلوكية للوقف في القرآن الكريم" (دراسة استقرائية تحليلية) وفقاً لقواعد كتابة الرسالة الخاصة بمعهد الدراسات العليا في جامعة يالوفا، وأنني قد حصلت على البيانات والمعلومات والوثائق الموجودة فيها في إطار القواعد الأكاديمية والأخلاقية، وقد قدمت جميع المعلومات والوثائق والتقييمات والنتائج وفقاً للقواعد العلمية والأخلاقيات التي أشرت إليها، وعزوت كل ما نقلته فيها إلى مصادره ومراجعته المستفاد منها خلال دراسة الرسالة، دون القيام بإجراء أي تغيير في البيانات المنقولة، وأصرح بأن العمل الذي قدمته في هذه الرسالة أصلي، وأتحمل كامل المسؤولية القانونية التي قد تنشأ في حالة ثبوت عكس ما صرحت به

التوقيع

زينب صاي

ETİK BEYAN

Yalova Üniversitesi Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Tez/Proje Yazım Kuralları'na uygun olarak hazırladığım "KUR'AN-I KERİM'DE VAKIF ve İBTİDA'NIN EĞİTİMSEL ve DAVRANIŞSAL YÖNLERİ" başlıklı bu tez çalışmada; tez içinde sunduğum verileri, bilgileri ve dokümanları akademik ve etik kurallar çerçevesinde elde ettiğimi, tüm bilgi, belge, değerlendirme ve sonuçları bilimsel etik ve ahlak kurallarına uygun olarak sunduğumu, tez çalışmada yararlandığım eserlerin tümüne uygun atıfta bulunarak kaynak gösterdiğimi, kullanılan verilerde herhangi bir değişiklik yapmadığımı, bu tezde sunduğum çalışmanın özgün olduğunu bildirir, aksinin tespiti halinde doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi taahhüt ve beyan ederim.

İmza

Zeynep SAY

الشكر والتقدير:

انطلاقاً من كون القرآن الكريم هو الدستور الأول لحياة الفرد، فهو الكتاب المنزل من الله عز وجل المبين لطبيعة الحياة وقوانينها، شاملاً كل جوانبها الدنيوية والدينية، داخلاً من كل تفاصيلها منذ نشأتها وحتى بعثها وخلودها في الدار الآخرة، فإن مما لا بد منه الوقوف على كل آية وما تنطوي عليه من حكم وعبرة ورسائل موجّهة من الله للإنسان، وفي هذا البحث (الجوانب التربوية والسلوكية للوقف والابتداء في القرآن الكريم) كان الهدف إلقاء الضوء على علم الوقف والابتداء في قراءات القرآن الكريم من منظور التربية الإسلامية في القرآن ونماذج لها من السنة المطهرة.

وقد تكوّن البحث من ثلاث أقسام رئيسية أولاً التربية والسلوك وتطوّرت فيه لتعريفها وتناول شرحاً لكل جوانبها من خصائص ومبادئ وقيم وأساليب مدعمة ذلك بنماذج لها من القرآن والسنة، وثانياً الوقف والابتداء فذكرت تعريفه وأهميته في فهم القرآن وعند الأئمة والفرق بينه وبين غيره وأنواعه وأهم المذاهب فيه، وثالثاً ذكرت نماذج من القرآن الكريم لخمس وعشرين آية مبينة الجوانب التربوية والسلوك للوقف والابتداء فيها.

وفي هذا الصدد أود تقديم أسمى آيات الشكر والامتنان لعائلتي التي دعمتني وما زالت تدعمني في مسيرتي التعليمية، والتي كانت المشجع الدائم لي والذي يحثني على المزيد من طلب العلم والسعي من أجله.

وأود أن أدعو الله بالحفظ والصون لولدي الغاليين أحمد وألف عسى أن يكون هذا العمل سبيلاً لأن يسامحاً تقصيري وانشغالي في البحث والعلم عن التفرغ لهما بعض الأحيان، فإن بدر مني تقصير فأرجو منهما المسامحة، راجية الله عز وجل أن يصلا إلى أحسن وأعلى الدرجات بدورهما في تحصيل العلم، وأن يكونا من الداعين في سبيل الله الساعين لرفع رايته ونصرة دينه.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لمشرفي البرفسور الدكتور مصطفى أتيلاً أقدمير، ولكل توصياته وتوجيهاته، وأشكره تكررراً لصبره وتحمله كل ما بدر مني من أخطاء وعثرات أثناء البحث وتأخير وغيره من القصور الذي لا مفر منه، عسى أن يجعل الله كل ما قدمه لي من خير في ميزان حسناته.

وأخيراً أشكر جامعة يلوا وكادرها التدريسي لكل ما قدموه ويقدموه لطلبة العلم في سبيل تحصيل أعلى الدرجات والنهوض بالشباب والأمة وطالبي العلم لأحسن حال.

أيار - ٢٠٢٤

زينب صاي

المحتويات:

I.....	التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية
II.....	الشكر والتقدير:
III.....	المحتويات:
VI	الملخص:
VII	ÖZET
VIII	ABSTRACT
١	المقدمة:
٢	إشكالية البحث:
٢	سبب اختيار الموضوع:
٢	أهمية البحث:
٣	أهداف البحث:
٣	الدراسات السابقة:
١٠	منهج البحث:
١١	التمهيد:
١٣	الباب الأول: التربية والسلوك وجوانبها في القرآن الكريم:
١٣	الفصل الأول: التربية والسلوك:
١٣	المبحث الأول: مفهوم التربية والسلوك:
١٧	المبحث الثاني: التربية الفردية والجماعية:
٢٠	الفصل الثاني: الخصائص التربوية في القرآن الكريم:
٢٠	المبحث الأول: التعريف بالخصائص التربوية:
٢٢	المبحث الثاني: الربانية:
٢٤	المبحث الثالث: الفردية والجماعية:
٣١	المبحث الرابع: المثالية والواقعية:
٣٦	المبحث الخامس: العالمية والإنسانية:
٤١	الفصل الثالث: المبادئ التربوية في القرآن الكريم:
٤٢	المبحث الأول: وجوب التعلم ونشر العلم:
٤٦	المبحث الثاني: صحبة المعلم للمتعلم:
٤٩	الفصل الرابع: القيم التربوية في القرآن الكريم:

المبحث الأول: القيم التربوية على الصعيد الذاتي:.....	٤٩
المبحث الثاني: القيم التربوية على الصعيد الأسري:.....	٥٢
المبحث الثالث: القيم التربوية على الصعيد الاجتماعي:.....	٥٣
المبحث الرابع: القيم التربوية على الصعيد العالمي:.....	٥٧
الفصل الخامس: الأساليب التربوية في القرآن الكريم:.....	٥٨
المبحث الأول: معنى "أساليب" لغة واصطلاحاً:.....	٥٨
المبحث الثاني: الأساليب التربوية اللفظية في القرآن الكريم:.....	٥٨
المبحث الثالث: الأساليب التربوية العملية في القرآن الكريم:.....	٦٤
الباب الثاني: علم الوقف والابتداء ومذاهب العلماء فيه:.....	٦٨
الفصل الأول: علم الوقف والابتداء:.....	٦٨
المبحث الأول: مفهوم الوقف والابتداء:.....	٦٨
المبحث الثاني: أنواع الوقف والابتداء:.....	٧١
المبحث الثالث: ارتباط علم الوقف والابتداء بفهم معاني القرآن الكريم:.....	٧٥
المبحث الرابع: أهمية علم الوقف والابتداء عند الأئمة:.....	٧٦
الفصل الثاني: مذاهب العلماء في الوقف والابتداء:.....	٧٨
المبحث الأول: مذاهب العلماء في الوقف والابتداء:.....	٧٨
المبحث الثاني: مذهب الإمام السجاوندي:.....	٨٠
المبحث الثالث: مذهب الإمام الهبتي:.....	٨٤
الباب الثالث: نماذج للوقفات التربوية والسلوكية عبر مواضع الوقف في القرآن الكريم:.....	٨٧
الآية الأولى: من سورة البقرة:.....	٨٧
الآية الثانية: من سورة آل عمران:.....	٨٩
الآية الثالثة: من سورة المائدة:.....	٩١
الآية الرابعة: من سورة الأنفال:.....	٩٣
الآية الخامسة: من سورة التوبة:.....	٩٥
الآية السادسة: من سورة يوسف:.....	٩٧
الآية السابعة: من سورة النمل:.....	٩٩
الآية الثامنة: من سورة النمل:.....	١٠٠
الآية التاسعة: من سورة لقمان والرعد:.....	١٠٢

١٠٤	 الآية العاشرة: من سورة يس:
١٠٦	 الآية الحادية عشرة من سورة الزخرف:
١٠٨	 الآية الثانية عشرة: من سورة الحديد:
١٠٩	 الآية الثالثة عشرة: من سورة الإسراء:
١١١	 الآية الرابعة عشرة: من سورة إبراهيم:
١١٢	 الآية الخامسة عشرة من سورة الماعون:
١١٤	 الآية السادسة عشرة: من سورة الذاريات:
١١٥	 الآية السابعة عشرة من سورة المطففين:
١١٦	 الآية الثامنة عشرة: من سورة القصص:
١١٧	 الآية التاسعة عشرة: من سورة القصص:
١١٩	 الآية العشرون: من سورة الإنسان:
١٢٠	 الآية الواحدة والعشرون: من سورة النبأ:
١٢١	 الآية الثانية والعشرون: من سورة النازعات:
١٢٣	 الآية الثالثة والعشرون: من سورة عبس:
١٢٤	 الآية الرابعة والعشرون: من سورة التكويد:
١٢٥	 الآية الخامسة والعشرون: من سورة العصر:
١٢٧	 الخاتمة:
١٢٩	 المصادر والمراجع:
١٣٣	 السيرة الذاتية:

الجوانب التربوية والسلوكية للوقف في القرآن الكريم

الملخص:

انطلاقاً من ركيزتين أساسيتين يتم بناء المجتمعات عليها، ويستمر تقدم وتطور أحوال المجتمعات منها، ركّز البحث على أهم دستور من الضرورة على أي مجتمع السير عليه، وهو القرآن الكريم، وأهم منهج يضمن الحياة السليمة ودوامها للمجتمعات ألا وهي التربية والسلوك، فتكوّن البحث من ثلاث أبواب رئيسية، الباب الأول: التربية والسلوك، وبناء عليه بدء البحث بالتعريف بهاتين الكلمتين واستخداماتها في التربية الإسلامية وعرض معاني الفردية والجماعية، ثم في الفصل الثاني تم ذكر الخصائص التربوية للقرآن الكريم مفصلاً للبعض منها مع الأمثلة عليها، وفي الفصل الثالث المبادئ التربوية من وجوب التعليم وصحبة المعلم والمتعلم، وفي الفصل الرابع القيم التربوية على كافة الأصعدة الذاتية والأسرية والاجتماعية والعالمية، وفي الفصل الخامس الأساليب التربوية اللفظية والعملية، وفي كل فصل من الفصول تم ذكر المعنى اللغوي والاصطلاحي للكلمات، وعرض نماذج لها من القرآن والسنة النبوية، وبعد الانتهاء من البحث بكل ما تضمنه التربية والسلوك في القرآن الكريم بدأ البحث في الباب الثاني في فصله الأول بالتعريف بالوقف والابتداء والتفريق بينه وبينه القطع والسكت، ومن ثم بيان أنواعه وارتباطه بفهم معاني القرآن الكريم وأهميته عند العلماء، وفي الفصل الثاني من الباب الثاني ذكر مذاهب العلماء في الوقف والابتداء ووقف على أبرز وهي مذهب الإمام الهبطي والسجاوندي، وفي الباب الثالث من البحث تم عرض نماذج للوقفات التربوية والسلوكية عبر مواضع الوقف في القرآن الكريم من خلال خمس وعشرين الآية يتم ذكر الوقف فيها وتبين انعكاسه على المعنى وذكر أهم الدروس التربوية والسلوكية المستفادة منه فيها، نسأل الله القبول.

الكلمات الدالة: الوقف والابتداء، القرآن الكريم، التربية، السلوك، التلاوة، توجيه.

KUR'AN-I KERİM'DE VAKIF ve İBTİDA'NIN EĞİTİMSEL ve DAVRANIŞSAL YÖNLERİ

ÖZET:

Bu tez toplumların üzerine inşa edildiği ve ilerlemesinin ve gelişmesinin ahlaki temel esaslara dayandığını hususunu ele almaktadır. Müslüman toplumların uyması gereken dinamiklerin Kur'an-ı Kerim'de telkin edildiği husus merkeze alınmış ve bu konu sıklıkla vurgulanmıştır.

Toplumların sağlıklı yaşamını ve devamlılığını garanti altına alan eğitim ve davranış merkeze alınarak araştırmada bu konu üç bölümde incelenmiştir.

Birinci bölüm beş kısımda ele alınmış ilk kısımda, terbiye ve eğitim kelimelerinin sözlük anlamlarını açıklanarak İslami eğitimde bireysel ve kolektif anlamları açıklanmıştır.

İkinci kısımda Kur'an-ı Kerim'in eğitimsel özelliklerine değinilmiş, bunlardan bazıları örneklerle detaylandırılmış.

Üçüncü kısımda öğrenmenin gerekliliği, öğretmen-öğrenci ilişkisi gibi eğitim ilkeleri ele alınmıştır.

Dördüncü kısımda ise kişisel, ailevi, sosyal ve küresel gibi tüm düzeylerdeki eğitimsel değerleri incelemektedir.

Birinci bölümün son kısmında sözel ve uygulamalı eğitim yöntemleri ve her bölümde kelimelerin dilsel ve terminolojik anlamlarına değinilmiş, Kur'an ve Hz. Peygamber'in sünnetinden örnekler sunulmuş ve araştırmanın son kısmında Kur'an-ı Kerim'de eğitim ve davranışa dair hangi hususlara yer vermektedir gibi konular ele alınmıştır.

Birinci bölümde Kur'an'da eğitim ve davranış kapsamlı bir şekilde incelendikten sonra ikinci bölümde "vakıf ve ibtida" konusu kapsamlı bir şekilde ele alınmıştır. Bu kapsamda usul konuları "katı" ve "sekte" konuları da incelenmiştir.

Vakıf çeşitleri ve kur'an'ın manalarını anlamayla olan ilişkileri açıklanmış, alimler için önemi ve farklı yaklaşımlar vurgulanmıştır. İkinci bölümün ikinci kısmında, İmam el-Habti ve es-Secceveni'nin öne çıkan görüşlerine odaklanarak vakıf ve ibtida konusundaki farklı ekolleri incelenmiştir.

Tezin üçüncü bölümünde, Kur'an sureleri genelinde eğitimsel ve davranışsal vakıf örnekleri sunulmaktadır. Bu bağlamda 25 ayette vakıf yerleri incelenerek anlam üzerindeki etkisi açıklanmış ve bu noktalardan hareketle çıkarılan temel eğitimsel ve davranışsal dersler vurgulanmıştır.

Tezin Kur'an-ı Kerim'in toplumların eğitimsel ve davranışsal etkileri ve bu etkilerin ayetler çerçevesinde incelenmesi üzerine kurulması hususunun İslami bilimler literatürüne önemli bir katkı sağlayacağı düşünülmektedir.

Anahtar Kelimeler: Vakıf ve İbtida, Kur'an-ı Kerim, Eğitim, Davranış, Tilavet, Yönlendirme.

THE EDUCATIONAL AND BEHAVIORAL ASPECTS OF WAQF AND IBTIDA IN THE HOLY QUR'AN

ABSTRACT:

Based on two fundamental pillars upon which societies are built and through which their progress and development continue, this research focuses on the most essential constitution that any society should follow, which is the Quran.

It also emphasizes the most important methodology that guarantees a healthy and sustainable life for societies, which is education and behavior.

The research is composed of three main chapters. The first chapter addresses education and behavior. It begins with the definition of these two terms and their uses in Islamic education, as well as the presentation of individual and collective meanings. The second section discusses the educational characteristics of the Quran, providing detailed examples. The third section covers the educational principles such as the necessity of learning and the companionship of the teacher and student. The fourth section examines educational values on all levels: personal, familial, social, and global. The fifth section delves into verbal and practical educational methods. Each chapter includes the linguistic and terminological meanings of the words and provides examples from the Quran and the Sunnah.

After thoroughly exploring education and behavior in the Quran in the first chapter, the second chapter begins by defining the terms “pause” and “start” (waqf and ibtida’) and differentiating them from cutting off (qata’) and pausing briefly (sakt). It then explains their types and their relation to understanding the meanings of the Quran, highlighting their importance to scholars. The second section of the second chapter presents the different schools of thought on waqf and ibtida’, focusing on the prominent views of Imam Al-Habti and Al-Sajawandi.

The third chapter of the research presents examples of educational and behavioral pauses through the positions of waqf in the Quran. It examines twenty-five verses, identifying the pauses, explaining their impact on meaning, and highlighting the key educational and behavioral lessons derived from them.

We ask God for acceptance.

Keywords: Pause and start, The Holy Quran, education, Behavior, Recitation, Guidance.

المقدمة:

الحمد لمن أكرمنا بفضله وجعلنا من المسلمين، الحمد لله الذي وهبنا العقل والفهم وأنار طريقنا بنور البصيرة والعلم، وجعل لنا نورا نهتدي به ونسير عليه ليكون منهج حياتنا ودستورنا ومرجعنا، الحمد لله على نعمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

إن مما لا شك فيه في ديننا الحنيف أن كل مؤمن مسلم له عليه أن يتبع منهجه وينتور بعلمه، وأن يتربى التربية الإسلامية الصحيحة التي حرّض عليها ونوّه إليها في كل موقف وكل آية وحديث، وأنه يجب بذل الجهد وإخلاص النية والعزيمة ليمتثل لما فيه من أوامر ونواه.

إن مفهوم العبودية والدنيا والفوز والنجاة في الآخرة، وعماراة الأرض، ومفهوم التربية في حد ذاته، من أكثر المفاهيم التي تؤثر في التربية والسلوك، ومن مهمة كل مسلم على حد سواء تطبيق منهج التربية الإسلامية على أوسع نطاق، بدءاً من ذاته إلى جماعته إلى أمته، وإن لنا في الجماعة الأولى التي قامت في عهد النبي عليه الصلاة والسلام صورة نموذجية وتطبيقية متكاملة، لنستنبط منها منهجاً مفصلاً صحيحاً سليماً قوياً، قابلاً للتحقيق في كل زمان ومكان.

وفي هذه الدراسة قمنا بجمع هذه الصورة المتكاملة من خلال عدة خيوط رئيسية توضحها وتبينها، بدءاً من الفردية والجماعية وعرض النماذج لها، وبالانتقال إلى خصائص التربية الإسلامية منوهين إليها وإلى أدلتها، ومن ثم القيم التربوية في الإسلام، والمبادئ التي يقوم عليها، وصولاً إلى الأساليب التربوية التي نستشير بها على ضوء القرآن والسنة للتربية الإسلامية، انتهاء بتوضيح الوقف والابتداء في آيات الله عز وجل وختاماً بعرض أبرز النماذج في الوقف وانعكاسها على المعنى القرآني مستخلصين منها الدروس والعبر التربوية.

وإن هذا البحث في عرضه لكل ما يتعلق بالتربية الإسلامية إنما يهدف إلى هدف رئيسي ألا وهو الارتباط الوثيق للآيات القرآنية وما جاء في السنة النبوية المطهرة بحياة المؤمن، فهو بلا شك ما أرشد إليه الله عز وجل، واختاره لنا لنعيش حياة متوازنة منضبطة.

فالإنسان عبارة عن صورة معقدة من الجسد والروح والمشاعر والأحاسيس بإيجابياتها وسلبياتها، وما هو إلا مخلوق كونه الخالق لأهداف وغايات وسخر له الأرض ومهد له الطريق للعيش الصحيح السليم.

وبالتالي فإن التنشئة الصحيحة والتربية على نهج قويم ومن ثم عكس هذه التنشئة والتربية في سلوك وتصرفات يترتب عليها المنافع في حسناتها والجزاء والعقاب في سيئها، ماهي إلا وظيفة سامية لتحقيق أعلى مستوى من المثالية في الحياة للإنسان.

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية البحث في معنى كلمة التربية والسلوك، وما ينتج عنها، فهي تشمل على عدة مصطلحات تؤدي ذات النتيجة المرجوة، ألا وهي العلم والتأديب والتدريب والرياضة، وبذلك تكون جامعة لثلاث أمور رئيسية العلم والخلق والعمل، مما سيذكره البحث فحاولت قدر الإمكان الجمع والتوفيق بينها بإضاءة الجانب التوجيهي والسلوكي المراد منها وفق منظور أحكام الوقف والابتداء ضمن نماذج لبعض الآيات الواردة فيها.

سبب اختيار الموضوع:

الأهمية البالغة في الوقوف على معاني وأنواع الوقف والابتداء في القرآن الكريم والإشارة إلى انعكاساتها في التربية وعلى السلوك الإسلامي المراد إيصاله منها.

فالشباب اليوم أصبحوا بعيدين كل البعد عن مناهج التربية الإسلامية، وبالرغم من تزامم الحفاظ في كثير من الدول الإسلامية، وتخريج هذه الدول للمئات والألوف سنوياً، إلا أنهم يقتصرون في القراءة على الحفظ والترتيل، دون البحث عما وراء الآيات، وما نقله الأئمة الحفاظ من الوقف والابتداء واجتهادهم في بيان مواضع وأهميته وضبطهم له بضوابط رئيسية أهمها النقل واللغة والمعنى.

فمما لا بد فيه البحث في هذه العلوم التي تتجسد فيها حياة المسلم الحق، والعودة إليها، والتعمق فيها، والاجتهاد، والحرص على الامتثال لما يتفرع منها.

أهمية البحث:

إن التربية في العلم الحديث أصبحت علماً مستقلاً بذاته، له فروع ونظرياته وله غاياته وأهدافه، وأصبح من الأساسيات التي يعول عليها في تنشئة الجيل وتهيئة المجتمع ليكون ذو بنية متلاحمة متماسكة، والمسلمون دائماً وأبداً دستورهم القرآن والسنة المطهرة وما جاء فيهما توصيات ونصائح وتوجيهات وأحكام، ينطلق البحث منها ويقف على نماذج لها، فهذا العلم هو موجود فعلياً منذ نشوء الإسلام في الأرض قبل ظهوره في العلوم الوضعية الأخيرة ولهذا البحث من الأهمية الكبرى على الفرد والمجتمع، ويمكن أن نذكر ذلك في نقاط تساهم في إعادة بناء الشخصية المسلمة والمجتمع الإسلامي بعد كل ما طرأ عليهما في السنوات الأخيرة لأسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية، ومن هذه النقاط:

مساعدة الفرد على فهم ذاته وتوضيح الضوابط الشرعية في سلوكياته.

تعزيز القيم التربوية في شخصية الفرد ليصل بها مراحل التكامل النفسي السليم.

المساعدة على بناء شخصية منسجمة مع المحيط والبيئة تحت كل الظروف.

تعزيز قدرة الفرد على إيجاد مناخ سليم ضمن المجتمع الذي يعيش فيه.
إظهار تلاحم المجتمع من خلال التربية الجماعية المنسجمة مع التربية الفردية.
المساهمة في تأطير البنية التحتية المتينة لمجتمع متماسك.
تقديم نماذج فعالة لإعادة بناء الفرد والمجتمع.
الوصول بالمجتمع إلى أقصى مراحل التوافق الديني والحياتي.

أهداف البحث:

إبراز السمات الأساسية للتربية الإسلامية وتفصيلاتها من خصائص ومبادئ وقيم وأساليب وانعكاسها في
مواضع الوقف والابتداء في آيات القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

تعرضت كثير من الدراسات الحديث لهذا الموضوع من الجانب التربوي وحسب باعتبار أن هذا العلم اتخذ
منحاً ومجالاً منفرداً، وبدأت تظهر فيه النظريات والتجارب، وتقاس فيه وعلى ضوء المجتمعات
والسلوكيات فيها، وهناك من هذه الدراسات ما اختصر وأشار إليه سريعاً تحت ضوء الإسلام، وهناك من
شرح وفصل وأسهب، وهناك من ركز على جانب ونظرية بذاتها ونحن في هذا البحث سنلقي الضوء على
جانب معين، من هذا العلم ألا وهو التربية الجماعية والفردية ضمن ضوء الإسلام والتربية الحديثة، وعليه
فقد كان لابد من الرجوع إلى كتب العلماء والأدباء ممن عاشوا تحت ظل الدولة الإسلامية وبحثوا في هذه
الجوانب التربوية، ومن هذه الدراسات كتاب:

"التربية في الإسلام"، محمد عطية الإبراشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف، القاهرة
مصر (لم أجد تاريخ الطباعة والدار على النسخة)، بدأ الكاتب في التمهيد بالتمييز بين التربية الإسلامية
والتربية الحديثة، وأن كل ما تدعو إليه أفكار ونظريات التربية الحديثة ما هو إلا نظريات قد قام بها وطبقها
المسلمون منذ البذور الأولى للإسلام في الأرض، وأن كثير مما يدعون إليه اليوم تحت مسميات حديثة قد
عاشه وطبقه أجدادنا الأوائل حقيقة في مجالس العلم وحلقات العلماء، وضرب مثلاً على ذلك وظيفة المعيد
التي تتبعها الجامعات اليوم، فقد كانت متبعة ومطبقة بالفعل في المعاهد الإسلامية في عصورها الذهبية،
وأن نظام الجامعات الشعبية كان كذلك متبعاً دون التقييد بشروط حكومية أو استعمارية، وكان متاحاً لجميع
الراغبين بالعلم والتعلم.

لكن المؤسف أن هذه الأمور لم يخصص لها كتب في التأليف والتدوين، بل كان التركيز على العلوم الأخرى الدينية والعلمية، وبعد ذلك كان التأليف عن الحضارة والانتصارات والشؤون الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في عصور الإسلام.

وبالرغم من هذا فلا يمكن إنكار فضل المسلمين على غيرهم، فقد نقلت هذه العلوم والثقافة والمدنية العربية إلى غيرها من البلاد على أيدي المسلمين وعلماءهم وبالتالي انتقلت آدابهم وطريقة تربيتهم.

فبدأ الكاتب في الفصل الأول بتبين أغراض التربية الإسلامية ذاكراً ستة أغراض ألا وهي: التربية الخلقية فهي روح التربية الإسلامية والوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية مع مراعاة التوازن بين العناية الجسمية والعقلية والعناية الخلقية، والعناية بالدين والدنيا معاً دون إهمال أحدهما على حساب الآخر، والعناية بالنواحي النفعية كالرياضات والعلوم الحيوية كالأدوية والطب وغيرها، ودراسة العلم لذات العلم وذلك لإشباع ما لدى الإنسان من ميل فطري إلى حب الاطلاع والمعرفة ولما في ذلك من لذة علمية وأدبية وفنية لا نظير لها، والتعليم المهني والفني والصناعي لكسب الرزق فهي بهذا تعده لحياة كريمة شريفة.

ثم انتقل الكاتب بعد الشرح والتفصيل عن هذه الأغراض إلى الفصل الثاني تحت عنوان العلم والتعليم في نظر الإسلام، فالدين الإسلامي أمر بتعميم العلم، فهو دين علم ونور لا جهالة وظلمة مستشهداً بذلك بالآيات التي تحت على العلم في القرآن الكريم وأولها سورة اقرأ، وكذا مستشهداً بالآيات والأحاديث التي تدل على فضل العلم والعلماء، وكذا الأحاديث التي تشجع على استمرارية العلم سواء كانت قولية أو فعلية فقد كان عليه الصلاة والسلام يطلق سراح المتعلمين من الكفار إذا علموا بعض المسلمين القراءة والكتابة حرصاً منه على نشر العلم بين المسلمين.

وأشار الكاتب إلى فضل العلماء العاملين عن غيرهم من العابدين، ثم استشهد الكاتب بذكر أقوال الصحابة والحكماء والتابعين مستشهداً بذلك على فضل المتعلم عن باقي المخلوقات، وأن تحصيل العلم وإعمال الفكر هو ما يميز الإنسان عن غيره، فأفاض بالاستشهاد بأقوالهم. طرح الكاتب السؤال التالي: لماذا أمر الدين الإسلامي بالتعليم؟ فكانت الإجابة بأنه أول الواجبات وأكبر وسيلة للرقى وإصلاح العالم والشعوب على وجه الخصوص العمل بالعلم الذي تم تحصيله. ومن ثم انتقل الكاتب في الفصل الثالث إلى الإسهاب في الكلام عن العالم والمتعلم وماله من حقوق وما عليهما من واجبات، فذكر الصفات التي يجب أن تتوفر في المعلم ومنها؛ الزهد والتعليم ابتغاء مرضاة الله، طهارة المعلم، الإخلاص في العمل، الحلم، الهيبة والوقار، أن يكون أباً قبل أن يكون معلماً، عالماً بطبائع الأطفال وميولهم، متمكناً من مادته، وبعد شرح لكل من هذه الصفات تطرق إلى المعلم أو المدرس الخاص وكيف كان يخصص له جناح في قصر الأمراء قديماً يعيش فيه ويعلم وينقل ما حصله من علم لتلميذه لسنوات.

وبعد ذلك انتقل به بعدها الكاتب لذكر واجبات المتعلم عند تحصيله العلم، فعليه أن يطهر قلبه من الرذيلة ويقصد من تعلمه تجميل روحه بالفضيلة ويثابر على التحصيل ولا يكثر من تغيير معلميه ويتأدب في مجلسه ويبدؤوه السلام ويحترمه ولا يضايقه ولا يفشي سره ويجد ويدأب في درسه وأن تكون لديه روح مودة مع بقية الطلبة ويواظب على دروسه وأن يوطن في نفسه التعلم لآخر العمر، ثم تطرق الكاتب إلى المبادئ التي قيلت في التربية الإسلامية منها؛ الخلق الكامل أفضل من العلم، تقديس العلم والعلماء، العناية التامة بتقوية الروابط الشخصية بين المعلمين والمتعلمين.

ثم ذكر واجبات المعلم في نظر الغزالي كالإشفاق على المتعلمين ونصحهم وزجرهم عن سوء الأخلاق ومراعاة مستواهم العقلي، وعدم تقبيح علوم غيره، وأن يقصد وجه الله بتعليمه.

تناول الكاتب في الفصل الرابع الحديث عن حظ المرأة في الإسلام، وعدم تفرقة الإسلام لها عن الرجل، مستشهداً بالأحاديث وأحوال الصحابة ومن والههم، وأحوال تحصيل المرأة العلم في الخلافات الإسلامية، ثم قارن الكاتب بين المرأة المسلمة والمرأة المسيحية في القرون الوسطى.

ذكر الكاتب في الفصل الخامس القواعد الأساسية للتدريس في التربية الإسلامية ومنها عدم تحديد سن البدء في التعليم والمدة، والتفرقة في الطريقة التي تتبع حسب حال المتعلم، وعدم خلط علمين معاً، والاهتمام بالأمثلة المحسوسة، والبدء بتعلم اللغة ثم دراسة القرآن، ومراعاة استعدادات المتعلم الفطرية والترويح عن النفس.

وأخيراً وإن كان هذا هو هدفي الأساسي عند الرجوع إلى هذا المصدر فلم يتطرق له الكاتب إلا في الفصل الأخير، ألا وهو طرق التدريس في التربية الإسلامية، وكذا لم أجد في هذا الباب حاجتي من الغاية التي أريد الوصول إليها، فقد كان الشرح عاماً غير مخصص بطريقة أو أسلوب معين، فذكر الكاتب سريعاً طريقة دراسة القرآن الكريم ومن ثم الشعر ومن ثم التدريس في المرحلة العليا دون قيود أو شروط والرحيل في طلب العلم وحرية الأساتذة والمعلمين وتنوع الأساليب في التدريس فذكر طريقة المعيد والمحاضرة والمناظرة مشيراً إلى كفاءتها سريعاً، وعاد إلى الحديث عن الطريقة الفردية في التعليم كالحفظ والاستظهار ثم ذكر خاتمة الكتاب، وإن كنت أرجو في بحثي هذا أن أجد في الكتاب ما يثريه إلا أن توجه الكتاب كان عبارة عن إلقاء نظرة تاريخية خاطفة عن تحصيل العلم في العصور الإسلامية وهو لم يتطرق بشكل خاص لنقطة معينة أو نظرية معينة في التربية فكان عاماً شاملاً لفضل العلم والعلماء في الإسلام.

"شخصية المسلم بين الفردية والجماعية"، السيد محمد نوح، الطبعة الثالث ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة مصر.

إن النقطة الرئيسية التي أراد الكاتب إيصالها لنا في هذا الكتاب هي توافق وانسجام الفردية والجماعية رغم تناقض وتنافر المصطلحين ظاهرياً.

فبدأ الكاتب بالتنويه في التقديم إلى أهمية الفرد المسلم في زمننا هذا في إنهاض الأمة، ذكراً ما خلفته الحرب العلمية الأولى والثانية من خسائر في أرواح المسلمين، ومن ثم انتقل للمدخل ذكراً فيه أن الله تعالى خلق الإنسان سيداً في الكون زوده في ذاته وتكوينه ما يعينه على ذلك، فخلقه مكوناً من جسد وعقل وروح أو من مادة ونفس أو معنى، وكل لها غرائز متوازنة ومتقاربة تؤدي مهمتها بربط الكائن البشري بالحياة، وتوسع أفقه وتفسح مجال حياته بشكل مشروط، بحيث لا تطغى ولا تبرز واحدة منهما على الأخرى.

ويتكون الكتاب من ستة فصول، أولها الفردية والجماعية عند الإنسان، وثانيها آثارها، وثالثها الفروق بين المذاهب الأرضية والإسلام، ورابعها منهج الإسلام فيها، وخامسها التوفيق والتوازن بينها، وأخيراً نماذج لها من الرعيل الأول من المسلمين.

ذكر في الفصل الأول الفردية وعرفها بأنها الاعتداد بالنفس والحفاظ على ذاتيتها واستقلالها وكيانها، والجماعية بأنها الميل إلى الجماعة والتعايش معها، فذكر النصوص الشرعية التي تضمن مسؤولية الإنسان عن عمله فردية كانت أو جماعية.

فالفردية والجماعية كلاهما من الغرائز الأساسية المزدوجة في الكيان الإنساني لكل منهما طريقه ومجراه الصحيح، فلا يحدث التبعاد والنفرة بينهما.

ولتوضيح هذه النقطة أكثر تطرق في الفصل الثاني إلى آثار كل منها على كيان المسلم فمن الآثار الإيجابية للفردية إعمال النظر والفكر ومضاعفة النشاط والجهد والمشاركة بالرأي الفعال والقدرة على مجابهة مشاق وتكاليف الطريق والجهر بالحق وحمايته من تطاول المتطاولين والدفاع عن النفس وسائر الحرمات والطاعة في غير المعصية وبذل وقبول النصيحة ومحاسبة النفس.

ومن الآثار الإيجابية للجماعية هي اكتشاف النفس وتقويم الاعوجاج وتوظيف الطاقات وبث الأمل ودفع اليأس وتجديد النشاط والهمة واكتساب الخبرات والتجارب والتعاون من أجل تمكين منهج الله في الأرض، وحفظ الهيبة والكرامة وفتح مجال الأجر والثواب والتأهل لتأييد الله.

أما الآثار السلبية للفردية والجماعية فهي الانزواء أو العزلة والكسل والخمول والسقوط على أول الطريق والسكوت عن الحق والطاعة العمياء والتسلط والاستبداد.

ثم تطرق الكاتب في فصله الثالث إلى توضيح وجهة نظر المذاهب الأرضية عن الفردية والجماعية، وأن فيها الغلو والشطط ميل لجانب على حساب الآخر، فنرى الاضطراب وعدم التوازن، وأرجع الكاتب سبب

ذلك إلى أنها من صنع البشر فهم مهما بلغوا من العلم عاجزين عن الغوص داخل النفس الإنسانية، في حين أن الإسلام ينظر إلى كل منهما على أنها أمر فطري في تكوين الإنسان يحرص كل الحرص على صيانتها والمحافظة عليها ومحاولة التوفيق والانسجام بينها وبين التي تقابلها فيتحقق التوازن ونصل للأهداف المرجوة.

ومن ثم تطرق الكاتب للتفصيل في منهج الإسلام في التربية الفردية ولخص هذا المنهج في نقاط منها تعريف الإنسان بكرم أصله وطيب معدنه وتعريفه بعدوه الأكبر ألا وهو الشيطان الرجيم، وتعريف الإنسان بمنزلته ومكانته في هذا الكون وربط القلب البشري بالله والتحذير من انحراف وانمياح الشخصية الإنسانية، وإلزامه بالتكاليف الشرعية لاسيما النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإشعاره بالمسؤولية التامة في جميع الأعمال.

ولفت الكاتب النظر إلى ضرورة منح الفرد فترات حرة يدبر فيها شؤونه الخاصة، ويختم بدعوة الإنسان إلى الاعتزاز بالنفس.

ومن ثم توجه إلى منهج الإسلام في التربية الجماعية وكذلك لخصها في نقاط وهي التأكيد على الجماعية في الشعائر الدينية كصلاة الجمعة والعديد والاستسقاء والخسوف والكسوف والصوم والزكاة وغيرها من الشعائر التي يمكن أن تقع بصورة فردية إلا أنها لا تتم كاملة إلا بالجماعة كالدعوة والتربية والجهاد، وذكر أن الجماعية منهج أعداء الله في مقاومة الحق، وذكر بأن الجماعية سنة كونية وتقرير مبدأ الأخوة بين الناس والتأكيد على المسؤولية الجماعية وخض على الجماعية في الشؤون الحياتية كالسفر والمبيت والطعام ولزوم الجماعة صراحة مع بيان فوائدها.

ومن ثم بين منهج الإسلام في التوفيق وتحقيق التوازن بين الفردية والجماعية من خلال منهج فردية يرتكز على الوعي والفهم بضرورة الجماعة وأهميتها وضوابط العمل معها، وأثر سلوكياته، والمشاركة الفعالة للأفراد في الجماعة، ورعاية الجمعية للفرد، ودوام القرب من الله، واستشعار المسؤولية التي تكون دافعا لكل فرد في الجماعة لأن يقوم بواجبه بدقة وإتقان.

وأخيرا أعطى الكاتب نماذج على الفردية والجماعية في حياة الرعيل الأول من المسلمين، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يمثل بنبوته وإمامته وقيادته الحكمة الجماعة المسلمة التي ظهرت أول مرة.

وفي خاتمة الكتاب تطرق الباحث للنتائج التي توصل إليها في هذه الدراسة وأهمها أن النفس مؤلفة من طائفة من الغرائز لها دورا هاما في حياة الإنسان وأن الفردية والجماعية هما أم هذه الغرائز ولهما دورهما الإيجابي والسلبي على كيان الإنسان ومنهج الإسلام وحده هو القادر على إشباع كل منهما بتحقيق التوازن والانسجام.

"التربية الجماعية في الإسلام"، دراسة تأصيلية، نايف بن محمد القرشي، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ، دار ابن الجوزي، الدمام المملكة العربية السعودية، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة.

يعتبر هذا البحث من الكتب التي أفادنتي في جمع وتفنيده ما يخص الجماعية في الإسلام، والبحث مكون من ستة فصول.

بدأ الباحث في الفصل الأول بالمقدمة فذكر أهمية التربية وأكد على أنها لا تتم إلا بجهد متواصل وتدريب دؤوب ومتابعة مستمرة للمتربين، منوها إلى أن التربية الذاتية وحدها لا تنشأ كيانا سويا للإنسان فالمخلوق البشري كائن ذو شعبتين ملتقيتين دون انفصال.

والتربية الجماعية هي ما يسهم في بناء شخصية الفرد المسلم في جوانب متعددة، فهي موافقة لطبيعة الفطرة البشرية ألا وهي الميل للجماعة والمجموعة.

وعرض الباحث في موضوع الدراسة أهمية التربية الجماعية من حيث أنه لا سبيل للكشف عن صفات الفرد الحميدة كانت أو السيئة إلا من خلال وسط اجتماعي يتربى فيه.

وأبرز الكاتب أهمية البحث بأنه موضوعا لم يتطرق إليه بشكل منفرد، فهو يكشف عن أسلوب غاية الأهمية من أساليب التربية ألا وهو تلبية حاجات الفرد النفسية، فبين المنهج الذي يتم من خلاله الكشف عن أخطاء النفس وترويضها، وأن جلائل الأعمال الكبرى لا تقوم إلا عن طريق العمل الجماعي.

ومن أهم غايات هذا البحث كانت طرح موضوع يستفيد منه أفراد المجتمع ومؤسسات كالجمعيات والأندية ومكاتب الدعوة والمعلمين.

وبالانتقال إلى الفصل الثاني ذكر الباحث مفهوم التربية الجماعية لغةً واصطلاحاً، واستخلص إلى تعريف شاملٍ يجمع فيه ما تطرقت له اللغة وعمل عليه العلماء في التربية.

ثم ذكر الجماعية في واقع الحياة وفي الإسلام فهي فطرة المخلوقات وضرورة اجتماعية ونوّه إلى مكانتها في الإسلام حيث يدعو إلى الاجتماع ونبذ الفرقة، ووصف المسلمين بالتلاحم والترابط بإقامة جل الشعائر في صورة جماعية والحض على مخالطة الناس والصبر على أذاهم واستحبابها في الأمور الدينية.

ثم ذكر الباحث العلاقة بين الفردية والجماعية وترابطهما وعدم تنافرها، وتطرق إلى ما تطرق له الكتاب السابق من حال الفردية والجماعية في المذاهب الوضعية وفي الإسلام ومن ثم ذكر نماذج لها من السنة والقرآن والسلف، وختم الفصل بفوائد الجماعية التي توصل لها ومنها الكشف عن مواطن الضعف والقصور في شخصية الفرد ومساعدته للتخلص منها وتزويده بالخبرات والتجارب التربوية والدعوية وزيادة النشاط للعمل ومضاعفة الجهد فيه وتحصيل لزوم الصالحين والتواصي بالحق والصبر معهم والحماية من كيد

الشیطان ومكره والبعد عن الیأس وبث الأمل فی النفس وتوظيف طاقات الفرد بما یحقق التكامل والتوازن فی شخصيته.

ومن ثم ذكر أركان التربية الجماعية والتي هي المربي والمتربون ومنهجية التربية الجماعية ذاكرًا أهم الصفات التي يجب أن تتوافر فی كل ركن من هذه الأركان والأخطاء التي يمكن أن يقع فیها، وذكر الجوانب المكونة لشخصية المتربي، ومن ثم توصل إلى استنتاج منهجية التربية الجماعية فی سبع نقاط أساسية.

وفی الباب الخامس ذكر الباحث أساليب التربية الجماعية فی القرآن والسنة وضرب أمثلة على أهمها كالتربية بالقوة وبالتواضع وحسن المعاملة والتربية بالقصة والحوار وبالأحداث وبالتحفيز والتوجيه غير المباشر والتعويد على تحمل المسؤولية والمعاشة والمصاحبة وأخيرا التربية بالعقوبة.

وفی الفصل السادس والأخير تطرق إلى المجموعة التربوية الفعالة من حیث خصائصها وضوابطها والعوامل التي قد تعیق أداءها، وأخيرا ختم الباحث بالنتائج التي توصل إليها فی هذه الدراسة، وقد وجدت فی هذه الدراسة زخما من المعلومات والنقاط المهمة التي إن وقف عليها ووعاها وطبقها المعلمين والمتعلمين فی عهدنا هذا كان لهم النصيب الأكبر من التربية الإسلامية التي نشأت بذورها مع نشأة الدين الحنيف بقوة النبي الحبيب علیه أفضل الصلاة والتسليم.

التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هاشم علي الأهدل، أم القرى مكة، دار التربية والتراث ١٤٢١هـ. يعتبر هذا الكتاب من الأبحاث القيمة التي تركز على ذاتية الفرد المسلم، بدأ الكاتب فی بتمهيد عن الموضوع وأهميته فی إلقاء الضوء على الفرد المسلم ضمن منظور التربية الإسلامية فی العصر الحديث. فبدأ فی الفصل الأول ببيان مكان الإنسان فی التصور الإسلامي موضعًا فی هذا الفصل نشأته والغاية من وجوده والمصير الذي سيؤول إليه مستشهدًا بالآيات والأحاديث الداعمة للفكرة، متطرقًا إلى معنى العبودية واستقرارها فی النفس وتوجهها لله تعالى.

أما فی الفصل الثاني فقام بذكر مبادئ التربية الذاتية من الكتاب والسنة مفصلاً إياها فی ثلاث مباحث رئيسية ألا وهي الحرية والمسؤولية والجزاء والاهتمام بالغير، وقسم الحرية إلى أقسام هي حرية العقيدة والعبادة والحرية الفكرية وحرية الملكية والحرية العلمية مفصلاً كلا منها على حدة، أما فی مبحث الاهتمام بالغير فتتداخل الفردية والجماعية وينسجمان مع بعضهما البعض مقتصرًا على ثلاث عناصر أساسية ألا وهي تنفيذ التكليف الرباني والنجاة من العذاب والتشوق للأجر العظيم.

ومن ثم فصل الباحث الأساليب التربوية الذاتية ضمن ثلاث مباحث العبادة وتشمل شعائر الدين والمحاسبة وتقوى الله ومن ثم المعاملات وتشمل التحلي بالأخلاق واتخاذ القدوة والسؤال والحوار والعزلة والمخالطة وأخيرًا استغلال الوقت من خلال اتخاذ العادات الحسنة وملء الفراغ والمحاولة والتعلم من الخطأ.

وفي الحقيقة فإن في هذا البحث تجد التداخل والانسجام بين شخصية الفرد المسلم وجماعته، فهو وإن ركز على ذاتية الشخص إلا أنهم لم يهمل الجو والبيئة المتواجد فيها بصورة أجمع، فكان في كل فصل ومبحث منه يستشهد ويضرب الأمثلة مشيرًا إلى أهمية نماء هذه القيم في الفرد المكوّن للمجتمع بصورته التكاملية فلم أجد في البحث التطرف والانحياز بس التكامل والانسجام لتكون قطعة سليمة ضمن لوحة المجتمع الكبير.

منهج البحث:

إعتمدت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال عرض لكل ما تشمله التربية الإسلامية، ومن ثم بتبين الوقف والابتداء ومذاهب العلماء، وبالوقوف على نماذج من القرآن في الوقف والابتداء ونماذج من السنة تقف على الجوانب التربوية والسلوكية للفرد مع نفسه ومع غيره تحت مظلة المجتمع الإسلامي.

الكلمات الدالة: الوقف والابتداء، القرآن الكريم، التربية، السلوك، التلاوة، توجيه.

التمهيد:

إن مما لا شك فيه ولا شبهة أن الأديان مرسله من عند الله عز وجل لهدف وغاية واضحة وصريحة، تتمثل هذه الغاية في عبادة الله حق عبادته بالابتعاد عن الشرك وبالإخلاص في العبادة، وقد ورد في كل الأديان السماوية ما يؤكد هذا ويبين خطوطه الرئيسية والفرعية ليكون الإنسان على بينة بما يعتقد ويؤمن به، فلا يضل ولا يشقى.

والغاية الثانية تتمثل في تسهيل الحياة والمعيشة الأرضية على الإنسان، من خلال سن التشريعات، وبيان الحقوق، وتوضيح كل ما يمكن توضيحه في حياة الفرد من أصغره إلى أجله.

وينطوي تحت هذين الهدفين الساميين تنشئة الإنسان تنشئة صالحة قويمه، فللدين في ذات الإنسان أصالة فكرية وأساسية تتحرك عندما ينظر في هذا الكون من حوله فيتسأل ويحاول أن يجد الأجوبة الكافية لما يحيك في صدره من أغاز يبحث عن حلها.

فالرغبة الشديدة لمعرفة هذا الكون والوصول إلى حقيقة تكوينه باللجوء إلى الدين الحق المرسل به عن طريق رسوله ونبيه، وهذا الانتقال من الطبيعية وما فيها إلى خالقها ومكونها، فطرة الإنسان التي فطر عليها.

وهذا الانسجام والتناسق والانتظام يحفز ذات الإنسان على الامتثال لمثلها والسير على هداها بأفضل وأحسن الطرق التي تضمن له الحياة الكريمة السليمة، سواء مع ذاته، أو بين جماعته.

وبالتالي فالإسلام يقوي عند الفرد التمسك بجماعته والاعتزاز بها، انطلاقاً من إيمانه الحقيقي بالله، وجاعلاً من الدين رقيباً على نفسه وأفعاله، متمسكاً برابطة معنوية تثير فيه الجانب الوجداني للعمل والوصول إلى أعلى درجات الكمال.

وفي هذا البحث حاولت قدر الإمكان عرض تصور كامل لما جاء به الدين الإسلامي، من قيم ومبادئ تتعلق بذات الإنسان وجماعته من خلال التربية الدينية الأصلية.

فبدأت في البحث بتعريف التربية والسلوك ودلالاتهما الأصلية وما كان يسير عليها العلماء الأوائل مما يندرج تحت هذين المصطلحين.

ثم تطرقت للفردية والجماعية في التربية ومن ثم الدين الإسلامي شارحة لها عن طريق نماذج لبعض الصور منها، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ضمن خصائص التربية.

ثم قمت بعرض خصائص التربية الإسلامية بتعريفها وسردها والتفصيل في البعض منها، مع ضرب الأدلة والأمثلة عليها.

وبعد ذلك قمت بشرح مبسط عن المبادئ والقيم التربوية الإسلامية على مختلف الأصعدة، بدءاً من الأسرية ومن ثم الاجتماعية وأخيراً العالمية.

وختاماً قمت بشرح بعض الأساليب التربوية الدينية على ضوء السنة والقرآن الكريم، وحاولت في كل ما تقدم من مباحث عرض المعاني اللغوية والاصطلاحي لها قدر المستطاع.

وبالانتهاء من عرض ما يمكن عرضه فيما يتعلق بالتربية الإسلامية والشواهد عليها من القرآن والسنة قمت بالانتقال إلى صلب البحث وهو موضوع الوقف والابتداء وانعكاس هذا الموضوع على المعاني التربوية للآيات من خلال توضيح المعاني والتفسير المبينة له ودلالاتها.

وأخيراً أسأل الله جل وعلا أن أكون قد وقفت في تقديم صورة ولمحة متواضعة عن ضرورة وأهمية ربط العلوم الإسلامية بعضها ببعض، سواء منها النظرية أو التطبيقية، انطلاقاً من عكس صور التربية الإسلامية على الوقف والابتداء في القرآن الكريم، سائلة الله القبول.

الباب الأول: التربية والسلوك وجوانبها في القرآن الكريم:

الفصل الأول: التربية والسلوك:

المبحث الأول: مفهوم التربية والسلوك:

القرآن الكريم دستور ومنهج كامل متكامل من الله به على البشرية جمعاء، فنزله محكما متدرجا على أكرم الخلق سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، ومنذ نزول أول آية وحتى آخر آية كان للبشرية به عبر وإشارات وحكم، بدءا من طريقة التنزيل ومحتوى الآية ودلالاتها وتفسيرها والمعنى الخاص لها والمعنى العام، مرورًا بآيات الأحكام وتدرجها ومراعاتها حال البشر ذلك الزمن وحتى يومنا وإلى يوم الدين، وأسباب النزول وتفسير الصحابة ومن بعدهم للآيات.

ولهذا فعند دراسة التربية لابد من الانطلاق من أول وأحكم وأعدل دستور للتربية وهو القرآن الكريم وبعده بالسنة النبوية المطهرة والتي في كل حادثة فيها قولية أو فعلية أو تفسيرية دلالة وإشارة، اتبعها الصحابة ومن بعدهم من التابعين وحملوا نهجها لمن والاهم فاقتفى أثرهم السلاطين والولاة من المسلمين.

وبناء على ذلك فإن أول ما يجب الوقوف عليه في التربية هو القرآن الكريم، وعليه فلنفسر معاني التربية وأقسامها ونقف على نماذج لها من القرآن والسنة.

المطلب الأول: التربية والسلوك في اللغة:

عند البحث عن كلمة تربية في اللغة فلا بد من الوقوف على ثلاثة جذور أصلية تصب في ذات المعنى وهي رب رب رب ونشأ.

رب: أي ملك ومنه كلمة الرب فهي تطلق على لفظ الجلالة فهو رب ومالك كل الذي يوجد في الكون، فالرب هو المالك والسيد والمُدبّر^(١).

ويمكننا الاستشهاد هنا بما ورد في التفسير البسيط تعقيبا على قوله تعالى: {رب العالمين} بأن لكلمة الرب معنيان أحدهما هو التربية والإصلاح ويستشهد بذلك على قول الأصمعي: (رب فلان الصنيعة يربُّها ربًّا إذا أتمها وأصلحها) والمعنى هنا على أنه جل جلاله يربي ويغذي الخلق بما ينعم عليهم من النعم^(٢).

١. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: جماعة من المختصين، إصدار وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ - ١٩٦٥ - ٢٠٠١ م، ٤٥٩ / ٢

٢. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨) التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى ١٤٣٠ هـ، ١ / ٤٨٥

أما ربو: فهي تأتي بمعنى زاد وارتفع، منه يتم الاستدلال على كلمة ربوة بأنها الأرضة المرتفعة وجمعها ربي^(١)، ويقال أن الربوة هي أرض فلسطين وفيها مقابر الأنبياء والبعض يقول أنها أرض في دمشق، والاستشهاد بالمعنى الذي نريد هنا بقول: رَبَّيْتَهُ وَتَرَبَّيْتُه أي: غذوته ورفعت من شأنه، وعليه ربا المال يربو أي: يزداد^(٢).

وهنا نلاحظ أن كتب المعاجم واللغة لم تَقِفْ على معنى التربية بهذا المصطلح الذي نستخدمه اليوم، بل كانت تعزوها إلى التغذية والتنشئة وكانت تضم تحت جناحها الكثير من الكلمات والتعابير الأخرى التي تصب في ذات المعنى والذي سنتطرق له في المعنى الاصطلاحي، ويجدر بنا هنا الإشارة إلى معنى التنشئة باعتبارها متفرعة عن التربية أيضا في اللغة:

نشأ ينشأ: حيي وزاد وشمر والمصدر نشاء أي ربا وشبَّ ونشأت في بني فلان نشأ ونشوءا أي شبيبته فيهم^(٣).

وبهذه الجذور الثلاث نكون وصلنا إلى المعنى اللغوي للكلمة وهو التنشئة والإصلاح والتغذية.

أما كلمة السلوك فهي من جذر الفعل سلك: وهو أصل يدل على نفوذ شيء في شيء، يقال سلك الطريق أسلكه، وسلك الشيء في الشيء أي أنفذته^(٤).

ونفهم من هذا المعنى أن السلوك ما هو إلا ترجمان للأفعال التي تصدر من الإنسان فإن مشي في طريق الصلاح والخير فهو يحمل في نفسه هذه الآداب والأخلاق، وإن مشى في طريق الضلال والانحراف فهو يحمل في ثنايا نفسه هذا الضلال.

١. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٨٠ هـ)، العين، ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٨ / ٢٨٣

٢. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ٨ / ٢٨٣. كافي الكفاة صاحب إسماعيل بن عباد (ت: ٣٢٦ - ٣٨٥ هـ) ت: محمد حسن آل ياسين، المحيط في اللغة، ط: الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عالم الكتب، بيروت لبنان، ١٠ / ٢٧٥، ٢٧٦

٣. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، ١ / ٤٦٣

٤. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥ هـ)، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق سوريا، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ٣ / ٩٧. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣ هـ)، ت: أحمد عبد الغفور عطار، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط: الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٤ / ١٥٩١

المطلب الثاني: التربية والسلوك في الاصطلاح:

قبل البحث عن معنى التربية في الكتب الحديثة حاولت البحث عنها في كتب الشريعة الإسلامية من التفسير وكتب الحديث، ووجدت أن الكثير من السلوكيات والتوجيهات التي حثنا عليها القرآن الكريم ووجهتنا لها السنة النبوية المطهرة هي في الحقيقة تربية للنفس وتربية للجسم.

وإن كانت لم تستخدم الكلمة ذاتها بل كانت تنوّه إلى كل مقام بما يناسبه من توجيهات ونصائح ومصطلحات خاصة به، والتي كان يشار لها عموماً بكلمة آداب، كأداب المأكل والمشرب والملبس والاستئذان وآداب الصيام والزكاة وغيره، مما يتناول حياة الفرد الدينية والدنيوية، أو تعليم، أو إصلاح، أو تهذيب.

وقد رأينا في التعريف اللغوي للكلمة أنه يشمل على الزيادة والنماء والرعاية والإصلاح والتعليم، ومثله التدبير والتأديب، والرياضة والتي تعني ترويض وتعويد الجسم والفكر ومنه يمكن الاستدلال على ما كان يستخدمه الأوائل في تعليم الأطفال بقولهم رياضة الصبيان.

ونفهم من ضوء الاستخدام القرآني للكلمة والعبارات التي وردت في أحاديث النبي، وكذلك مؤلفات علماء المسلمين ونقلهم عن بعضهم القراءات والكتب وشروطهم لنقلها وحاملها وآدابها، أن هذه الكلمة شاملة لمجموعة واسعة من المفاهيم من تربية وتنشئة وتزكية للنفس الإنسانية في جميع مراحل حياة الإنسان، بدءاً من طفولته وحتى أقصى مراحل نموه بما يصل فيه إلى الحد الممكن من التمام والكمال، ونحن وإن حاولنا الوصول إلى ما ذكرت سابقاً فما علينا إلا الخطو وفق الخطوات التي وضحتها لنا القرآن الكريم والسنة المطهرة والتي وصلت بنا في مراحل ازدهار الدولة الإسلامية إلى أبهى الصور التعليمية في كل المجالات الأدبية والعلمية والفنية.

ونستخلص من ذلك كله التربية اصطلاحاً: هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً^(١).

وللوقوف على معنى التعريف لابد أن نتطرق إلى تفصيل كلماته، فالشيء هنا يستدل به على كل ما هو ممكن من الممكنات فكما هذا الممكن هو بحاجة إلى من يحدثه عند حدوثه فهو بحاجة إلى من يبقيه حال بقاءه فيستمر وينمو وينشأ وقد يكون هذا الشيء إنساناً أو حيواناً أو نباتاً، فكما أن هذه الأمور كانت مفتقرة لمن أوجدها وأحدثها فهي كذا مفتقرة لمن يغذيها ويساعدها في نموها.

وهناك تعريف أعطى معنى أوسع لما ذكرت أعلاه ألا وهو:

عملية بناء الطفل شيئاً فشيئاً، إلى حدّ التمام والكمال.

١. شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشف)، مقدمة التحقيق: إيراد محمد الخوخ، القسم الدراسي: جميل بني عطاء، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م، الناشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٣ / ١٦٥

ويمكن أن نفصل في معاني هذا التعريف كالتالي فهو أضاف لما سبقه ما ركز على جوهر التربية أكثر فاختيار كلمة بناء يستدل بها على البذل والجهد ومتابعة الأمر بالرعاية والاعتناء به وإصلاحه بعيدا عن الإهمال.

ومعنى قول شيئا فشيئا يعني التدرج يوما بعد يوم فالذي لا يمكن تحقيقه اليوم يمكن الوصول إليه غداً وهكذا.

وقول حد التمام والكمال يعني به الوصول إلى الحد الذي يتمكن فيه من التمسك بشرع الله فيحاسب نفسه ويراقبها ويكمل تربية نفسه وتغذيتها بشرع الله^(١).

ومعنى التربية عموماً هو مكان اختلاف، فكل ينظر إليها من منظور مختلف حسب ما يرى لها من غاية وأهداف، فإن كان الهدف منها توجيه الأطفال ليكونوا ضمن قالب معين فيمكننا تصور ما عبر عنه التعريف السابق من تنشئة الطفل شيئاً فشيئاً ليصل حد الكمال، وأما إن كان الهدف والغاية منها التغذية وصقل النفس لوصولها حد تستطيع الاعتماد به على ذاتها فهنا يمكننا أن نعرفها بتعريف آخر، فالتربية الحديثة وإن كانت علم لم يستقر بعد بتحديد الذي يستوجبه والنتائج المترتبة عليه يمكننا الإشارة إليه بالتطور الذي يطرأ ويضبط الشخص تجاه ما حوله^(٢).

وكما ذكرت آنفاً فإن البحث عن معنى التربية لا ينفك عن البحث عن أهدافها هل هي التركيز على نمو الفرد عقلياً ومعرفياً، أم مساعدته في تطويره لذاته وقدراته، أم الوصول إلى توازن في شخصيته أم أن هذا التوازن يجب أن يكون بين معارفه وما يطبقه فعلياً أم هي النجاح والتفوق في مجالات التخصص، أم هي تلبية لاحتياجات المجتمع والبيئة^(٣).

وكما ذكرت في بيان المعنى اللغوي للكلمة فإن علماء المسلمين استخدموا مصطلحات تصب في هذا المعنى الذي نريد كرياضة الصبيان أو التأديب أو التعليم، ويمكننا القول إن أول كتاب وصل إلينا في التربية هو كتاب أبو حنيفة النعمان (العالم والمتعلم) والذي عبّر فيه عن الكثير من الأفكار والآراء في هذا المجال والتي تحدث عنها وعبر عنها الكثير ممن ألف في التربية فيما بعد^(٤).

١. أحمد الجابري، آداب التربية في تراث الآل والأصحاب، نماذج تعامل الآل والأصحاب مع صغارهم، الطبعة الأولى ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م، مبرة الآل والأصحاب، الكويت، ص: ٣٢.

٢. أحمد حسن الزيات باشا (ت: ١٣٨٨)، مجلة الرسالة، العدد ٢٣٢، معنى التربية وضرورتها وقدرتها، ص: ١٧.

٣. ماجد عرسان الكيلاني الأردني، أهداف التربية الإسلامية، ط: الأولى، دار القلم، ص: ٢٤.

٤. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مصر، ص: ١٢٩.

أما السلوك اصطلاحاً فهو: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال فلان حسن السلوك أو سيء السلوك^(١). وبالنظر إلى المعنى اللغوي للكلمة والاصطلاحي نؤكد على أن السلوك هو مرآة تعكس أخلاق الإنسان في تصرفات فعلية تندمج مع التربية والتنشئة التي عاشها وكبر عليها.

وهذا الشكل إنما يدل على السلوك، فيعتبر هو الشكل الخارجي للأخلاق، وبهذا نعرف أن دلالة السلوك الدائم عند أحد من الناس هو انعكاس للخلق الذي هو عليه، وبالتالي هو اختصار له، على غرار العنوان، فعندما يكون السلوك جيداً فإنما هو إشارة على الخلق الحميد، وعندما يكون قبيحاً فهو دلالة على الأخلاق الذميمة، ويمكن تشبيه ذلك بالشجرة التي نعرفها بما تعطيه لنا من ثمرة، فالأخلاق الطيبة ثمارها الأعمال والتصرفات المنعكسة عنها.

والحكمة متفرعة إلى تفرعات كثيرة، ومن هذه الأغصان والتفرعات السلوك القويم، والانضباط بالخلق الفضيل، والابتعاد عن الخلق السيء الذميمة.

المبحث الثاني: التربية الفردية والجماعية:

كما هو معلوم ومعروف أن الفرد جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي فيه، وإن كان للمجتمع أن يقوم فلا يكون ذلك إلا بتضافر الأفراد وتجانسهم وتكوينهم هيكلًا واحدًا يحمل ذات القيم وذات المفاهيم، وإن تنافر بعض الأجزاء عن الكل إلا أن الكتلة العامة للمجتمع إنما قائمة على تماسك مبادئ الأفراد وتوجهاتهم، وبالتالي فإن تعليم وتربية وتنقيف الأفراد فيه ستنعكس إيجابياً على تصرفاتهم وسلوكياتهم وتلاحمهم فيما بين بعضهم البعض.

والنواة الأساسية لهذا المجتمع العظيم إنما هو الأسرة والعائلة، ولذا فإن التربية الفردية وتلاحمها في النواة الأصلية هي ما سيكون الهيكل واللبن الأساسية للمجتمع والعكس صحيح، فإن تنافر وانهيار وعدم ضبط الأفراد لأنفسهم ضمن هذه النواة سيؤدي إلى تفكك وتنافر الأجزاء الرئيسية المكونة له.

والدين الإسلامي إنما هو دين الفطرة، وهي التي تعدّه واحداً من داخل الجماعة، حقيقي الفردية، في جذره الميل إلى المجموع، وهو باستمرار يتقلب فيما بين هاتين النزعتين المختلفتين، مثلما يكون أثناء النوم يغير من جنب إلى الآخر ليجد الراحة، ولكن عند كل لحظة يشمل الجنبين على السواء بغض النظر عن الخلاف في المعدل والمقدار^(٢).

١. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض السعودية، ص: ٧٨

٢. السيد محمد نوح، شخصية المسلم بين الفردية والجماعية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثالثة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، المنصور مصر، ص: ٤٧

المطلب الأول: التربية الفردية:

مفهوم التربية هو مفهوم قديم الأزل بدأ ونشأ منذ هبوط الإنسان على الأرض، بل بدأت بذوره منذ أن كان أبو الأنبياء سيدنا آدم في الجنة، وما عاشه هناك من أحداث منذ خطابه له جل وعلا، وتطور الأحداث فيما بعد حتى هبوطه الأرض وسيدتنا حواء عليها السلام.

وبعد عصور وأزمان بدأ مفهوم التربية يبدو ويظهر كجوهر متفرد بذاته وكعلم مستقل، تحت البحث والتطوير والتأطير بدءًا بالعصر اليوناني وكذا زمن نشوء الإسلام في الجزيرة العربية، وتوجيهات السنة والقرآن إليه ومعالجة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء المسلمين وكذا ولادة الأمر وصولاً إلى عصرنا هذا.

وظهوره في العصور الأخير كفرع علمي متفرد بذاته جعل الكثير من المهتمين والمتعلمين يلقون الضوء على نظرياته وأبحاثه ويضعونها تحت مجهر التحليل والتجربة والبحث محاولين الوصول بذلك إلى أفضل النتائج.

ومن ضمن هذه النظريات نظرية التربية الفردية، أو بتعبير آخر التفرد في التربية، أو مراعاة الفروق الفردية، والتي تعني التركيز على الفرد بحد ذاته كجوهر مستقل مراعية فيه ما يفرقه عن غيره والصفات التي يتمتع بها عن غيره.

ومن أبرز هذه الصفات والفروق الذكاء وسرعة البديهة والاستجابة والاندفاع والكثير من الصفات الأخرى، فالله تعالى خلقنا أمما وشعوبا لكل منا بيئته وتاريخه وطبائعه التي جُبلت مع نفسه البشرية فكوّنت مجموعة من الفروق تميزه عن سواه، فهناك من يحب الهدوء والسلام وهناك من يحب الضجيج والحركة وهناك من يميل إلى تحصيل العلم وهناك من يميل إلى العمل وبذل الجهد وهناك من يميل إليهما معا، ومثل هذه الفروق الفردية الكثير والكثير مما لا يتسع المجال هنا للتفصيل فيه لأنه بالتالي سيجعلنا مضطرين للوقوف على هذه الفروق ومعالجتها واحدة تلو الأخرى.

ونحن بهذا نحترم ذاتية الفرد ونساعده ليكون فعالاً ضمن مجموعة، وتجدر الإشارة أن هناك من الاتجاهات التربوية ما لا يحبذ الوقوف على تلك الفروق من منطلق أن الفرد جزء من المجتمع وبالتالي الأفضل الوقوف عليها كصورة مجتمعية كاملة وعدم التركيز على الفرد وحده، إلا أنه من الأسلم معالجة هذه الفروق بما يساهم في انصهار الفرد في المجتمع بشكل سليم أكثر، وبشكل يجعل منه فردا فعالا منجزا مفيدا نافعا ليس ضارا، فبهذا الأمر نكون قد أشبعنا حاجة الفرد إلى ما ينقصه من منظور ما يفرقه عن غيره، وبالتالي ساهمنا في توفير حالة تربوية تستطيع الاندماج والانصهار في الجماعة دون الإضرار بها.

وقد توصلت النظريات في العصور الحديثة إلى كثير من الحلول التي تساهم فيما ذكرت سابقا من خلال توفير مدارس خاصة للمتفوقين أو ذوي الفروق الخاصة أو تسهيل منح دراسة للمميزين أو من يتمتعون بخواص يختلفون بها عن غيرهم أو اتباع منهج خاص ببعض الفئات كالإعفاء من الواجبات المرهقة، أو الامتحانات التي لا داعي لها، أو اجتياز مراحل تعليمية أو خطوات تقليدية يجتازها من سواهم ممن لا يمتلك ذات القدرات مثلا، أو التجاوز عن أساليب تربية تقليدية نظرا لعدم الحاجة لها أو العكس باتباع أساليب مختلفة ومتفردة مع هذه الفئة، وسنلقي الضوء على نماذج من التربية الفردية في المبحث الثالث من هذا البحث بعون الله.

المطلب الثاني: التربية الجماعية:

من المؤكد أن بدء الخليقة كان بسيدنا آدم عليه السلام لكن مما لا شبهة فيه أيضا أنه جل وعلا خلق له ذرية تضمن الاستمرار على هذه الأرض ومن هذه الذرية تفرعت القبائل والشعوب، فالفرد فيها جزء من جماعته وشعبه، وكذا أشارت السنة النبوية إلى هذا بتشبيه المسلمين كالجسد الواحد إن مرض أو تعب منه عضو تأثرت به الأعضاء الأخرى كلها، فقد قال النبي ﷺ: **الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ**^(١).

بالتالي فإن الجماعية هي ضد الفردية والتربية الجماعية اصطلاحاً تعني: تنمية الشخصية الإسلامية للفرد من جميع الجوانب، الإيمانية، والعقلية، والجسمية، والنفسية، والاجتماعية، من خلال وسط تربوي يضم مربّ ومجموعة من المتربين، يحدث بينهم تفاعل إيجابي، وتبادل للخبرات، وذلك من خلال منهج معين وأساليب مشبعة، تهدف إلى تقوية مشاعر الأخوة الإسلامية والحب في الله بينهم^(٢).

في الحقيقة إن التربية الجماعية هي ما يطغى بصورة أقوى في مجال التربية، وهي ما يبرز بشكل أوضح عندما نقف على نماذج لها وأمثلة عليها.

فالفرد مهما عمل لذاته ومهما طور من نفسه وهذبه لا بد أن ينعكس ذلك على جماعته وبيئته، والتربية الجماعية تعني المجتمع بالصورة الأعم، ومن هذا المنظور انطلقت الحلقات والكتاتيب والمدارس والصفوف وما سواها مما يعطي ثماره ونتائجه بشكل أسرع وبصورة أسلم، حيث إن الفرد يتماشى مع جماعته ويلتحم بها ويتحرك ضمنها في حركة جماعية متزنة، وهناك كثير من الأنشطة والفعاليات التربوية لا تتم إلا ضمن مجموعة وهيئة كبيرة تضمن لها الوصول إلى الهدف المراد تحقيقه، وفي القرآن الكريم

١. أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ت: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصارى، محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي، أبو نعمة الله محمد شكري بن حسين الأنقروي، **صحيح مسلم**، رقم الحديث ٢٥٨٦ باب تراحم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم، دار الطباعة العامرة، تركيا، ١٣٣٤ هـ، ٨ / ٢٠

٢. نايف بن محمد القرشي، **التربية الجماعية في الإسلام**، دراسة تأصيلية، دار ابن الجوزي، ط: الأولى، الدمام المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢ هـ، ص: ٢٧

والسنة النبوية المطهرة نماذج كثيرة ومفصلة على هذه التربية سنلقي عليها الضوء في المبحث الثالث من هذا الفصل.

الفصل الثاني: الخصائص التربوية في القرآن الكريم:

المبحث الأول: التعريف بالخصائص التربوية:

المطلب الأول: معنى خصائص لغة واصطلاحاً:

الْخُصُوصُ: مَصْدَرُ خَصَّ يَخُصُّ، وَخَصَّصْتُ الشَّيْءَ وَاخْتَصَصْتُهُ^(١)، وَخَصَّصْتُ الشَّيْءَ خُصُوصًا، وَاخْتَصَصْتُهُ. وَالْخَاصَّةُ، الَّذِي اخْتَصَصْتَهُ لِنَفْسِكَ^(٢)، وَالْعُمُومُ بَخْلَافِ ذَلِكَ^(٣).

فالخاص ضد العام وهو بالتالي ما يتفرد به الشيء عن غير من أمور لازمة له وحده عن غيره، ومنه جاءت كلمات وتراكيب كثيرة تدل على الانحصار كخاصة وخصوصاً وبالأخص وعلى الأخص ومخصص لـ وغيرها من تعابير في لغتنا العربية والتي نعني بها الحصر والتعيين على وجه الخصوص، فإن كان للتربية خصائص فهي ما يميزها عن غيرها، وهي ما تتفرد به عن سواها من أنظمة التربية الأخرى.

ويمكن أن نتوصل إلى تعريف خصائص التربية اصطلاحاً بأنه: مجموعة من المفاهيم التي تتميز بها التربية الدينية الإسلامية عن غيرها من أساليب التربية الأخرى.

المطلب الثاني: الخصائص التربوية للقرآن الكريم:

إنَّ التربية في الإسلام وما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة له كثير من المزايا التي تجعله يتفرد في محتواه وغايته وهدفه، ويضمن له الاستمرارية والثبات على مر العصور والأزمان، ومن خلال النظر في كتب التربية يمكننا جمع هذه الخصائص في اثنتي عشرة خاصية، وهذه الخصائص هي:

الربانية: مما هو معلوم ومعروف أنَّ الدين الحنيف ليس من وضع البشر، بل جاء ممن خلقه وسواه وعدله، وهذا أعظم ما تختص به الشريعة والتربية الإسلامية فخالقها هو الأعلم بها وبأحوالها.

وإن أردنا التمثيل لهذا والله المثل الأعلى كما لو أن أحدهم اخترع آلة فهو أدري من غيره بما فيها وما يلزمها وكيفية تشغيلها ونقاط ضعفها وقصورها، والله المثل الأعلى خلقنا وهو أعلم بكل أحوالنا، جعل لنا منها ثابتاً موافقاً لما جبلنا عليه، وسيكون لنا تفصيل عن هذه الخاصية في المبحث الثاني من هذا الفصل.

١. إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، ٤ / ١٥٧

٢. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ٤ / ١٣٤

٣. أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، ٢ / ١٣٥

الغاية والهدف: لم يخلق شيء على وجه الأرض عبثاً، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الدَّارِيَات: ٥٦]، ولم يتركنا الخالق نهيم على وجوهنا في الأرض دون دين يوجهنا، ودون أنبياء ورسل يبينون لنا شريعتنا، فالإنسان في فطرته وتركيبته ما هو إلا كتلة من الأهواء والشهوات، إن ترك لنفسه فني وهلك، وإن اتبع دينه خُلف واستمر، فوضع لنا الدين الهدف من الخلق وسن لنا أساليب تربية وتقويم لنصل إلى الغاية التي خلقنا لها.

التوازن والاعتدال: قال جل وعلا ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] هذه الوسطية التي ينبثق منها التوازن، وعدم الميل، والاعتدال، وعدم الاعوجاج، هو ما يفرق الأمة المحمدية عن غيرها من الأمم، فالتوازن شمل جميع جوانب حياة الإنسان النفسية والاجتماعية الروحية والجسدية الحسية والعملية، ولم يترك لجانب أن يطغى على آخر أو يميل فترجح كفة على أخرى، وهو ما أوصانا به النبي عليه والصلاة مرارا وتكرارا.

التكامل والشمول: إن الإسلام لم يركز على جانب دون آخر ولم يشرع عبادة أو يحد حدّ دون أن تلمس بها أكثر من جانب، فالصوم مثلاً تربية للنفس وإصلاح للجسد وكفارة الصوم معكوسة على المجتمع وكذا الكثير من التشريعات التي تتكامل فيها صورة المسلم مع صورة الأمة، ﴿أَحْسَنَ الْيَوْمِ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [النَّاسِ: ٣]

الإيجابية: إن الذي ينتج من امتزاج الطاقات التي عند الإنسان وترابطها ببعضها سوياً، إنما هو تحوّل الشخص إلى كتلة من الطاقة الحسنة الفعالة العاملة في الحياة الواقعية^(١).

والإسلام يحث على التفاؤل وينفر من التشاؤم، ويشجع على التفكير الإيجابي والنظرة الإيجابية للحياة، ولا يحبذ عكس ذلك، فقد نهى النبي عن التشاؤم فقال: (لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَالشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَرَأَةِ، وَالْدارِ، وَالدَّابَّةِ)^(٢)، ومن أجمل ما يربي عليه المؤمن هو حسن الظن بالله واستشعار معية الله في كل أحواله، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَة: ٤٠]، وإصلاح النية.

التدرج: وهو ما ظهر بارزاً جلياً في ديننا الحنيف منذ لحظة نزول القرآن وسن التشريعات وظهور الناسخ والمنسوخ منها، ﴿قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإِسْرَاء: ١٠٦]

١. محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ط: الرابعة عشر، دار الشروق، القاهرة مصر ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ١ / ٣٠.
٢. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، رقم الحديث: ٥٤٢٥، كتاب الطب، باب لا هامة ولا صفر، دار ابن كثير ودار الإمامة دمشق سوريا، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ٥ / ٢١٧١

فالانتقال من حال إلى حال والتغيير لا يحدث إلا على مراحل وخطوات، ولا يكون فجأة ناسفًا لما قبله، فيبقى قلب الإنسان معلق بالماضي وبما اعتاد عليه وألفه حتى لو كان خطأ وضلالاً، بل يأتي ليتدرج به فيثبت ويرتكز في عقله وروحه معاً، وهذا التدرج يتناسب طرداً مع فطرة الإنسان لإصلاح نفسه البشرية وبناء شخصية متوازنة وكيان مستقر وسلوك قويم مُتزن، وفي القرآن والسنة الأمثلة الكثيرة على هذا التدرج.

المرونة والثبات: هاتان الصفتان متضادتان في اللفظ متحدتان في القصد، فديننا هين لين له من التشريعات والتوجيهات ما يناسب حياة الإنسان أجمع في كل أحواله فهنا هي أحكام الصلاة متنوعة مفصلة في الحل والسفر والصحة والمرض وفي ذات الوقت هناك ما تشريعه ثابت لا حيد عن كأصول الدين والإيمان بالحق فهو طريق واحد لا اعوجاج عنه، فالثبات له مواضع والمرونة كذلك، فلا تضارب مع المرونة المتداعية والثوابت الحقة.

الاستمرارية: لم ينحصر ديننا في زمن وفئة بل استمر وامتد وسيستمر إلى أن يكون الله وارث الأرض وكل ما فيها، بدأ منذ ولادة أبو الأنبياء، فيبين له أن يستمر في حياته ومعيشته حتى بعثه ونشوره، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾ [مَرْيَم: ٤٠]

المراقبة: بين الله عز وجل لنا أنه معنا حيثما كنا وهو الأعلم بما في قلوبنا ولا نفصح به لغيرنا وبين لنا أنه الأعلم بما نخبئ في صدورنا، فأخبرنا في أكثر من آية قرآنية عن تواجده معنا أينما نكون وأنه يسمع ويرى كل ما نفعل ونقوم به من أعمال وأقوال ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] وجعل ديننا الحنيف للإنسان رقيب عليه من ذاته ونفسه يأمره بالمعروف وينهاها عن المنكر، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [الْمُدَّثِّر: ٣٨].

الفردية والجماعية: وسنتناولها في المبحث الثالث من هذا الفصل.

المثالية والواقعية: وسنتناولها في المبحث الرابع من هذا الفصل.

العالمية والإنسانية: وسنتناولها في المبحث الخامس من هذا الفصل.

المبحث الثاني: الربانية:

إن ميزة شريعتنا الإسلامية وكل ما جاء فيها أنها من عند ربنا عز وجل وحي منه، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [التَّجْم: ٣ - ٤]، وكل ما تفرع عنها إنما هو تحت ظل تعاليم وتوجيهات الإسلام، فمنذ

نزل أول آية علمنا الله أن نقرأ باسمه عز وجل، ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝﴾ [العلق: ١]، وبين لنا في القرآن الكريم أن شريعة الإسلام هي من عنده عز وجل، ولهذا فإن رغبات وشهوات وأخطاء البشر بعيدة كل البعد عن سننها وتعاليمها، وبالتالي فإن العبث والتبديل والتغيير فيها محال، فقد تعهدا الله بالحفظ والصون، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾ [الحجر: ٩]

المطلب الأول: مفهوم الربانية:

أصل الكلمة من الفعل المضعف: ربب، والرب هو الله عز وجل وهو رب كل شيء حيث هو مالك له، له صفة الربوبية على كافة الخلق لا شريك له، وتطلق هذه الكلمة على المالك والسيد والمدبر والمربي والمتمم^(١).

ويمكن أن تطلق هذه الكلمة على غير الله لكن بالإضافة إلى غيرها: مثل رب الأسرة أو رب العمل، وهي مصدر مصاغ من اللفظ، يقال له المصدر الصناعي، وهو أن يُزاد على اللفظة ياء مشددة، وتاء التانيث، كالحرية، والوطنية، والإنسانية، والهمجية، والمدنية^(٢).

فما أروعها وأشملها من كلمة، وما أجمل أن تشعر وتلمس في حياتك هذا المعنى، لك رب مالك يُدبر أمورك، ويُربّي شخصيتك ويكمل ما فيها من نقص، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عِبْدُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٣٨]، ويقوم ما فيها من قصور، أمّا من ينسب إلى هذه الكلمة اسمه الربّيون: الذين تجملوا بالصبر مع الأنبياء، وانتسبوا إلى العبادة وكلمة الإله في علم الربوبية لله^(٣)، فهم في هذا قد أقروا والتزموا بشعائر الله واتبعوا الرسل والأنبياء ومنهجهم.

وبناء على ما سبق من المعنى اللغوي نستطيع أن نعرّف الربانية بأنها المنهج الذي تسير عليه شريعتنا، وبتعبير أوضح فالربانية تعني: أن تُميّز الأمة في الإسلام بأنها ذات صبغة من الله ومن الرب فهو تميّز مُنبثق عن الوحي وعليه ذلك فهذه الصفة هي واحدة من الخصائص التي يتصف بها تميّز الأمة، بالنظر من المورد الذي جاءت منه، ومن جهة أهدافها وغاياتها^(٤).

١. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧ هـ) القاموس المحيط، ت: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثامنة، بيروت لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص: ٨٧. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٢ / ٥٩٩

٢. أحمد بن محمد الحملاوي (ت: ١٣٥١ هـ) ت: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، شذا العرف في فن الصرف، مكتبة الرشد الرياض، ص: ٦١

٣. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ٨ / ٢٥٦

٤. إسحاق بن عبد الله السعدي، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المُستشرقين منه، ط: الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، ٢ / ٥٠٣

المطلب الثاني: الربانية في القرآن

إن معية الله التي تتجلى في آيات القرآن الكريم ماهي إلا تأكيد لمعنى الربانية التي يريد الإسلام منا أن نتحلى بها، ونتصف بها كمسلمين متبعين لشرع الله، ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] فنفهم من الآية المعنى التالي أن قول النبي للناس كونوا ربانيين ما هو إلا معناه التحلي بالصفات التي يكونون عليها أي: حُكَمَاءَ عُلَمَاءَ حُلَمَاءَ، وعليه يعني أن تكونوا أَهْلَ عِبَادَةٍ وَأَهْلَ تَقْوَى^(١).

المطلب الثالث: الربانية في السنة

تتجلى الربانية في السنة من حيث كونها شارحة وموضحة للقرآن الكريم، فكانت منهاجاً في التربية والتعليم، ونلمس هذا في جهود الصحابة عند تتبع الآيات وحفظها في الصدور، فالأمة منذ نشوئها تربت على القرآن الكريم وتعاليمه وأوامره ونواهيه وحدوده وتشريعاته وكل ما ينظم حياة المسلم الأسرية والاجتماعية، وكان القدوة ومثلها الأعلى في ذلك الرسول عليه السلام، فقد نزل القرآن منجماً على ثلاث وعشرين عاماً منذ نزول أول آية وحتى تمامه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] الآية، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، وذلك وقت فسيح ومدة كافية لتنشئ وتربي وتعلم فتتكمّل الشخصية المسلمة وتتجوهر بذور الأمة، وإن كل ما يمرّ إنما يكتمل على عدة مراحل تدريجياً، فينتقل حال الأمة إلى حال آخر تماماً، ومن شكل ونمط إلى آخر، فكانت تربيتها إلى أن كتب الله لها الاكتمال بتمام هذه النعمة، والله سبحانه إنما هو الذي يربي وينعم ويملك ويتصرف ويصلح ويدبر، وقد تركزت تلك المعاني في إنشاء الأمة الإسلامية وتقدمها واكتمالها^(٢).

المبحث الثالث: الفردية والجماعية

أكرمنا الله كبشر بأن أرسل لنا دستوراً شاملاً كاملاً متكاملًا لحياتنا، فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وما جاء فيهما من أقوال وأفعال وتقريرات، هما منهج المسلم في حياته الشخصية والاجتماعية والعلمية والعملية، ومنذ أن بدأ التكوين الأول للإنسان ومنذ خلقه جل وعلا في الجنة كان لنا في تلك القصة حكم وعبر، وكان لنا فيها دلالات وإشارات، ومن الغاية بالأهمية أن نقف على ثلاث مراحل أساسية في خلق الإنسان ونستخلص العبر والحكم منها وتربية الله لنا فيها وهذه المراحل تشمل الغاية من الخلق ومن ثم الاستمرار والاستخلاف ومن بعده الاستعداد للأخرة، فبعد هبوط آدم عليه السلام الأرض لا بد له من دستور

١. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، ت: سامي محمد بن السلامة، تفسير ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٦٦ / ٢.

٢. إسحاق بن عبد الله السعدي، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، ٥٣٤ / ٢.

ومن منهج، فكانت حياته الأولى وما كان فيها من عبر، ووحى الله تعالى له هي الدروس الأولى للبشرية، فقد أخذ الله أولاً العهد على الإنسان أن يعبد ولا يشرك به شيئاً^(١)، ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ ٱلْأَسْوَءَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا

بَلَىٰ ۖ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: ١٧٢]

وإن في الآيات القرآنية الكثير من العبر والدلالات على تنقل الإنسان بين الفردية والجماعية، فالإنسان يولد وحيداً وينشأ ضمن مجتمعه يأخذ منه ويزيد عليه ويعود لبيعته وحيداً ومن ثم ليحشر مع من في شاكلته، فنرى من صور التربية الذاتية في الإسلام مسؤولية الشخصية أي فردية التبعية نتيجة للعمل الذي يقوم به^(٢).

المطلب الأول: نماذج التربية الفردية في القرآن الكريم:

يعتبر طلب العلم من أهم نماذج التربية الفردية في القرآن، وقد أكد كتاب الله العزيز في الكثير من المواضع على أهمية العلم وفضل العلماء، وأنهم في مرتبة لا تستوي مع غيرهم ممن لا يعلم ولا يفقه من العلم شيئاً، فقال جل وعلا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ﴾ [الزمر: ٩] وقال: ﴿يَرْفَعُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾ [المجادلة: ١١].

وقد اتفق علماء التربية الإسلامية على أنه ليس من الغرض من التعليم حشو الأذهان بالمعلومات وحسب، بل الغرض أن نهذب أخلاقهم، ونربي أرواحهم ونبت فيهم الفضيلة ونعوّدهم الآداب السامية^(٣).

ومع العلم يظهر لنا الثبات على المبدأ فهو أهم ما يحدد مصير الفرد في الأمة وفي مجتمعه وفي حياته، وإن هذا الثبات ليرتكز على أمور مهمة ومن أولها العقيدة السليمة القوية التي تقوم على الإيمان بالله تعالى والرسول المبعوثين من عنده، لتأتي من بعدها العبادات فتقويها وتثبتها وأولها الصلاة والصوم وقراءة القرآن والذكر.

وللثبات على المبدأ مواضع كثيرة في حياة الفرد تنعكس بدورها على الأمة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومجاهدة النفس في كل المواقف التي تجرّها إليه الحياة الدنيا، ومواجهة المصائب بقوة وصبر وتحمل، واختيار الحكمة والتروي في حل الأمور، وقد أمرنا الله بالثبات وعدم اتباع الأهواء في كثير من المواضع، وأن على المسلم الحق أن يسير وفق شرع الله ومنهاجه، يجتهد على نفسه في عدم الوقوع في

١. هاشم علي الأهدل، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، دار التربية والتراث، ١٤٢١هـ، ص: ٩

٢. هاشم علي الأهدل، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، ص: ٤٣

٣. محمد عطية الأبرشي، التربية في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص: ٩

الأهواء والشهوات التي قد تضله عن طريق الحق فيجد نفسه نائها في ظلمات الجهل والضلال، فقال جل وعلا: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَآخِضْهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۝﴾ [المائدة: ٤٨ - ٤٩]

أما العبادات فهي الرابطة الدائمة والمستمرة بين الإنسان وبين ربه، ومع تشريع السنن جعل الله له العبادات جنبًا إلى جنب تشعره بوجوده وقربه من خالقه، بل وتجعل هذه العبادات من أدائها رقيبًا عليه وعلى تصرفاته، فكلما قام بأدائها وتقرب بها إلى خالقه كلما نضجت روحه ومشاعره واتزنت حياته وانتظمت، والعكس صحيح فكلما أهملها ونسيها عاش في الهم والغم والكرب وشعر بالوحدة والعزلة والنقص.

ومن رحمة الله أن العبادات علينا تنوعت وتشكلت في ديننا الحنيف، فمنها الباطنية ومنها الظاهرية ومنها الفردية وهو ما سنتطرق له هنا ومنها الجماعية، فالعبادات الباطنية هي أعمال القلوب كالعلم بالله وحبه والتوكل عليه والخوف منه والولاء للمسلمين والبراءة ممن يشرك بالله وما يندرج تحتها من أقسام على الفعل والترك، والظاهرة هي التي تؤدي بالجوارح كقيام الليل وصياح التطوع والصدقة وقراءة القرآن والأذكار^(١).

فذكر الله له أثر كبير وعميق في تربية النفس، وتزكية المشاعر، وتحريك الضمير، وإحياء لمشاعر تقوي الذات الإنسانية، وتنمي الثقة بالنفس والشجاعة والثبات على القرار وغيرها مما يجد شباب اليوم وناس اليوم صعوبة في الوصول إليها والتحلي بها وتزكيته، فتراهم متخبطين بين الأطباء النفسيين والمستشفيات، والحل حقيقة موجود بين أيديهم وعلى ألسنتهم، فكفاك ذكر الله لتشعر أنه معك وأنت محاط بنوره كل دقيقة وثانية.

غير ذلك الكثير من الأذكار التي تألف وتكون شخصية مستقلة متزنة قادرة أن تكون شخصا ذو قيمة وثبات في الأمة قادرا على أن تقود وتحرك الأمة^(٢).

ويقوي ذلك قراءة القرآن فهو أعظم معجزة في العصر وهو نعمة الله على خلقه، ولنا في القرآن شفاء وراحة واستئناس، فإله تعالى جعله لنا ملجأ ومأوى معنويا نعود إليه ونهتدي به في كل أمور حياتنا^(٣).

وإننا لنرى الكثير من الناس كيف به يكون في هم وغم شديد فإن قرأ القرآن استبشر وارتاح وكأن الهم زال وتلاشى كيف لا هو شفاء صدورنا، ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الإسراء: ٨٢]

١. هاشم علي الأهل، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، ص: ٦٥ و ٦٦

٢. انظر هاشم علي الأهل، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، ص: ٧١

٣. انظر هاشم علي الأهل، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، ص: ٦٨

ومن ضمن ما يساعد الفرد على تنمية ذاته والمحافظة على صفائها والعون على اتزانها هي النوافل، فهي تعينه على حياته أجمع، فإن أراد التقرب والاهتداء بسنة رسول الله فعليه بنوافل الصلوات الخمس، وإن كان في حيرة وشتات من أمره فعليه بالاستخارة، وإن كانت نيته تصفية الذهن والخلو مع الله تعالى بعيداً عن ضجيج البشر وزحمة الأيام فعليه بصلاة قيام الليل، وذلك لما في الليل من هدوء وسكينة فهو أدعى لاستجماع الفكر وتصفية الذهن والتفكير السليم بعيداً عن المشوشات والمعوقات، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ (٧٩)

[الإشراء: ٧٩]

المطلب الثاني: نماذج التربية الجماعية في القرآن الكريم:

الدعوة إلى الدين من أبرز صور التربية الجماعية فالتمكين في الأرض وإحقاق الشريعة لا يتم إلا بالدعوة إلى هذا الدين، وبالتالي فالدعوة واجبة على المسلم والدعوة تكون عبر طريقين رئيسيين: دعوة أهله ومن تحت رعايته، ودعوة من في الأرض من البشر، ولذا فقد أمرنا الله في كتابه العزيز بالصلاة وأمرنا أن نأمر أهلنا بها فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] فلا نكتفي للقيام بالعبادات والطاعات وحدنا بل نعلمها ذريتنا ومن سيخلف الأرض من بعدنا، وزاد عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن رأينا اعوجاجاً قومناه وإن رأينا سنة ومعروفاً منسياً ذكرنا به وشجعنا عليه.

وإن الدعوة إلى الحق لا بد أن يتفرع عنها الجهاد والقيام به ولن يستطيع المسلم القيام بهذا الواجب دون أعوان يشدون أزره ويقومون عضده ويساعدوه لإعلاء راية الحق^(١).

وأقرب مثال لنا على ذلك سيدنا موسى عليه السلام عندما طلب أن يكون أخيه معه يشد أزره ويعينه على الحق عندما أمره الله جل وعلا بالذهاب إلى فرعون، ومن أمثلة هذا الكثير فالله عز وجل أيد نبينا بصاحبه في الغار وجعل السكينة في قلوبهما.

فالجهاد مطلوب لإعلاء كلمة الدين في الأرض والمجاهدة عليه أمر محقق على المسلمين، فتكون كلمة الله الحق هي السائدة في الأرض، وانطلاقاً من هذا أمر الله بالقتال والجهاد لإعلاء كلمته: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا

تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (٣٢)

ويقوي ما ذكرنا العبادات فقد حث الإسلام على إقامتها جماعية وإن كان لبعضها صور فردية، إلا أن قيام الجماعة بها أدعى وأكثر أثراً في النفس، فهي تمكن في حياة الفرد الفكرة الجماعية وتلاحم وانسجام الجزء مع الكل، فالصلاة وإن كان كل فرد مسؤول هو بذاته عن أدائها إلا أن الجماعة مطلوبة فيها بل قد تكون فرضاً كصلاة الجمعة، فما أعظمها من اجتماع دوري مصغر للمسلمين كل أسبوع، تجتمع أفئدتهم على

١. السيد محمد نوح، شخصية المسلم بين الفردية والجماعية، ص: ٣٥

العبادة والامتثال لأمر الله، هذا الاجتماع الحقيقي الذي جلب إليه كل من حمل في قلبه إيمان صادق لله عز وجل جمعه مع أمثله، يسمعون للخطبة وما فيها من رسائل عظيمة يشترك الجميع في الاستماع والانصات إليها، ومن ثم ينصرفون لمشاغلهم في الحياة حاملين ذات القيم وذات الأفكار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ۖ﴾ [الجمعة: ٩ - ١٠]

ومن العبادات الجماعية أيضا الصيام، والصيام مشاركة جماعية في فترة معينة^(١).

فالإنسان وإن كان يصوم بذاته بينه وبين ربه وجزاء الصوم كذلك لله وحده، إلا أن إقامته في زمن موحد يشاركه فيه كل المسلمين له من الحكمة العظيمة، فالجميع في ذات الحال والجميع إن أداه على أكمل وجه فسيحصل على ذات النتيجة، ويعقبه العيد تلك الفرحة الجماعية بأداء هذه العبادة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٨٣] فالله عز وجل بين لنا هذا الفرض ووضح لنا المعفيون منه إلا أننا لنرى أن الفدية كانت كذلك منعكسة على المجتمع وعلى الإخوان المسلمين من حولنا فهو عبادة فردية جماعية في ذات الوقت.

ومثله الحج هذا الملتقى العام للمسلمين جميعاً، أعظم شعيرة تجسد الوحدة وقوة الدين، يجتمع فيه المسلمون في مكان واحد وزمن واحد من كل أطراف الدنيا على أقدس بقعة في الأرض^(٢).

فهو أعظم وأضخم وأجمل اجتماع لمسلمين توافقت قلوبهم على الإسلام وحب الدين والسعي له، توحّدوا في العبادة وأداء الشعائر، وكانت أفئدتهم وقلوبهم واحدة مجتمعة، هو مؤتمر إسلامي عظيم جعل الله فيه أعظم الحكم والعبر لتجتمع كل الأفئدة المؤمنة بالله عز وجل على الطاعة والعمل في سبيله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ۝﴾ [البقرة: ١٩٧]

المطلب الثالث: نماذج التربية الفردية في السنة النبوية:

إن لنا في رسول الله قدوة حسنة في كل حياتنا بدءاً بأدق تفاصيلها إلى جُلِّ أمورها، ولنا في معيشتة عليه الصلاة والسلام حكم وعبر، وطريق هداية نسلكه لنستنير به في حياتنا ونزينها بأجمل وأفضل أسلوب للحياة، وإن هذه التربية والنماذج ماهي إلا هي بذور تعكس ثمارها على الأمة أجمع، فلو قام بها الأفراد

١. نايف القرشي، التربية الجماعية في الإسلام، ص: ٣١

٢. نايف القرشي، التربية الجماعية في الإسلام، ص: ٣٢

كلهم رغم اختلافهم وتباينهم لوجدت مجتمعا تفوح منه رائحة الإيمان والطهارة الخالصة النقية، بدءا من النوم والاستيقاظ والطهارة والطعام والشراب وحتى الزواج وبناء الأسرة وسنتناول نماذج سريعة لبعضها. فالطهارة أبرز ما علمنا عليه الصلاة والسلام، وميّز به الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم، ووضع له ضوابط وشروط، ليكون الإنسان به في أعلى درجات الكمال من النظافة، فصار أسلوبا متبعا في الحياة بنظافة البدن من الدنس والأدران، ومن أبرز ما يمكن الاستدلال به هنا هو الوضوء عن أبي هريرة قال: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ)^(١)، فهو لا يدعو للطهارة فحسب بل الإسباغ والإطالة بما يميزنا عن غيرنا من الأمم في الدنيا ويوم البعث.

ومن دروسه لنا في أسلوب معيشتة عليه السلام الأكل والشرب جالسا وأن يأكل بسم الله ومما يليه، ومن أبرز ما يمكن الاستدلال به هنا الحديث عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: كُنْتُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي: يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ^(٢)، وإن انتهى من الطعام حمد وشكر الله عليها، وقد ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا^(٣)، وفي كتب الحديث والسنة النبوية المطهرة الأحاديث عن كل ما يمكن أن يتحلى به المسلم من آداب في طريقة أكله وشربه.

ونقل عن النبي صل الله عليه والسلام كثير من العبادات التي أداها منفردا، وأول العبادات الفردية النية، ونوى الأمر ينويه، إِذَا قَصَدَ لَهُ^(٤)، فهي الأصل في كل أحوالنا وما يحيك في صدرنا اتجاه أفعالنا، وقد حثنا عليه الصلاة على إصلاح نيتنا، والابتغاء بها وجه الله عز وجل، عَنْ عُمَرَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرَأٍ مَا نَوَى^(٥).

أما الأذكار المنقولة عن رسول الله ففي كل حركة نخطوها بدءا من النوم والاستيقاظ، والخروج من البيت والدخول إليه، والطعام والشراب، والدعاء عند المصيبة، واحتساب الأجر من الله عز وجل، لنا فيه أذكار

١. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ١٣٦، كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء والغر المحجلين من أثر الوضوء، ١ / ٦٣

٢. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم الحديث ١٠٨ - ٢٠٢٢، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب، ٦ / ١٠٩

٣. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم الحديث ٨٩ - ٢٧٣٤، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله بعد الأكل والشرب، ٨ / ٨٧

٤. أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، ٥ / ٣٦٦

٥. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٥٤، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية الحسنة وأن لكل امرئ ما نوى، ١ / ٣٠

وأوراد جاءت عنه عليه الصلاة والسلام وتذخر كتب السنة والحديث به، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إِنْ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي^(١).

المطلب الرابع: نماذج التربية الجماعية في السنة النبوية

الرعاية أفضل صورة يمكن أن تعبر لنا عن الجماعية، وتعتبر الرعاية واضحة جلية في خطاب القرآن كما رأينا سابقا فهو يحث على أن يربي الإنسان ذاته ويسمو بشخصيته إلى أسمى الدرجات وإنما يكون في الجهوزية التامة لذلك، فينتقل من الرعاية الفردية إلى الجماعية.

وإن التربية الذاتية ورعاية الفرد لنفسه أولا تبدأ قبل سن البلوغ بالتعويد على المسؤوليات وعلى الفرائض وعلى تلبية الاحتياجات بما يوافق الشرع الحنيف، وإنها لتأخذ منحًا جديًا ومسؤولًا بعد بلوغ الإنسان سن البلوغ حيث تكون له مسؤولياته الذاتية التي لن تفارقه حتى وفاته، وتنتقل هذه المسؤوليات إلى مجتمعه الصغير حيث زوجته وأولاده وعائلته وكل من تحت رعايته، ولا يفرق ديننا الحنيف هنا بين رجل وامرأة فالكل راع ومسؤول عن رعيته^(٢).

فعن رسول الله ﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْحَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)^(٣).

وها هو عليه الصلاة والسلام يجعل للنساء نصيبًا من مجلسه ويشجعهن على تقديم ما تعلموه لأولادهم ليكون شفاعة لهم، فعن أبي سعيد الخدري: قال النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرَّجَالَ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَفِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعِظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: (مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ). فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ: (وَاثْنَيْنِ)^(٤).

وقد حثت السنة على كثير من العبادات التي تؤدي مع الجماعة وتقوي أواصر وروابط الأفراد فيما بينهم كالحضور في صلاة الجمعة، وأداء الحقوق المفروضة فيما بين المسلمين ذاتهم مثل زيارة المريض،

١. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم الحديث ١٩ - ٢٦٧٥، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله، ٨ / ٦٦

٢. انظر هاشم علي الأهدل، التربية الذاتية ص: ٤٤ و ٤٥

٣. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٨٥٣، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ١ / ٣٠٤

٤. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ١٠١، كتاب العلم، باب: هل يجعل للنساء يوم على حده في العلم، ١ / ٥٠

والخروج لاتباع الجنازة، واستجابة الدعوة، وقس عليها الحضور في مجالس الذكر التي يباهي الله فيها الملائكة^(١).

وأذكر هنا صلاة الجماعة فقد حث رسولنا عليها بقوله: (صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعَشْرِينَ دَرَجَةً)^(٢)، وكذلك صلاة التراويح في رمضان فناهيك عن هذا الشهر الفضيل وما يحمله للمسلم من تربية وتزكية فهو يحثه على الاجتماع كل يوم مع أقرانه لأداء هذه النافلة، دون أن يكون في أداءها عبء على المصلين الصائمين، ففي لقاء الأخوة ترويحاً للقلب وتشجيعاً للنشاط في العبادة والاستئناس بالصالحين والجلوس معهم.

جاء عن أم المؤمنين عن صلاة التراويح أن النبي خرج في رمضان في ليلة، فصلاها في المسجد وكان هناك رجال فصلوا خلفه، وفي الصباح تحدثوا عن ذلك، ففي الليلة التالية اجتمع عدد أكثر، فصلوا خلفه عليه السلام، وهكذا في الليلة بعدها، فكثر المصلون أكثر وأكثر، إلى أخ خاطبهم في اليوم الخامس فَقَالَ: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخَفْ عَلَيَّ مَكَانَكُمْ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَفْرُضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا). فَتَوَقَّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ والأمر على ذلك^(٣).

المبحث الرابع: المثالية والواقعية:

إن مما يتميز به الإنسان بشكل واضح عن غيره هي جهوزيته الدائمة للرقى والارتفاع، فهو في صعود دائم لبلوغ أعلى مراتب الكمال، ومستعد لأن يثبت تفوقه حتى على ذاته، ويسمو على الواقع للوصول إلى المثال، وإن الدين الإسلامي وهو يوافق واقعية هذه الفطرة على الرغم مما فيها من نقطة ضعف وما تحمل من طاقة محددة لا يهمل ويتجاهل هذه الطاقة فيه التي تريد تحقيق المثال^(٤).

إن أكمل ما يصل إليه الإنسان في حياته الدينية والدنيوية يكون عند تطبيقه لشرع الله فالإسلام جاء مكملًا ومتمًا للأديان قبله، وقدم لنا بتشريعه وكل ما فيه صورة متكاملة متجانسة، وجعل لنا قدوة حسنة نسير وفق خطاها لنبلغ أفضل حال يبلغه البشر في دار الدنيا، وشرعت لنا الشرائع من عبادات وتلبية احتياجات دينية وحياتية تضمن ما يغذي حاجة الإنسان ليستمر في الأرض فلم يبالغ ويضيق في تشريعه بما يكون صعبا على الإنسان منفردًا له وحجة له للحياة عنه فلا يستطيع تطبيقه، بل على العكس تماما ضمنت له أفضل

١. هاشم علي الأهل، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، ص: ١١٨

٢. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث: ٦١٩، كتاب الجماعة والإمامة، باب: فضل صلاة الجماعة، ٢٣١ / ١

٣. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ١٩٠٨، كتاب التراويح، باب فضل من قام رمضان، ٢ / ٧٠٨

٤. محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ٣٢ / ١

وأيسر ما يمكن أن يعيشه، مع وصوله الكمال الذي يريد، فهو يعرف حدود الإنسان وطاقته وقدرته، ويعرف نقاط ضعفه.

المطلب الأول: مفهوم المثالية والواقعية:

المِثَال، بالكسر: المَقْدَار، وَهُوَ مِنَ الشَّبَهِ وَالْمَثَلِ مَا جُعِلَ مِثَالًا، أَي مِقْدَارًا لغيره يُحَذَى عَلَيْهِ، والجمع أَمْثَلَةٌ ومُثَلٌّ^(١).

والطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى: الْأَشْبَهُ بِالْحَقِّ، وَأَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً: أَعْدَلُهُمْ وَأَشْبَهُهُمْ بِأَهْلِ الْحَقِّ^(٢).

والمثالية هي سعي الفرد لتحقيق أعلى درجات الكمال على كافة الأصعدة.

وقع الأمر: يُقَالُ لِكُلِّ آتٍ يُنَوَّقِعُ قَدْ وَقَعَ الْأَمْرُ كَقَوْلِكَ قَدْ جَاءَ الْأَمْرُ^(٣).

أي تمّ وحدث والواقع هو الحادث، وواقعية الإسلام هي الواقع المثالي الذي يجعل المثالية قابلة للتطبيق، وتسعى للوصول إلى درجة المثالية في غير تعنت ومن غير قسر^(٤).

المطلب الثاني: المثالية في القرآن والسنة:

لا شك أن من نزعة الإنسان رغبته بأن يكون في أعلى درجات الكمال والتمام، سواء أكان ذلك في معيشتة وما يأكل وما يشرب وممن يتزوج، مروراً بعبادته وطريقة أدائها وبلوغ أقصى الكمال فيها، وانتهاء بمكانته بين الخلق والناس، فجاءت الشريعة تلبي هذه النزعة ضمن إطار سليم قويماً فلا يطغى فيها جانب على آخر ولا يميل خلق على حساب غيره، بل ضبطتها بحيث إن أداها الفرد حق أداء سيشبع في نفسه وذاته ذلك الشعور، وسيجد أنه بلغ أعلى درجات الكمال التي بينها الشرع له.

المقصد الأول: المثالية في القرآن:

يبين القرآن المثالية التي تتجلى في الإنسان بتوضيح خلق الإنسان وأنه أعلى درجات الحسن والجمال، ﴿لَقَدْ

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝﴾ [التين: ٤].

فإنه صورنا وأحسن صورنا وجعل لنا السمع والبصر والفؤاد، وسخر لنا الأرض ومن عليها، ورأينا في خاصية الربانية كيف ميزنا الله بهذا الدين الحنيف، وفي تعاملنا مع غيرنا حثنا على التعاون في الخير والبر والتقوى ونهانا عن الشر والإثم والعدوان، ودعانا إلى تحقيق هذه المثالية حتى ونحن في عبادتنا لنكون

١. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٣٠ / ٣٨٢

٢. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: ١٠٥٦

٣. ابن منظور، لسان العرب، ٨ / ٤٠٢

٤. محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ١ / ٥٩٤

هداة مهديين، مبشرين لا منفريين، فهذه دعوة صريحة إلى حسن الأخلاق والابتعاد عن سيئها، والأمثلة على ذلك كثيرة فقد نهانا عن الغيبة والنميمة وعن التجسس وصور لنا فعل هذا الخلق السيء بأشد تصوير ينفر الإنسان عنه، وغير ذلك من الدعوة للأخلاق الحسنة واجتناب سيئها مما يسمو بالإنسان ليكون مثاليا بين ذاته ومجتمعه، فشرع لنا ضوابط تحقق لنا أعلى درجات الكمال في عبادتنا ودعانا إلى الإسراع في تحصيلها، لبلوغ جزاءه وإحسانه عز وجل بدخول جناته في أعلى درجاتها، وتحصيل ما فيها من خير ونعيم جزاء على هذا العمل والسير وفق ما يريده، ووفق ما يختص به هذا الدين عن غير، وما يخصص به كل من يتبعه.

المقصد الثاني: المثالية في السنة:

ذكرت السنة النبوية الكثير والكثير من الفضائل التي يحصلها الإنسان في عبادته، يشجعه ويجعله يتسابق في الخيرات مع غيره فيها، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خُطْوَتَاهُ: إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً^(١)، فحتى في المشي إلى المسجد جعل لنا فيها مثوبة ورفع، ومثله الترغيب في بناء بيوت الله، فقد جاء عن عثمان بن عفان أنه أراد أن يبني مسجدا فقابل ذلك بغير ما يريده ورأوا أن يبقى على حاله، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ^(٢).

المطلب الثالث: الواقعية في القرآن والسنة:

إن الواقعية هي أمر ضروري لاستمرار حياة بشرية متوازنة، فكون الإنسان في حالة مجاهدة دائمة ومواجهة دائمة للواقع الذي يعيش، وما يطرأ عليه من حوادث، وما يستجد من أمور، سيدمر حياته النفسية والمادية، ويشتت شخصيته ويضعفها، فيجد في الخروج عن الطريق المستقيم ملاذا ومهربا، ولذا فقد جاء الشرع بما يضمن للإنسان التكيف مع واقعه تحت مظلة الدين وأوامر الله، فلم يكلفنا بما هو فوق طاقتنا، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

وعلى سبيل المثال الله عز وجل يدعونا إلى التقوى واتباع أوامره واجتناب نواهيه، والتقوى أعلى القيم التي يصل إليها المسلم في عبادته، ومع ذلك قرن الله عز وجل التقوى بالاستطاعة، وعبر عز وجل عن

١. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم الحديث ٢٨٢ - ٦٦٦، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ ثُمَّ حَيَّ بِهِ الْخَطَايَا وَتَرَفَّعَ بِهِ الدَّرَجَاتُ، ٢ /

٢. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم الحديث ٢٤ - ٥٣٣، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل بناء المساجد والحث عليها، ٢ / ٦٨

ذلك بعدم تكليف الإنسان ما فوق طاقته بل بما يضمن له القيام بتلك التكاليف من استطاعة روحية وجسمية، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التَّغَابُن: ١٦]

فالواقعية الإسلامية هي توازن بين واقع الإنسان الأدنى بكونه إنسانا له احتياجاته الفطرية وعنده نزواته وشهواته المادية، وواقع الإنسان الأعلى وهو القيم السامية التي يسعى بها إلى تحقيق المثالية والتكامل، وبين لنا عز وجل ضعف النفس البشرية إزاء الكثير من الشهوات ودعا لضبط النفس والتقوى والصبر لنيل ما عند الله من خيرات، ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتْنُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ [آل عمران: ١٤]

فشرع لنا من الأحكام والرخص ما يخفف عنا العبء، وبين لنا أنه لا ضير ولا حرج في تشريعات ديننا، فدعانا إلى نظرة متوازنة ككفي الميزان هي ابتغاء ما عند الله من خير مع الإقرار بنصيبنا من الحياة الدنيا، فلا تغطي كفة على الأخرى ولا يخسر واحدة دون غيرها، فيكون قادرا على الموازنة بين ما عنده وما أراده الله منه، ليصل بذلك إلى أحسن الجزاء وهو الجنات العلاء.

المقصد الأول: الواقعية في القرآن:

إن أمثلة الواقعية في القرآن تناولت كل الجوانب الدنيوية التي فيها معاش واستمرار الإنسان في الأرض، مما يهيئه للتوازن النفسي والاستقرار الروحي، بدءا من اختيار الزوجة وبناء الأسرة والتعدد وانتهاء بأحكام الطلاق بما يجسد واقعية الدين في أبهى صورها، وكذا السفر وأحكامه، والمأكل والمشرب مروراً بكل الأحكام الدنيوية، فالدين بين لنا الحلال والحرام وما لا يحل لنا أكله وشربه، لكنه في ذات الوقت رخصه لنا حالة الضرورة لأن الهدف هي بقاء الإنسان والمحافظة على روحه ونجاته من الفناء، ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ

بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥]

ومثلها العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج، فالصلاة فرض وواجب ولها أحكامها وضوابطها، لكن السفر مشقة وعناء فيأتي الإسلام بواقعه ليشرع لنا القصر حال السفر تخفيفاً من عبء المشقة وتيسيراً علينا، فنحن نعبد الله حق عبادته بما يتناسب وواقع الأمر الذي نعيش، ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ

جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١]

وقس عليه أحكام الصلاة عند الحرب والغزو، والرخص في الوضوء والتيمم، وما سوى ذلك مما يجعل للإنسان فسحة ورخصة ولا يوقعه في ضيق ومشقة، فتجعله قادرا على أداء العبادة بما يتناسب مع واقعه، ومثله الصيام تلك العبادة الروحية الجسدية، تزورنا في العام مرة ولنا فيها من الأجر والثواب الكثير، إلا

أن ضعف الإنسان البدني أو وقوعه في حالة ترحال لا استقرار تستوجب الرخصة، فشرع الله لنا أحوالا تيسر علينا القيام بهذه العبادة الجليلة، ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وفي الكتاب العزيز الكثير والكثير من الرخص الأخرى، التي تبين لنا أن ديننا يلمس حياتنا الواقعية بكل تفاصيلها.

المقصد الثاني: الواقعية في السنة:

إننا لنجد في السنة النبوية الكثير والكثير من الرخص التي تساعد الإنسان على تحقيق تلائم وتوافق بين واقعه الذي يعيش وعبادته التي يؤديها.

ومن أبرز ما يمكننا أن نستشهد به هنا قصة الرهط الذي جاء يسأل عن عبادة النبي وطريقته، فلما أعطوا الجواب كأنهم استقلّوها، فبرروا ذلك بأن النبي عليه السلام ليس كمثلهم فهو مغفور له ما تقدم من الذنب وما تأخر، ليخرج عليه رسول الله فيوقظهم وينبههم إلى إنسانيتهم وإلى واقعهم وما يطرأ عليه من تغييرات وما يحدده من طاقات فطرية ونهاهم في ذات الوقت عن الرغوب عن هذه الفطرة.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه يقول: جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أتى لأخشاكم لله وأنقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني^(١).

ويمكننا هنا أن نذكر مثالا آخر على الرخصة في الدين وتماشيها مع أحوال الإنسان بالرخصة في الصوم والزكاة والصلاة، فالدين وإن دعانا للإسراع في أداء العبادة إلا أنه نوه إلى استحباب أدائها والإنسان في كامل استعداداته وتهينته الروحية.

فعند اشتداد الحر يستحب الإبراد في الصلاة، فبينما عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قال: إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ^(٢). وعند السفر قصرها، أَبُو مَعْمَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: حَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ، حَتَّى رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ. قُلْتُ: أَقَمْتُمْ بِمَكَّةَ شَيْئًا؟ قَالَ: أَقَمْنَا بِهَا عَشْرًا^(٣).

١. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٤٧٧٦، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ١٩٤٩ / ٥

٢. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم الحديث ١٨٣ - ٦١٥، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر، ١٠٧ / ٢

٣. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ١٠٣١، كتاب الكسوف، أبواب تقصير الصلاة، ١ / ٣٦٧

المبحث الخامس: العالمية والإنسانية:

العالمية هي خصيصة مهمة للتربية في الإسلام، فهي لم تنحصر وتخصص في مجتمع أو بيئة معينة من البيئات، بل كانت مهية لأن تناسب كل الخلائق مهما اختلفت بيئاتهم، تهى تلك المجتمعات وتصبها في قوالب شرعية تضمن لها الحياة الكريمة والهناء والرفاه الاجتماعي، ولم نرى عبر العصور والأزمان مجتمع من المجتمعات عانى من شرائع الإسلام وتحكيمه، وأراد أن ينفص عنه وعن التزاماته الاجتماعية، بداية من تكوين الأسرة والأحوال الشخصية من زواج وطلاق وانتهاءً بأحكام الموارث، بل على العكس تماماً وجدنا أن ما انشق من المجتمعات عن ضوء الدين في سننه الوضعية والتشريعية يعيش في تعاسة وبؤس وتفكك عائلي فالحقوق ضائعة والضوابط متفلته، وإن خرج من يقول عكس ذلك وأن بعض المجتمعات تركت قوانين الشريعة الإسلامية لحجج قوية في نظره واهية في نظرنا، فالعيب والقصور ليس في الشريعة بل فيمن طبقها وفقاً لأهوائه وغاياته، فكم من قوانين وضعية رضخت واعترفت بسنن الإسلام المجتمعية ونجوعها في بناء المجتمعات السليمة رغم أن الإسلام قد دعا لها منذ بدئه في الجزيرة العربية.

المطلب الأول: مفهوم العالمية والإنسانية

علم: عِلْمٌ يَعْلَمُ عِلْمًا، نقيض جَهْلٍ. ورجل علامة، وعالِمٌ، وعليم، والعالم: أي الأنام، يعني: الخلق كله، والجمع: عالمون^(١). ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وَالرَّبُّ هُوَ: المتصف بأنه المالك وأنه المتصرف، ونلاحظ إطلاقها في اللغة على السيد الذي يتصرف بالإصلاح، وجميع ما ذكر صواب في حق الله تعالى، عن ابن عَبَّاسٍ: الحمد لله الذي له الخلق كله، السماوات والأرضون، ومن فيهن وما بينهن، مما نعلم، ولا نعلم^(٢).

وبناء على ما ذكرنا فإن لفظ العالمين شامل لأجناس الخلق كلها في أي مكان أو زمان، جميع خلق الله مما علمنا ومما لا نعلم وعلمه عند الله وحده، أما مفهوم العالم فهو يشمل هذه المعاني، وأمّا المعنى الشامل للعالمية من حيث اعتبارها واحدة من الخصائص التي تميّز الأُمَّة الإسلامية فهي: السمة العامة الشاملة لهذا التميّز وملاءمته للمكلفين في كل مكان، وصلاحيته في كل زمان؛ لأنّه ينبثق من عقيدة الإيمان بالله المالك لكل شيء، ورب كل شيء، والذي أحاط بعلمه كل شيء، ويقف المكلفون إزاءه على قدم المساواة، دون النظر إلى أجناسهم، أو لغاتهم، أو أوطانهم، أو أزمانهم، ولأنّه ينتهج نظاماً شرعه الله عز وجل^(٣).

١. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين ٢ / ١٥٢، ١٥٣

۲. أبو الفداء اسماعیل بن عمر بن کثیر، تفسیر ابن کثیر، ۱ / ۱۳۱

٣. إسحاق بن عبد الله السعدي، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، ٥٨٩ / ٢

أنس: الإنسان، بالكسر: البَشَرُ، سُمِّيَ الْإِنْسِيُّونَ لِأَنَّهُمْ! يُؤَنَسُونَ، أَي يُرَوَّنَ^(١)، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الدَّارِيَات: ٥٦]، والإنسانية هي تكريم الشريعة للإنسان، وتسخير الأرض له، وتكريمه، ورفع شأنه، وتمييزه عن الحيوانات بخواصه وطبائعه والقوانين التي سنتها له، فالله خلق الإنسان من نفس وروح وجسد ولكل منها احتياجاته، فاحتياجات الجسم من أكل ومشرب وزواج، يشارك فيها غيره من المخلوقات إلا أن ما يرفعه عنها هو قوانينها وحدودها وكيفيةها فأمرنا بالأكل والشرب دون إسراف وتبذير وسن لنا الزواج لبقاء النسل واستمرار الحياة ضمن أحوال خاصة تجعل من تأسيس هذه المؤسسة غاية في الأهمية والحساسية، بهذا امتازت الشريعة، فلو ضاعت الحقوق واختلت الموازين لشابه الإنسان غيره من المخلوقات، ولرايت الناس تأكل حقوق بعضها البعض وتقتل وتدمر دون وازع أو رداع.

المطلب الثاني: الإنسانية في القرآن والسنة

إن الحياة المادية التي يعيشها الإنسان لا يمكن أن تنفصل عن حياته الفكرية والعقلية وأيضاً وروحه وحياته النفسية، وبالتالي فإن المشاعر الروحية لا تنفصل عن الواقع المادي^(٢).

وهذه حقيقة الكيان الإنساني فلا يطغى جانب على آخر ولو توهم لنا ذلك، وقد نتوهم أنه تم التركيز على جانب على حساب الآخر، إلا أن الحقيقة أنه عمّ ما في الإنسان من احتياجات حتى في عبادته، فلم يفرض عبادات على حساب الجسد والجسم بل شرّع وسن ووضع قوانين وأحوال ليخلص الإنسان في عبادته قدر الإمكان، على عكس الأنظمة الوضعية المليئة بالثغرات والأخطاء.

والإنسانية تبرز واضحة في استغلال طاقات الإنسان بما يصلح حياته ومجتمعه ويوظفها لعمارة دين الله في الأرض، فيعود نفسه على مشاعر مختلفة تعودده على الارتباط بغيره وتزيد من روابط الإنسانية في مجتمعه، فبعد أن اعتنت كل الاعتناء بالإنسان من كل الجوانب انتقلت لتسن ما يوازن حياته مع الآخرين.

المقصد الأول: الإنسانية في القرآن:

جاءت الشريعة تحثّ على الشعور بالغير واحترام خصوصيته وعدم التعدي على حقوقه وعظمت من خطورة قتل النفس البشرية، وفي ذلك الكثير من الآيات والأحكام التي تبين لنا مكانة الإنسان وأهميته في مجتمعه وأثره فيه في كل الجوانب، فالله بين لنا كيف خلق الناس من أصل ونفس واحدة، ثم كان من هذه النفس زوجها، وهما آدام وحواء عليهما السلام، ومن بعد ذلك كانت الشعوب والأمم، والتي هي أكبر وأشمل من القبائل ومن ثم ذكر القبائل ومن بعدها مراتب كثيرة أخرى^(٣).

١. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٥ / ٤٠٨

٢. محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ١ / ٢٢

٣. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير ابن كثير، ٧ / ٣٨٥

ودعا القرآن إلى التحلي بالأخلاق والفضائل من الأعمال وبين كما رأينا في الآية السابقة أن أكرم الناس عند الله أتقاهم، وكذا أثنى على نبينا عليه الصلاة والسلام بقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الْقَلَم: ٤]

ودعا إلى أن يتعاونوا على البر والتقوى والأمر بالمعروف وينهوا عن المنكر لتتجلى أسمى معاني الإنسانية والأخلاق الفاضلة، وشرع الأحكام ليضمن التجانس الإنساني فيما بين البشر بعضهم البعض، ولبي احتياجات فطرة الإنسان من طعام وشراب وزواج وعبر عنه بأسمى الكلمات فجعله سكن معنوي ومودة ورحمة، وبيّن حال المسلمين فيما بينهم فوصفها بالأخوة ودعا إلى الإصلاح فيما بينهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجُرَات: ١٠] وفي سورة الحجرات الآيات التي تدل على ضرورة العناية بالأخوة في الإسلام.

وأخيرًا فقد شدد ونهى وبين عظيم الاعتداء على النفس الإنسانية وشبهها بأبلغ تشبيه ليرتدع كل من تحدته نفسه بمثل هذا الفعل، فقتل النفس بغير حق كأنهاء الحياة وقتل كل البشر وهو إن أقدم على مثل هذا يكون كمن يريد إنهاء كل البشر على الأرض، قال جل وعلا: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المَائِدَة: ٣٢]

المقصد الثاني: الإنسانية في السنة:

الإنسانية في السنة تتجلى في الأسرة الصغيرة إلى المجتمع المحيط بالمسلم من حيث تشديدها على أهمية الأخوة المعنوية فيما بينهم، ومنها أحاديث أهمية الجار، فعن السيدة عائشة تقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيُورَثَنِي^(١)، وانتهاءً بمكانته في بنية المجتمع، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِغْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَحْذِلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِزُّهُ^(٢).

١. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم ١٤٠ - ٢٦٢٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، ٨ / ٣٦

٢. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم الحديث ٣٠ - ٢٥٦٣، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، ٨ / ١٠

وبين لنا النبي عليه الصلاة والسلام علاقتنا فيما بين بعضنا البعض كيف تكون وعلى ماذا تبنى، ووضح أن المسلمين فيما بينهم كالجسد الواحد والبناء المتماسك يقوي بعضهم البعض، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا^(١).

المطلب الثالث: العالمية في القرآن والسنة:

ذكرنا في تعريف العالمية شمول هذه الكلمة لكل الخلائق في هذه الأرض مما علمنا وما لم نعلم، وعليه فإن العالمية تنقسم إلى قسمين الخلائق من بشر والقسم الثاني ما سواهم من المخلوقات.

والله تعالى وضح علاقة المسلمين مع غيرهم من أصحاب الأديان فلم يجعل المسلمين متوقعين على أنفسهم، مغلقين ضمن دائرتهم، بعيدين كل البعد عن أحداث عصرهم، بل جعل العلاقة بينهم وبين غيرهم علاقة تضمن تبادل المصالح والمنافع وتوازنها وتقوي روابط الإنسانية، دون الرضى والركون إلى ما هم فيه من كفر وضلال، والخضوع إلى أحكامهم، ودون مناصرة لهم في القضايا التي تمس جوهر الدين وتضر بمكانته، وذلك كله ضمن حدود وخلف حواجز منع الإسلام من تجاوزها، فكانت العلاقة عبارة عن علاقة تعارف وتكاتف وبرّ وعدل ومسالمة ومعاشرة بالتي هي أحسن، ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الْمُنْتَحَن: ٨]

المقصد الأول: العالمية في القرآن:

إن الإسلام ليس دين فرد أو جماعة بل دين الناس كلهم، على اختلاف أممهم، ورغم اختلاف طبائعهم وألوانهم وبلادهم، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

فربط هؤلاء البشر مع المسلمين بروابط تقوي العلاقة فيما بينهم، وبل وقد تكون إن طبقت تطبيقاً صحيحاً دون إفراط ولا تفريط سبباً في دخول هذه الأمم الإسلام أفواجا، وقد رأينا عبر العصور والتاريخ الأمثلة على هذا، ومن صور هذه العلاقة المتوازنة، ضمان الحرية الدينية لغير المسلم وممارسة شعائهم والدعوة إلى الإسلام دون إجبار أو إكراه، ﴿إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وتركهم يمارسون شعائهم دون التعدي عليهم، ودون الموالاة والمناصرة فيما يمس الدين، ونوّه لعدم المساس بما يأكلون ويشربون وإن كان يتعارض مع الإسلام كأكل الخنزير وشرب الخمر، وتركهم يمارسون حياتهم ضمن قوانين دينهم الحياتية من زواج وطلاق وميراث، وامتداداً لذلك فقد تجلت أروع صور للإحسان إليهم فأباح للمسلمين الأكل والشرب منهم وزيارتهم والتعامل في المعاملات الدنيوية والتجارية معهم، ﴿أَلَيَّوْمَ أَجَلٌ لَّكُمْ الطَّيِّبَتُ وَطَعَامُ

١. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم الحديث ٦٥ - ٢٥٨٥، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاوضهم، ٨ / ٢٠

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ

﴿الْمَائِدَة: ٥﴾

المقصد الثاني: العالمية في السنة:

إنَّ رسالة النبي عليه السلام خاتمة الرسالات ولهذا فمن الطبيعي أن تكون رسالة تحقق الشمول العالمي في البشرية إلى يوم البعث، ولقد كان نهج النبي عليه السلام في التعامل مع غير المسلمين نهجا مثاليا متكاملا يضمن التعايش والحقوق في كل نواحي الحياة، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام: أُعْطِيَْتُ خَمْسًا، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُجِلَّتْ لِي الْمَعَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيَْتُ الشَّفَاعَةُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعثَ إِلَى النَّاسِ عَامَةً^(١).

ولهذا فلم تهمل السنة غير المسلمين بل أوصت بهم خيرا وبالتعامل معهم ضمن حدود الإسلام ومنهجه، وحتى لو بادروا بالإساءة فقد بين لنا نهج نتبعه معهم، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ! فَقَالَتْ عَائِشَةُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ. قَالَتْ: أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ^(٢)، فنلاحظ هنا حسن توجيه النبي لنا في التعامل مع غيرنا لنكون حليمين مصالحين غير عدوانيين، لانرد الإساءة بمثلها، بل بشكل يناسبها ليعرف صاحبها حده ويلتزم مكانه.

وكذا نجد في السنة النبوية ما لا يرى حرجا في التعامل معهم في المعاملات الدنيوية كالبيع والشراء والدين وغيرها ضمن حدود الشرع، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ أَعْطَى خَيْبَرَ الْيَهُودَ، عَلَى أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا، وَلَهُمْ شَطْرُ مَا خَرَجَ مِنْهَا^(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: اشترى رسول الله ﷺ مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا، وَرَهْنَهُ دِرْعَةً^(٤)، فنرى هنا جواز التعامل معهم والرخصة في ذلك.

١. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٣٨٢، كتاب التيمم، ١ / ١٢٨

٢. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم الحديث ١٠ - ٢١٦٥، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم ٧ / ٤

٣. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٢٢٠٦، كتاب المزارعة، باب المزارعة مع اليهود، ٢ / ٨٢١

٤. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٢٣٧٨، كتاب الرهن، باب الرهن عند اليهود، ٢ / ٨٨٨

ولم تنحصر عالمية الإسلام بشمولها البشر فقط بل امتدت لتحفظ للحيوان حقه فلا تهيئه ولا تظلمه ولا تجور عليه وتقسى، فقد في باب صحيح مسلم في باب النهي عن ضرب الحيوان ووسمه فيه، فقد ورد أنه نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ، وَعَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ^(١).

وفي الأضحية والذبح أمرنا بالرحمة وعدم تعذيب الحيوان والإحسان إليه حتى في تلك الحالة، فقال: عليه السلام إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدْ أَعْدَاكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرَخَّ دَبِيحَتَهُ^(٢).

وبين عقوبة جزاء من يقوم بتعذيب وظلم الحيوان فقال: عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ هِيَ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ^(٣).

وأمرنا بالحفاظ على بيتنا ومعرفة قيمتها فحث على إمطة الأذى عن الطريق وكتب لنا فيه أجر الصدقة، عن النبي ﷺ: يُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صدقة^(٤)، وهي طريق لشكر الله ومغفرته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغُفِّرَ لَهُ^(٥).

الفصل الثالث: المبادئ التربوية في القرآن الكريم:

المبادئ جمع والمفرد مبدأ، وتعريف المبدأ لغة: بدأ: واجتماع هذه الحروف الثلاثة وهي الباء ومن ثم الدال وأخيرا الهمزة دلالة من افتتاح الشيء، يُقال بدأت بالأمر وابتدأت، من الابتداء^(٦)، وبدأ الشيء فعلة ابتداء^(٧).

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البُورُج: ١٣] ﴿قَ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]

١. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم الحديث ١٠٦ - ٢١١٦، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه، ٦ / ١٦٣

٢. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم الحديث ٥٧ - ١٩٥٥، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، ٦ / ٧٢

٣. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم الحديث ١٣٣ - ٢٢٤٢، كتاب البر والصلة، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي، ٨ / ٣٥

٤. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، ٢٥ باب إمطة الأذى، ٢ / ٨٧١

٥. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، رقم الحديث ١٢٧ - ١٩١٤، كتاب البر والصلة، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، ٨ / ٣٤

٦. أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، ١ / ٢١٢

٧. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: ٣٣

اصطلاحًا: فكرة عامة شاملة تنبثق عنها أفكار فرعية^(١).

والمبادئ التربوية في القرآن موزعة على الآيات التي توجّهنا لقيم تربوية شتى في القرآن الكريم وسنتناول بعضها منها في هذا الفصل، وقد تناولنا في بداية هذا البحث واحدًا منها ألا هو التربية الفردية والجماعية.

وهذه المبادئ إنما تبرز لنا أثناء ظهور مشكلات تربوية سواء في الماضي أم الآن ووجود الحل الأمثل لها في القرآن الكريم، فالقرآن قد سبق البشر بأشواط وأشواط في وضع أطر مبادئ التربية، وسنتكلم في هذا الفصل عن أبرز المبادئ التي دعا إليها القرآن الكريم.

المبحث الأول: وجوب التعلم ونشر العلم:

إن وجوب التعلم ونشر العلم يندرج تحته الكثير من التفاصيل المهمة التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، ابتداء من طلب العلم، ووجوب تعليم الصبيان والصغار ذكورا كانوا أم إناثا، وانتهاء بتعليم النساء وحثّهن على تحصيل العلم، ووجوب نشر ونقل هذا العمل وعدم كتمه لكافة بقاع الأرض، فمع العلم يعم النعيم والخير والهناء، ومع الجهل تعم الفوضى والضلال، ويجد الإنسان نفسه غائبا في غياهب الكون، غير مدرك لما يجري ويحدث من حوله، فتراه لاحول ولا قوة له في كل ما يدور حوله وتراه متقلب بين الفوضى وعدم الاستقرار.

وقد دعا الرسول لطلب العلم، وحث عليه في جميع أحواله ودعا إليه، وإننا لنرى في السنة النبوية الأمثلة على ذلك كثيرة والشواهد وفيرة، فهو لم يذكر التفريق في جنسيته أو جنسه إن كان ذكرا وأنثى، وكذلك لم يفرق في سنه سواء أكان كبيرا أم صغيرا، ولا في أحواله أكان حالة الصحة أم المرض وسواء أكان في حالة حرب أم سلم واستقرار، وحث على الاستمرار في طلبه والسعي من أجله وبين فضل العالم على غير، فقد كان عليه السلام يكافئ الأسرى من الكفار بإطلاق سراحهم عندما يقومون بتعليم المسلمين مما يعلمونه^(٢).

المطلب الأول: الحث على تلقي العلم:

١. عبد الرحمن نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ط: الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص: ٥٥

٢. محمد عطية الأبرشي، التربية في الإسلام، ص: ١٤

لقد حث القرآن على طلب العلم وتحصيله، وذلك برفع مقدار درجة العالم والمتعلم، وتكريمه، وبيان فضله على غيره، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] رَبِّ زِدْنِي علما إلى الذي علمتني أمره بمسائله من فوائد في العلم ما لا يعلم^(١)، أي علمني مالا أعلمه^(٢).

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، فهل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخطئون في عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرا، ولا يخافون بسيئها شرا^(٣).

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] والمراد من الكلام، الخبر عن شهادة من ارتضاهم من خلقه فقدّسوه من ملائكته وعلماء عباده^(٤).

وبين رسولنا الكريم أن من أراد الله له الخير جعله يفقه ويفهم دينه، فعن رسول الله ﷺ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ^(٥).

وعنه: لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلِطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا^(٦)، فنرى هنا كم أن طلب العلم والسعي لأجله وتحصيله فيه من الخير للإنسان لدرجة يحسد عليها.

وقد حض الإسلام على طلب العلم والاستزادة منه وعلى الأمانة في نقله، فنقلوا من حضارة الشرق والغرب ما ناسب عقيدتهم، وتركوا الخرافات والأساطير، وكوّنوا لأنفسهم فلسفة وحضارة تمتاز بقوتها وشمولها وبساطتها وعظمتها، وأهدافها عن كل فلسفة^(٧).

المطلب الثاني: تعميم التعلم:

١. محمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠) تفسير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ١٨ / ٣٨٢
٢. علي بن أحمد النيسابوري، التفسير البسيط، ١٤ / ٥٤٢
٣. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ٢١ / ٢٦٨
٤. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ٦ / ٢٧٢
٥. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٧١، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ١ / ٣٩
٦. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري رقم الحديث ٧٣، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم، ١ / ٤٠
٧. عبد الرحمن نحلاوي، أسس التربية الإسلامية وطرق تدريسها، دار الفكر، دمشق سوريا، ص: ٢٩

عم الشيء يعم عُمومًا: شمل الجماعة^(١)، وهو ضد الخاص، ونستخلص من هذه الكلمة معنيان مهما أولها ألا ينحصر العلم في جنس أو فئة معينة بل هو حق لكل شخص كبيرًا أو صغيرًا، ذكرًا كان أو أنثى، غنيا كان أو فقيرًا، والمعنى الثاني نشره في البقاع للملل والأمم الأخرى فلا يقتصر على أمة دون غيرها.

وقد جاء في تاريخنا ما يؤكد هذا من نشر العلم وإفشائه بين الناس، كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ: انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاكْتَبَهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ، وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلْتَفَسِّحُوا الْعِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعْلَمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا^(٢).

وشبه رسول الله ﷺ من آتاه العلم ونقله وعلمه لغيره كالأرض الخصبة النقية توتي أكلها وثمارها وينال من خيرها الجميع على عكس من جهل فكان كالأرض الجدباء لا نفع منه: مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْعَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قِيلَتِ الْمَاءُ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءُ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرَبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا قِيَعَانِ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ^(٣).

المطلب الثالث: إلزامية التعلم:

لزم: يدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائما ويقال: لَزِمَهُ الشَّيْءُ يلزمه^(٤)، وألزمه إياه فالتزمه^(٥).

وهي بمعنى أوجب عليه الأمر، وتعتبر كلمة إلزامية التعلم من المصطلحات الحديثة التي تبين الفكر التربوي الحديث، إلا أن هذه الكلمة قد استخدمت منذ عصور على يدي علماء المسلمين معبرين عنها بوجوب تعليم الصبيان والبنات^(٦)، استشهدا بحديث النبي: طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.

فنرى أن الآباء والأولياء كانوا يتسابقون ويهتمون بتعليم أطفالهم على اختلاف أعمارهم، وإن كان هذا التعليم يقتصر على اللغة والدين، إلا أن في التاريخ الإسلامي الأمثلة والشواهد الكثيرة على تعليم أبناء

١. إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١٩٩٣ / ٥

٢. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٣٤، كتاب فضل العلم، باب: كيف يقبض العلم، ١ / ٤٩

٣. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٧٩، كتاب العلم، باب: فضل من علم وعلم، ١ / ٤٢

٤. أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، ٥ / ٢٤٥

٥. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: ١١٥٨. إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٥ / ٢٠٢٩

٦. محمد منير مرسى، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، دار المعارف، طبعة منقحة ١٩٨٧م، ص:

السلطين والأمراء وكذا الأسر الميسورة لأولادهم شتى ألوان العلم حتى أن الكثير منهم لا يكاد يبلغ سن الرشد إلا وقد ألم بعلم من العلوم ولغة من اللغات.

المطلب الرابع: تعليم الأطفال:

هناك عدة مراحل يمر فيها الطفل ليكون جاهزاً لتلقي العلم والنهل منه، والتربية الإسلامية متدرجة تتمشى مع طبيعة نمو الإنسان ومن مظاهر تدرج التربية الإسلامية الاهتمام بتربية الجسم في السنوات الأولى من حياة الطفل حيث تكون هذه التربية ألزم ما تكون لنموه الجسمي السريع في هذه المرحلة، ثم تأت مرحلة التأديب والتهذيب والتعليم بعد هذه المرحلة عندما يصل الطفل إلى سن العقل والتمييز، ولهذا تكون التربية في هذه المرحلة تربية عقلية أخلاقية^(١).

وقد حدد بعض الفقهاء وعي الطفل بقدرته على التمييز بين الدابة والحصان، أي بين الجنس والنوع، وفي كثير من الأمور التي يراها في بيئته، كالتفريق مثلاً بين الفاكهة والموز^(٢).

ولم يكن هناك سن معينة لبدء الأطفال تعليمهم فبعد البعض كان يبدأ التعليم في سن الخامسة أو السادسة وآخرون يبدأون في السابعة وأحياناً الرابعة كما هو حال الأمين بن هارون الرشيد، وقد ترك الآباء أحرار فلم يقيدوا بسن معينة لإرسال أطفالهم إلى الكتاتيب واكتفوا بأن اعتبروا التعليم فرضاً من الفروض الدينية وإن لم يصبح واجباً قومياً^(٣).

المطلب الخامس: تعليم المرأة:

إن المرأة هي الأم والمربية الفاضلة، وبالتالي فإن إنشاء بنت صالحة على تقوى الله، وحفظ القرآن، والتمكن من العلوم الدينية، إنما ينعكس إيجاباً على المجتمع الذي تتكون منه البذور ألا وهي الأولاد، ليساهم في تنشئة جيل أكثر حكمة وأكثر وعياً، وقد كان لنا في زوجات النبي عليه الصلاة والسلام قدوة حسنة نحتذي بها.

وقد ورد تحريض النبي ﷺ وَفَدَ عَبْدُ الْقَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ، وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَقَالَ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ: قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: (ارجعوا إلى أهليكم فاعلموهم)^(٤).

١. محمد منير مرسى، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص: ١٣٧

٢. عبد الرحمن نحلاوي، أسس التربية الإسلامية وطرق تدريسها، ص: ١٦

٣. أسماء حسن فهمي، مبادئ التربية في الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة مصر ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م، ص: ٩٦

٤. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٢٥، كتاب العلم، باب: تحريض النبي ﷺ وَفَدَ عَبْدُ الْقَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ، وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ، ١ / ٤٥

وقد ذكر النبي عليه الصلاة والسلام أن من الأعمال المثابة عليها تعليم المرأة حتى لو كانت أمة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوْلِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمَةٌ يَطُوهَا، فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ^(١).

وورد في السنة المطهرة ما يشجع النساء على التعلم والتفقه في الدين، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ^(٢).

ومن النساء المسلمات النابغات: الخنساء، وهي شاعرة عرفت بجودة الشعر، والوطنية الصادقة، والوفاء والتضحية، والسيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنها، وهي شاعرة وأديبة، عالمة بضروب الإيقاع، وسيدة الناقدین، وكان الشعراء يفدون على دارها من كل حذب وصوب للمباراة بالأشعار في حضرتها، فاشتهرت بنقد الشعر والغناء، واجتمع لديها الأدباء والشعراء والرواة للمناقشة في الأدب والشعر والرواية^(٣).

المبحث الثاني: صحبة المعلم للمتعلم:

اعتبر المسلمون التعليم من جملة الصنائع التي تحتاج إلى المعرفة والدربة التي تؤهل صاحبها للاشتغال بهذه الصناعة^(٤).

فالمعلم هو صلة الوصل بين الأجيال وهو رسول العلم ينقله إلى من بعده، فهو لا يقدم العلم والمعرفة فقط بل الثقافة والتربية التي يحتاجها كل شخص سليم في الحياة، وهو الشجرة التي تؤتي ثمارها بعد زمن، ليكمل المسيرة فيكون حاملا ذلك العلم والثقافة والتربية لمن بعده.

١. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٩٧، كتاب العلم، باب: تعليم الرجل أمته وأهله، ١ / ٤٨

٢. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٥٠، كتاب العلم، باب: الحياء في العلم، ١ / ٦٠

٣. محمد عطية الأبرشي، التربية في الإسلام، ص: ٤٧

٤. محمد منير مرسى، التربية في الإسلام أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص: ١٦٠

المطلب الأول: صفات المعلم:

هناك الكثير من الصفات التي تعدّ الآن بديهية ويجب توافرها في المعلم عند تأديته هذه الوظيفة السامية ويمكن تلخيصها ومن ثم الوقوف على البعض منها، ومن الصفات العامة للمعلم والمتفق عليها في أغلب كتب التربية:

١. الزهد والتعليم ابتغاء مرضاة الله، وقد استمر علماء المسلمين عدة فرون وهم لا يقبلون أجرا، إلى أن تعينت لهم رواتب يستعينون بها على مطالب الحياة.

٢. طهارة المعلم، وهي طهارة الجسم من الأدران والروح من الآثام.

٣. الإخلاص في العمل، وهي أكبر وسيلة تتجحه في مهنته.

٤. أن يكون المعلم عاملا بعلمه، قدوة حسنة لطلابه.

٥. الهيبة والوقار، وأن يكون ذا كرامة بعيدا عن الدنيا.

٦. أن يكون أبا لتلاميذه، يجتهد في مساعدتهم، وتسهيل الأمور في سبيلهم.

٧. عالما بطبائع الأطفال وميولهم، وعاداتهم، وأذواقهم، وتفكيرهم.

٨. متمكنا من مادته والدرس الذي يؤديه^(١).

وهناك بعض الصفات التي يتوجب التفصيل فيها ألا وهي:

١. التوجيه، بأن يبين لتلميذه الموازين ويشرح له المسائل ويعلمه رعاية الجانب الديني في كل منها، فيمتلك هذه الملكة بعد زمن وقيس الأمور في مكيالها عند دراستها وتفحصها.

٢. الأصالة والتجديد، الأصالة هي التمسك بالأصل والجذر، والتجديد هو مواكبة التطور والتغيير، والدين الإسلامي الملائم لكل زمان ومكان من أبرز صفاته تكيفه مع أي حدث يجري.

٣. تشجيع التجديد: بحيث يتكيف مع المجريات بما يوافق الشريعة والدين، وبالتالي فيشجع تلاميذه على الانفتاح وعلى التجديد الدائم.

٤. الرفق: فلا يخاف منه تلميذه ويرهبه بل يكون رحيما ودودا معه، أبا له أحيانا، وأخا أحيانا أخرى، وصديقا وقت الحاجة، ومعلما في كل وقت.

١. انظر محمد عطية الأبرشي، التربية في الإسلام، ص: ٣٠ إلى ٣٧، ومحمد منير مرسى، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص: ٦٦

٥. ولأهمية معاملة الأطفال بالرفق عند المسلمين أخذت الدولة على عاتقها حماية الأطفال من أساليب القسوة والعنف^(١)، وإن استخدم العقاب فكان لغرض إيجابي يرمي للإصلاح والتوجيه، وهناك من يحيطه بقيود فيرى ألا يضرب الطفل قبل سن العاشرة.

٦. مراعاة الفروق الفرد، وعليه فيجب على المعلم أن يعرف أحوال طلابه وميولهم وقدراته فيعطي لكل منه حقه ما استطاع.

المطلب الثاني: صفات المتعلم:

كما ذكرنا عدة صفات للمعلم فهناك على الجانب الآخر شروط للمتعلم، فهو البذرة التي تحتاج الرعاية والسقاية والاهتمام، وهو الثمرة المعول عليها للغد، ينقل ما تعلم ونهل إلى من بعد.

١. تطهير القلب والتخلي بالأخلاق الحميدة والابتعاد عن الرذيلة، فالتعلم نوع من أنواع العبادة التي لا تصح إلا بطهارة القلب، وطهارة القلب تعني التخلي بما هو حميد واجتناب العكس.

٢. القصد وجه الله تعالى من تحصيل هذا العلم، لا الرياء والمباهاة بين الناس، فيخلص نيته لله تعالى ليكتب له التوفيق في تحصيله.

٣. المثابرة والدأب على تحصيل العلم، والمواظبة على الدروس، لأن الدوام والاستمرار يتفرع عنه أمران أساسيان الاستقرار والتجديد الدائم.

٤. تقديس العلم والعلماء، فيظهر هذا عند تلقيه العلم واحترامه المجالس وذكره أسماء العلماء وضرب الأمثال بهم.

٥. احترام معلمه وتوقيره وعدم مضايقته بكثرة الأسئلة أو الإصرار على الجواب، وعدم تغييره بشكل دائم بحيث يعزز ما ينقله له معلمه من علوم ومعارف.

٦. تعويد نفسه على طلب العلم حتى آخر العمر، ليكون حلقة الوصل إلى من بعده ويحيا بالعلم من يأتي خلفه.

٧. توطيد أواصر الألفة والمحبة والمودة بينه وبين معلميه، بحيث تتكون بينهم روابط العائلة المعنوية التي يجمعها حب العلم والدين.

١. أسماء حسن فهمي، مبادئ التربية في الإسلام، ص: ١١٠

الفصل الرابع: القيم التربوية في القرآن الكريم:

القيمة: واحدة القِيم، والأصل في حرف العلة الواو لأنه يقوم في مقام الشيء، يقال: قومت السلعة^(١)، وقومت الشيء تقويمًا أنك تقيم هذا مكان الآخر^(٢).

والقيم التربوية في الإسلام هي عبارة عن الإجراءات والطرائق العملية التي عند تنفيذ المرء لها يكون قد سلك سلوكًا يتوافق مع شريعة الإسلام.

المبحث الأول: القيم التربوية على الصعيد الذاتي:

نعود للتذكير بأن الفرد هو نواة المجتمع، ومنه تتكون البذرة الرئيسية للعالم أجمع، فننتقل من الفرد إلى الأسرة، ومن الأسرة إلى المجتمع الصغير، ومن المجتمع الصغير إلى مجتمع الدولة والوطن، ومنه إلى العالم أجمع، لذا فلا بد من البدء من القيم التي حث عليها الإسلام.

أولاً: الخوف من الله:

الخوف: توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب^(٣).

جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تتحدث عن الخوف وعن التخويف من عذاب الآخرة، فالخوف هو الرادع الأول للإنسان وهو الموجه له، ونحن مقصدنا هنا الآيات التي فيها دلالات تربوية تصقل شخصية الإنسان، فما الذي يولده الخوف والخشية من الله غير رقة القلب ولين الأطباع والشفقة والرحمة على الغير ومراقبة النفس ومحاسبتها على الدوام.

وقد أشار عز وجل في القرآن الكريم إلى أن بعض الآيات والعلامات التي يرسلها لعباده ما هي إلا تخويف، ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ اللَّيْقَالَ ۖ﴾ [الرعد: ١٢] فقد يكون للحدث الواحد جانبين من القيم فالرعد وإرسال المطر هو خوف للمسافر وطمعًا للمقيم، لما تأذى به من المطر، كما قال الله تعالى ﴿إِنْ كَانَ يَكُفُّ أَدْنَى مِنْ مَطَرٍ﴾ [النساء: ٥٣] والطمع: للحاضر المقيم؛ لأنه إذا رأى البرق طمع في المطر الذي هو سبب الخصب^(٤).

١. إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٥ / ٢٠١٧

٢. أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، ٥ / ٤٣

٣. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦)، التعريفات، ط: الأولى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٤٠٣، ١٩٨٣، ص: ١٠١

٤. علي بن أحمد النيسابوري، التفسير البسيط، ١٢ / ٣١٢

وبين جل وعلا أن الخوف يكون منه وحده فهو خوف ممزوج بالرجاء والأمل والتمني من الله، وهو سبب لمراقبة الله عز وجل وتجنب نواهيه وما يكرهه، فحتى الشيطان بعد وسوسته وجعله الإنسان يكفر يبرئ منه خوفا من الله جل وعلا.

والخوف من الله قد يكون سببا للإسكان في الأرض، فهم بهذا تجعل لهم الكلمة في الأرض والعمارة فيها. فالاستقامة هي خير ما يولد الطمأنينة، وهي ما تجعل المؤمن يلتزم بأوامر الله ويتجنب نواهيه، وتحقق له الاستقامة في طريق الحق، وذكر الله عز وجل أن عاقبة المؤمن الحق الجنة والجنت العلاء وقرنها بعد الخوف فالآن النعيم الدائم والاستقرار الهنيء، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠]، ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٤٦]

ثانيا: الذكر والدعاء:

إن الذكر هو أكثر ما يشعر الإنسان بوجود الله عز وجل منه وقربه إليه ويستشعر معيته ومراقبته له في كل أحواله، والذكر عنوان الشكر، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]،

وقد ربطه الله عز وجل بكثير من الأحوال التي يجب استشعاره فيها مقرونا بعبادة من العبادات، حتى أنه كان آية لذكريا عليه السلام عندما أنعم ومن الله عليه ببحي، وذكر الله يمكن أن يكون مقرونا بالرجاء والخوف، رجاء رحمة الله، والخوف من عذابه، وهو عنوان الثبات وتقوية لما في القلوب حتى في أصعب الأحوال من حرب وقتال، وما نتيجة الذكر إلا الاطمئنان والسكينة واستحضار وجود الله عز وجل في كل حال، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]

فهو نعمة وفضل من الله أكرمنا وعزنا بها، وجعل لنا فيها القرب من الرشد والحق، فبالذكر تتحقق معية الله لعبده ويستشعرها في كل خطواته.

ثالثا: التقوى:

للتقوى معان كثيرة فهي في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية: يراد بها الترك والحذر، وقيل: أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى، وقيل: محافظة آداب الشريعة، وقيل: مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى، وقيل: ترك حظوظ النفس ومباينة النهي، وقيل: ألا ترى في نفسك شيئا سوى الله، وقيل: ألا ترى نفسك خيرا من أحد، وقيل: ترك ما دون الله، والمتبع عندهم هو الذي اتقى متابعة الهوى، وقيل: الاقتداء بالنبي عليه السلام قولاً وفعلاً^(١).

١. الجرجاني، التعريفات، ص: ٦٥.

فالتقوى وهي مراقبة الله عز وجل في كل أمر ومحلها القلب، ولما لها من معان كثيرة، وأمرنا الله بها في كثير من المواضع، وقرنها بالفلاح والرحمة والإحسان، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]

وإن في تقوى الله الخير الكثير والحكمة البالغة حتى لو كنا لا نراها، فهي خير ما يتزود به الإنسان حتى لو كان في أعظم الشعائر الدينية من صدقة وزكاة وصيام وحج، وبين جل وعلا فضل المتقين فهم أعلى وأرفع درجة من غيرهم، وللتقوى أجر عظيم ونعيم مقيم في جنات الخلد وبين الله معيته للمتقين، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [التحل: ١٢٨]

رابعاً: محاسبة النفس:

بأن ينظر الإنسان في أفعاله وأعماله وينظر هل هي محمودة فيستمر عليه، أو هل هي سيئة ومذمومة فيقف عندها ويصلح حاله منها ولا يستمر عليه فيما يحول عليه بعد، فيكون في حالة مراقبة لذاته خطوة بخطوة يحاسبها ويقومها من أن تنحرف إلى طريق الضلال وتتبع ما ليس حق.

فإن رأى فيها ظلماً وجوراً عاد إلى الله واستغفره وطلب منه العفو، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]

فالخير كله من الله والشر وما يصيب الإنسان إنما هو مما كسبت يديه، لذا على كل مسلم حق أن يحاسب نفسه على ما تفعله ويكون الرادع لها من ذاته.

خامساً: الأخلاق الحميدة:

الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة^(١).

ماهي الأخلاق الحميدة إلا مجموعة من الأمور التي يتحلى بها الفرد فيصقل شخصيته ويقويها ويجعله قادرة على العيش بحياة أفضل وأسلم، كالصبر، الكرم، الشجاعة، القوة، العزة، التواضع ففي الصبر السلامة والفلاح والنتيجة المرضية ورغم صعوبة الصبر إلا أن نتائجه من أجمل النتائج فقد بين الله عز وجل معيته لمن يصبر فالصبر يحتاج جهداً إضافياً، وهو عنوان الفلاح، وعاقبته من أجمل ما يصل إليه المؤمن وهو جنات النعيم، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]

١. الجرجاني، التعريفات، ص: ١٠١

ومن الصفات الحميدة التي يدعو إليها ديننا هي الرحمة، فقد وضح لنا صفات المؤمنين الحق بأنهم رحماء فيما بينهم، لكنهم أعزة وأشداء على الكفار، ولا ينفي تراحمهم فيما بينهم شدتهم على غيرهم، ومن الأخلاق الحميدة الأخرى التي يدعوننا إليه ديننا الحنيف عزة النفس، فالمؤمن عزيز قوي، لا يخشى في الله لومة لائم، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤]

وقد دعانا القرآن للتخلي بالتواضع ونهانا عن التكبر والترفع عن الناس، وبين جل وعلا أن التكبر والمشي خيلاء على الأرض مما لا يحبه جل وعلا ولا يرضاه لعباده.

وبالتالي فقد نهانا عن الأخلاق الذميمة لما فيها من أذية روحية ونفسية تنعكس على الفرد أولاً وعلى مجتمعه ثانياً، كظن السوء والغيبة والنميمة ووصفها بأشد الأوصاف، وألحقها بالكثير من الأمور التي على المؤمن أن يتصف بها فيكون عادلاً مقسطاً رحيماً على من حوله مهتماً بغيره من اليتيم والمساكين والأرملة، وفي القرآن الكثير من الشواهد على ذلك.

المبحث الثاني: القيم التربوية على الصعيد الأسري:

أولاً: المودة:

لم يخلق الله الإنسان جنساً واحداً، بل جعل منه زوجاً يشاركه حياته ويكون سكناً له ودعاً إلى المودة والرحمة معه، ويستمر من خلاله استخلاف الله له في الأرض، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩]، البذرة الأولى لبناء الأسرة بعد الزواج هي الإنجاب، وأن يخلف الإنسان من يخلفه بعده، وعليه فالله يعلم بأحوالنا وحياتنا ونحن في بطون أمهاتنا، فلا نخاف على أولادنا الرزق من مأكّل ومشرب وملبس وغيره، فالله عز وجل تكفل بنا وبهم، ونهانا جل وعلا عن قتل الجنين والأولاد خوفاً من الفقر والفاقة فأرزاقتنا مقدرة عنده جل وعلا، فدعا لأن تبني الأسرة على هذا البناء القوي المتين وهو السكينة والرحمة وهي من أرق الصفات التي يجب أن يكون عليها كل من الوالدين، تنعكس على أولادهما فينشؤوا تنشئة صالحة سليمة قويمية تحمل في داخلها المودة والرأفة.

ثانياً: الحقوق الأسرية:

فضمن جل وعلا حق المولود في الرضاعة ومدتها وماله في تلك السن من حقوق على والديه، وفصل في الكتاب عن هذه الحقوق وما يترتب عليها من واجبات، ليكون هذا دستور للأسرة يحمي حق الطفل ووالدته إلى أن يبلغ أشده، ﴿وَالْوَالِدَتُ يُرْضَعْنَ حَوْلَ لَيْلٍ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ

بِالْمَعْرُوفِ ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣٣]

وبين الله أن من يؤسس أسرته فعلياً أن يحميها ويجنبها نار جهنم بإتباع أوامر واجتناب نواهيه وقد بين الله عز وجل ذلك في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُرْءَانُ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]

وما غاية الإسلام إلا بناء أسرة قويمه سليمة، يضمن لها استمرارها ودوامها ليستمر المجتمع في أعلى النماذج الصحية لبنائه، وبالرغم من أن هذه الحالة قد لا تتم في كل الأحوال، وأن مما لا بد فيه من ظهور بعض الاستثناءات والأحوال التي لا تنطبق على الجميع كالانفصال والطلاق لعدة أسباب، فإن انتهى حال العائلة وكان مصيرها إلى الانفصال فلا بد من التقوى والإحسان والخوف من الله ومراقبته جل وعلا في هذه الحال، ﴿الَّذِينَ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَأَلْتُمُوهُمُ أَوْ تَسْتَفْتِيهِمْ فِي شَيْءٍ فَإِنْ أَجَبْنَاهُمْ لَقَدْ أَخَذْنَاهُ بِيَمِينِنَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]

ثالثاً: آداب السلام:

ومن القيم التربوية للآداب في التعامل في الأسرة لينتقل منها إلى المجتمع أجمع، آداب السلام فلم يقتصر الإسلام على الأمور العامة والرئيسية فيترك التفاصيل والتفريعات، بل اهتم بكل تفاصيل حياة المسلم ودلنا على الكثير من القيم التربوية التي نستخلصها من خلال قصص القرآن ومواعظه، وهناك منها ما ينبهنا إليها مباشرة كأداء السلام، والذي قد يقلل من شأنه بعض الناس ولا يراه ذو أهمية، بل على العكس فإن السلام والتحية هي مفتاح القلوب، وهي مفتاح الكلام والحوار، وهي ربط معنوي بين الأشخاص وإن كان التعبير عنها بعدة كلمات وحسب، لذلك قرنها القرآن بالاستئناس، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]

رابعاً: الاستئذان:

وكذا علمنا آداباً كثيرة ومنها الاستئذان، لما له من تبعات مهمة تتعلق بالحرمان، وحفظ حقوق الغير، وعدم التعدي على الخصوصية وإن كان من أسرته، فالطفل منذ بلوغه الحلم عليه اتباع قوانين وآداب الاستئذان فيكون بذلك فهم حدوده وحدود غيره، ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ [النور: ٥٩]

المبحث الثالث: القيم التربوية على الصعيد الاجتماعي:

أولاً: المساواة الاجتماعية:

إن كل إنسان يعيش تحت ظل الإسلام وقانونه فلا بد أن ينعم بحقه الكامل في حياة كريمة معنوية ومادية، ولا بد أن يعيش بالتساوي كغيره من الناس، ولم يكن هناك في الشريعة الإسلامية تفرقة بين شخص وآخر أو فئة وأخرى، كما كان قبل الإسلام وكما يسود بين الناس من التمييز بين الأشخاص حسب رتبهم الاجتماعية، بل بين أن التساوي في الحقوق والواجبات حق لكل فرد، وأمر الله عز وجل بها نبيه عليه

السلام، وإن بدا لنا أن الإسلام يفرق فما هي لا تفرقة عدل بشروط وأحوال خاصة كالذكر والأنثى والحر والعبد وما سوى ذلك، وإن نظرنا إلى أبعد منه نجد أن الإسلام قد ساوى وحفظ لكل ذي حق حقه، لذلك أمر الله عز وجل بالعدل، وبين أن ذلك بأمر منه وكلمته في الأرض، وحث ودعا المسلمين إليها وحذر من الحيد عنها، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨]

وفي القرآن أمثلة لذلك كثيرة فالحق واضح بين ومن أبرز الأمثلة على ذلك حفظه لمال اليتيم والتحذير من الاعتداء عليها وأنه من مكارم الأخلاق وعهد على الإنسان أن يؤديه، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤]

ثانيا: التعليم:

التعلم يفتح أنوار العقل ويجعله كالمصباح يضيء ما حوله ويبعده عن الجهل ويرفعه عن توافه الأمور، ولما للعلم من أهمية أمرنا الله بالتجول في الأرض والنظر في أحوالها وأحوال من عاش فيها قبلنا وكيف آل بهم الحال إلى ما هم عليه، وأخذ العبرة والموعظة من كل ما فيها، وأن الخالق والمبدئ هو الله جل وعلا، والمعنى على هذا: سيروا لتعلموا أن الذي بدأ الخلق هو الله لا خالق غيره، فإذا أقروا بابتداء الخلق وعلموا أن ذلك من الله، لزمتهم الحجة في الإعادة^(١).

وبين استنكاره لمن يعمى قلبه وعينه عن رؤية الحق في أرض الله فينعكس ذلك على قلبه ويكون أعمى جاهلا لما يدور حوله، يقول تعالى ذكره: ألم يسير هؤلاء الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون في قدرة الله في البلدان، وينظروا إلى نهاية من سبقهم من الأمم قبلهم ممن كذب رسل الله، كقوم عاد وقوم لوط وقوم شعيب، وكيف صارت حال أوطانهم والبيوت التي كانوا يسكنونها، ليتأملوا ويعتبروا ويتفكروا فيما أمر تلك البلاد وأمر أهلها، وليعلموا أن هذه سنة الله لمن كفر واختار عبادة غير الله وكذب برسله^(٢)، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَادَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٦٦﴾﴾ [الحج: ٦٦]

١. علي بن أحمد النيسابوري، التفسير البسيط، ١٧ / ٥٠٨

٢. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ١٨ / ٦٥٧

وخاطب نبيه عليه السلام بأن يدعو بزيادة العلم والفهم، ربّ زدني علماً إلى ما علمتني أمره بمسأله من فوائد العلم ما لا يعلم^(١)، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]

ثالثاً: الشورى:

وهي أخذ الرأي الآخر ومناقشته مع الغير ومن ثم تطبيقه، وإن للشورى أنواعاً وأبعاداً شتى، فهي تبدأ من العائلة ومشورة الزوج زوجته، والوالدين أولادهما والعكس، والعائلة الكبيرة فيما بينها، والمؤمنون أجمع فيما بينهم، فهي قيمة عظيمة يربّي عليها المسلم شخصيته، وكما للشورى من قيمة اجتماعية عظيمة كذلك لها قيمة سياسية كبيرة، فالرسول عليه الصلاة والسلام استشار أصحابه في السلم والحرب والأمور العامة والخاصة، وأخبر الله عز وجل عن صفات المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾

[الشورى: ٣٨]

رابعاً: النصيحة والتواصي على الحق:

إن للنصيحة والتوصية على الحق أبعاداً اجتماعية شتى، نجدها تتجلى في ترابط الأفراد فيما بينهم، وغيرتهم على بعضهم البعض البعض، وحبّهم لبعضهم وتماسكهم، دعوتهم بعضهم البعض إلى طريق الحق، فإن مال أو خرج عن الطريق أحدهم أقاموه وعدلوه ونصحوه وتواصوا به، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]

وضرب لنا عز وجل مثالا بخطابه لسيدنا عليه الصلاة والسلام، بقل يا محمد لأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة العدل التي تكون فيما بيننا وبينكم، فهذه الكلمة العدل هي توحيد الله فلا يعبد غيره من الآله، ويتبرأ من أن يشرك به شيئاً آخر، ولا يكون لبعضنا البعض حق في الأمر بالمعاصي والدعوة لها ولطاعته ويسجد له وكأنه يسجد لخالقه^(٢).

خامساً: الطاعة:

الطاعة تعني الالتزام وتعني الاستقرار، تعني الهدوء والسكينة، وتضمن مجتمعاً مستقراً غير مضطرب، غير متخبط في قوانين وتشريعات تتغير وتتحوّل تبعاً للأشخاص وانفعالاتهم وآرائهم، بل الطاعة أولاً لكلمة الحق والتشريع الحق والقائمين عليها، ولذلك أمرنا جل وعلا بطاعته أولاً، ومن ثم رسوله عليه الصلاة والسلام، ومن ثم بطاعة أولي الأمر وهو من تولوا الحكم بأمر الله وشرعه وسنة نبيه، فإن وجدوا

١. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ١٨ / ٣٨٢

٢. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ٦ / ٤٨٣. علي بن أحمد النيسابوري، التفسير البسيط، ٥ / ٣٢٩

ما فيه نزاع أو إشكال فالمرود إلى كتاب الله ورسوله والقائمين على شرعه، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]

وكما تحدثنا عن النصيحة والتواصي بالحق نجدها كذلك في كتاب الله مقرونة بالطاعة، ونجدها مقرونة بالتقوى، ولا يكفي القيام بالتكاليف الشرعية دون أن تكون مقرونة بطاعة الله ورسوله، والطاعة سبب لقبول الأعمال وعدم إبطالها، فهي تؤدي بالأعمال إلى القبول وأن تكون في درجة أفضل الأعمال. وضرب لنا الله عز وجل مثالا للطاعة بخطاب هارون عليه السلام قومه، عندما دعاهم للإيمان فقال له أن يتبعوه ويطيعوا أمره، وذلك لأنه وحي من الله عز وجل.

سادسا: العدل:

ينبثق العدل حقيقة عند تطبيق مبدأ المساواة حق تطبيق، وفق تعاليم وحدود الشريعة الإسلامية، فلا ترجح كفة على أخرى، ولا يطغى جانب على آخر، ويعطى لكل ذي حق حقه، فالعدل مطلوب في كل نواحي حياة الإنسان الأسرية والعالمية وذكر لنا عز وجل أبلغ مثال على ذلك وهو الزواج، فحث وشجع على إقامة العدل بين النساء وذكر وبين أنه رغم الحرص الشديد على إقامته فلن يؤدي بالمعنى الصحيح مهما استطاعوا لخطورته وأهميته وحساسيته.

وأمرنا بالعدل والقسط حتى ضمن دائرتنا وعلى أنفسنا وأهلينا، وحذرنا من اتباع الهوى والميل عن الحق، وجعل العدل والقسط شاملا لكل منحى في الحياة أسريا كان أو اجتماعيا أو عالميا.

وعلى وجه الخصوص اليتيم فقد أوصانا بالحيلة والحذر وقرن ذلك بالعدل والقسط، وهذه آية شاملة كاملة في هذا الخصوص، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَلَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

وهنا نرى كذلك مقارنته الأمر بالعدل والإحسان ونهيه عز وجل عن الفحشاء والمنكر، وفي تحقيق العدل استقرار وطمأنينة يستشعرها كل فرد يعيش تحت ظل الإسلام، تقضي على الفتن وهضم الحقوق والاضطرابات، وفي ذلك دوام الملك وعزته وعدم زواله بسهولة ومشكلة، فأصحابه أهل الولاية تربوا عليه ونشأوا وكبروا على قيمه.

المبحث الرابع: القيم التربوية على الصعيد العالمي:

أولاً: حرية العقيدة:

لا تنحصر القيم التربوية في الفرد والأسرة والدولة المسلمة فحسب، بل تمتد لتشمل غيرها من الأمم والأعراق كما رأينا في قيم العدل والمساواة، وإن من أجل القيم التي تتجلى فيها عظمة الإسلام، هي حرية الدين، فقد ترك الإسلام حرية الاعتقاد والدين مفتوحة على مصراعيها أمام الأديان الأخرى، وأخبر عن ذلك بوضوح^(١)، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

ودعانا إلى دعوتهم بالتي هي أحسن وبالقول الفصل، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]

ويتفرع عن حرية العقيدة الحق للآخرين بالاحتفاظ بتقاليدهم وأماكن عباداتهم دون المساس بما يخص المسلمين وفي كل من هذا تفصيلات في الشريعة والقانون الإسلامي.

ثانياً: المساواة أمام القانون:

كما رأينا عند الحديث العدل والمساواة فالطبع الدين الإسلامي دين استقرار وصبغة واحدة، ولا يعقل أن يحقق ذلك بين المسلمين وينافيه في غيرهم، فلا تناقض ولا تضاد في ديننا الحنيف، ولذا فإن العدل والمساواة مطلوب كذلك مع الأديان الأخرى كلا وفق شروطه وحكمه، ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]

ثالثاً: حفظ حقوق الغير

وهل انتشر الإسلام عبر التاريخ إلا من خلال رفيع أخلاق المسلمين، وأمانتهم وحرصهم على حق غيرهم، وعليه فلا بد من ذلك أن يحفظ لكل حقه فلا يبيح الدم والمال والعرض دون حق، ومن أمثلة ذلك أداء الأمانة وهي أرفع ما يكون عليها حال الفرد من مراقبة النفس وعدم الخيانة وهضم الحق، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]

١. هاشم علي الأهدل، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، ص: ٢٢

الفصل الخامس: الأساليب التربوية في القرآن الكريم:

المبحث الأول: معنى "أساليب" لغة واصطلاحاً:

سَلَبٌ هو أخذ الشيء بخفّة واختطاف^(١)، وكل طريق على الامتداد، فهو أسلوب، وهذا يعني أن الأسلوب هو الطريق، والوجهة، وطريق المذهب الذي يسير فيه، ويعبر عن ذلك بقولهم إنكم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب، والأسلوب: الطريق تمضي فيه، والأسلوب بحركة الضمة: الفن، يُقال: فلان أخذ بأساليب القول أي أفانين منه^(٢).

إن القرآن الكريم وما يحتوي عليه من آيات فيه في كل آية وكلمة عبرة وحكمة وله في كل عرض للآيات طريقته وأسلوبه، وتتنوع الأساليب في القرآن بتنوع الآيات، وتختلف باختلاف المواضيع والأحوال، وتتفرق باختلاف المخاطب، ولذا فإن وقفنا على أساليب القرآن الكريم بمعناها التفصيلي فسنجد المئات من الأساليب والطرق التي مازالت تُكتشف حتى يومنا هذا، وهو ما تتجلى فيه معجزة القرآن.

وإن تنوع الأساليب التربوية له من الأهمية بمكان كبير بما يكون له من الوقع الكبير على نفس المتربين وبالتالي فإن اختلاف الناس وفهمهم ودرجات وعيهم وتقبلهم يحتم هذا التنوع وتفرعه وكذلك اختلاف البيئات والأحوال والعصور لكل منها ما يلعب دوراً كبيراً في حاجة الناس لأساليب تربوية متنوعة فلكل مقام مقال ولكل موضوع أسلوباً تربوياً يتناسب معه.

المبحث الثاني: الأساليب التربوية اللفظية في القرآن الكريم:

الأسلوب اللفظي هو وسيلة التواصل الشفهية والتي تتكون من كلمات وعبارات ضمن قواعد معينة تدل على معنى محدد أو أكثر من معنى حسب مقتضى الحال، والأسلوب اللفظي من الأساليب الرئيسية في الميدان التربوي، لما له من دلالات وإشارات كثيرة ومتنوعة تختلف كما ذكرنا سابقاً حسب اختلاف المخاطب ودرجة علمه ووعيه وبيئته والحال التي هو عليها.

المطلب الأول: الموعظة:

الوعظ هو النصيح والتذكير بالعواقب، تقول وعظته فأتعظ، أي قَبِلَ الموعظة، ويقولون إن السعيد الذي وعظ بغيره والشقي الذي اتَّعظ به غيره^(٣).

١. أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، ٣ / ٩٢

٢. محمد بن مكرم بن عي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الزوبيعي الإفريقي (ت: ٧١١)، لسان العرب، الحواشي لليازجي ومجموعة من اللغويين، ط: الثالثة، دار صادر بيروت لبنان ١٤١٤هـ، ١ / ٤٧٣. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: ٩٨

٣. إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٣ / ١١٨١

الوعظ: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب^(١)، والموعظة: هي التي تلين القلوب القاسية، وتدمع العيون الجامدة، وتصلح الأعمال الفاسدة^(٢).

وهكذا نرى من المعنى اللغوي والاصطلاحي للموعظة أنها هي تذكير الإنسان بما يلين قلبه، ويلمس مشاعره، ويحرك عواطفه، وقد يكون هذا التذكير بالزجر، أو التخويف، أو التذكير بالخير.

وقد بين جل وعلا هذه المعاني للموعظة في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وقورنت في كثير من المواضع بالإيمان، وبال دعوة إليه، وذكر جل وعلا أن الدعوة إلى الإيمان والحق إنما تكون بالموعظة الحسنة، ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، أي: ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي أحسن بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، من غير فظاظة ولا تعنيف إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَمَنْ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ كَفَاهُ الْوَعْظُ الْقَلِيلُ وَالنَّصِيحَةُ الْيَسِيرَةُ، وَمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ عَجَزَتْ عَنْهُ الْحِيلُ، وَكَأَنَّكَ تَضْرِبُ مِنْهُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ^(٣).

والتذكير بأحوال من سبق، وفي مواضع أخرى بالمعاملات، كأحكام الطلاق، وكما في آيات الربا، ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، يقصد هنا بالموعظة إنما التذكير وأن يكون فيها تخويف من الذي ذكره في آيات القرآن، فهو قدم الوعيد لمن يأكل الربا، فقال أن من جاء هذا النهي فتوقف وانتهى عن هذا الفعل وانزجر فله ما سلف أي مضى وانقضى لأنه كان قبل التحريم من الله وورود الأمر بالتحريم وبهذا الارتداع والانتهاه عن الفعل فهو في عصمة الله وتوفيقه إن أراد له الصلاح بعد انتهاءه عن أكله وإن أراد العكس فخذله عنه^(٤).

ومثلها في أحكام الطلاق، والكثير من غيرها من الأحكام، فبين أن من يفضل الإعراض عن آيات الله فلا سبيل إلا موعظته بالقول البليغ والكلام الحسن، وقد كان في الحديث عن الأقوام والأمم السابقة موعظة وتذكيرًا للمؤمنين، وقد كان ذكر القصص في القرآن الكريم وأحوال من قبلنا من الأمم إنما لموعظة المؤمنين.

١. الجرجاني، التعريفات، ص: ٢٥٣

٢. المصدر السابق، ص: ٢٣٦

٣. محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨)، تفسير الكشاف، ومعه الانتصاف من الكشاف لأحمد ناصر الدين ابن المنير السكندري (ت: ٦٨٣ هـ) وعامة حواشيه تبدأ بـ(قال محمود..) يعني الزمخشري، ثم يتعقبها (قال أحمد) يعني نفسه، والكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، وحاشية الشيخ محمد بن عليان المرزوقي (ت: ١٣٥٥ هـ) وختمت حواشيه بحرف (ع)، ٢ / ٦٤٤

٤. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج ٦، ص ١٤. الزمخشري، الكشاف، ١ / ٣٢١.

المطلب الثاني: الترغيب والترهيب:

الرغبة في الشيء الإرادة له^(١)، وهي الضراعة والمسألة^(٢)، أما رهب الشيء، أي خاف منه^(٣)، وهكذا نرى من الجذر اللغوي لكلا الكلمتين أن الترغيب إنما هو التحفيز والتشجيع على الشيء والترهيب إنما هو التخويف والتحذير من القيام به، وقد جمع القرآن الكريم بين هذين الأسلوبين، في خطابه وتعليماته وفق فطرة الإنسان التي خلق عليها فيكون حاله متقلبا بين الرجاء والخوف.

وكثيرا ما نرى هذا الأسلوب عند الحديث عن الآخرة ونيل الأجر والثواب لحسن الختام أو التخويف من العذاب وسوء العقوبة.

وقد اعتمد القرآن على هذا الأسلوب في العبادات ومن أولها الدعاء، ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:

٥٥- ٥٦]، يقول تعالى ذكره: ادعوا، أيها الناس إن ربكم واحد، فعليك الإخلاص بالدعاء له، دون الذي تدعونه من الآلهة والأصنام، وأما قوله تضرعا فهو يعني بذلك: تذلا وركونا لطاعته وذلك يكون بالخفاء وبخشوع القلوب واليقين الصحيح بوحداية الله، ولا يكون مرأ ليراه الناس وجهارا ليسمعوه ويشاهدوه، ولا تشركوا في أعمالكم له شيئا آخر غير مع الله من الآلهة والأصنام وغيرها، ولتكن هذه الأعمال والأفعال الصادرة عنكم إنما خوفا من عقابه عز وجل، وفي ذات الوقت طمعا في ثوابه، وأما الذين ليسوا من هذا الأمر في شيء من الذين يكذبون ممن لا يرجو ثواب الله ولا يخاف من عقابه، ولا يهتم بما فيسخط الله عليه ولا يرضاه، وأخيرا فإن رحمة الله قريبة من الذي يحسنون وهو قريب منه ولذلك سينالون ما صبروا من أجله^(٤).

وإن من أبرز ما ورد فيه الترغيب هو المحبة لما للقلب والعاطفة من أهمية في حياة الإنسان وماتميل له، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال أهل العلم: معنى (محببة العبد لله): إرادته طاعته، وإيثاره أمره، ورضاه بشرائعه. ومعنى (محببة الله للعبد): إرادته لثوابه، وعفوه عنه وإنعامه عليه^(٥).

١. أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، ٢ / ٤١٥

٢. ابن منظور، لسان العرب، ١ / ٤٢٢

٣. ابن منظور، لسان العرب، ١ / ٤٣٦

٤. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ١٢ / ٤٨٥ و ٤٨٧

٥. علي بن أحمد النيسابوري، التفسير البسيط، ٥ / ١٨١ و ١٨٢

وإن لأسلوب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم لضوابط مهمة فهو أسلوب متوازن لا يبالغ ولا يكثر من أحدهما دون الآخر، ويلمس العواطف والمشاعر الإنسان وما عليه فطرة الإنسان، ويربط بين الحالة الدنيوية والحالة الأخروية للإنسان.

المطلب الثالث: السؤال والحوار:

والسؤال: طلب الأدنى من الأعلى^(١)، ومن معاني الحوار في اللغة أن يدور الشيء دور^(٢).

الاستجواب هو طلب الجواب بالسؤال والاستفهام، وهو منبثق عن الحوار الذي يكون بين طرفين في مستويين متباينين من حيث العلم ومعرفة الموضوع الذي يكون الحوار أو السؤال عنه^(٣).

وكثيرا ما يكون الاستجواب مستوحى من الواقع ومن الحياة، ليكون الجواب دواء لهذا الواقع، ناهضا به إلى المستوى الروحي المطلوب^(٤).

وإن الحوار والسؤال من أبرز ما يدعو الإنسان إلى التفكير والتأمل ومن بعده الاستسلام لا شعوريا نتيجة الاستجابة، فانه عز وجل إنما يسأل ليتوصل الإنسان بفطرته وبدهيته إلى المعنى المقصود من السؤال، ومن أبرز الصور على ذلك قصة صاحب الجنتين، ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧].

ويسأل الصحابة الرسول عن أمور دينهم ودنياهم فيأتيهم الجواب من الله عز وجل ليقول لهم أنه معهم يسمع ويرى أحوالهم فيجيبهم بما يكون فيه صلاح دينهم ودنياهم، وقد وردت الكثير الأجوبة ردًا على استفسار الصحابة لها في القرآن الكريم، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وحذرنا الله عز وجل من السؤال عن ما ليس لنا به علم والسؤال عن أمور قد يكون في الجواب عليها ما يسوءه الإنسان، ويوجهنا القرآن الكريم بأن السؤال إنما يكون لأهل العلم والبصيرة والحكمة، ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ

الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [التخل: ٤٣]

١. الجرجاني، التعريفات، ص: ١٢٣

٢. أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، ٢ / ١١٥

٣. سعيد إسماعيل علي، القرآن رؤية تربوية، ط: الأولى، دار الفكر العربي، مدينة نصر القاهرة مصر ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص: ٣٧٤

٤. عبد الرحمن نحلاوي، أسس التربية الإسلامية وطرق تدريسها، ص: ٤١

المطلب الرابع: إعادة الكلام:

التكرار الرجوع إلى الكلام بعد المرة الأولى^(١)، فهو عبارة عن عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى^(٢). إن التكرار من أفضل الطرق التربوية لتثبيت المعلومة والتذكير وبيان أهمية الموضوع الذي يتطرق إليه في كل مرة، وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي كرر فيها عز وجل العبارة أو الكلمة يشد فيها انتباه المؤمن إلى الموضوع والتحذير من إهماله وعدم إعطائه حقه، وللتكرار مقاصد شتى منها: التهويل والوعيد، ﴿الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ [القارعة: ١ - ٣]

الإنكار والتوبيخ، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١﴾ [الرحمن: ١٦]

الاستبعاد، ﴿هِيَاهُ هِيَاهُ لِمَا تُوْعَدُونَ ٣﴾ [المؤمنون: ٣٦]^(٣).

وقد يكون التكرار بتكرار المعنى، كتنار الإشارة إلى الخوف والخشوع والتقوى ما يؤدي لذات معناها في القرآن الكريم، وأثناء البحث وجدنا وفرة الآيات التي تتحدث عن الخوف والتقوى.

أو تكرار صفة أو اسم لتنبية لأهميته ومكانته، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٧٥﴾ [الشعراء: ١٧٥] وقد تكررت صفة العزيز في القرآن في مواضع شتى وتكررت هذه الآية ذاتها في سورة الشعراء لتسع مرات. وتكرر اسم آدم وموسى والجنة والنار وسواها من الأسماء في القرآن الكريم.

وقد يكون التكرار تكرار قصة كقصة آدم عليه السلام، وسجود الملائكة له، لما لها من أهمية بالغة، وأثر عظيم على الإنسان والبشرية، وقصة الخلق الأولى.

ومثلها قصة موسى وإبراهيم والكثير من القصص التي نفهم من تكرارها عظيم ما جرى فيها من أحداث. وتكرار النداء، كتنار نداء يا أيها الناس ويا أيها الذين آمنوا، وذلك لما له من أثر ووقع على نفس المنادى. وهكذا نرى أن ورود التكرار في القرآن الكثير في عدة مواضع يشير إلى كثرة الفوائد والأهداف التي يرنو إليها، فالقرآن نزل بلغة العرب ومن بلاغة هذه اللغة، ووروده في القرآن بهذه الكثرة ما هو إلا تأكيد على أهميته وفوائده.

١. أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، ١٢٦ / ٥

٢. الجرجاني، التعريفات، ص: ٦٥

٣. نصر الدين بن محمد بلقاسم الجزائري، أساليب تربوية في ضوء السنة النبوية من خلال الكتب الستة ومسند الإمام أحمد، ص: ٢١٤

ويتبين أن أهم الأهداف التربوية من التكرار هي زيادة الفهم، وتقرير للمعنى في النفس، وجذب الانتباه (التنبه من الغفلة) وتهيئة الذهن، وتأكيد الأمر والإشارة إلى أهميته وخطورته، والترغيب في الأمور المحمودة، والترهيب عن الأمور المذمومة^(١).

المطلب الخامس: الثناء والتشجيع:

الثناء في اللغة ما خص به أحدهم من المدح أو الذم، وقد خصّه البعض بالمدح فقط^(٢)، وأما اصطلاحاً فالثناء للشيء: فعل ما يشعر بتعظيمه^(٣). والشجاعة شدة القلب في البأس^(٤).

ولأسلوب الثناء والتشجيع أهدافاً تربوية عظيمة منها تحريك المشاعر نحو العمل الأفضل وتغذية الدافعية لدى الشخص للقيام بالأعمال، فتزيد ثقته بنفسه ويشعر بالرضا والإنجاز، ويعمل على إثارة تطلّع الآخرين وحماسهم للنأسي بالمثني عليه والافتداء به، وإبرازه مثلاً حياً مشاهداً أمامهم، وتوجّه الأنظار إلى الخصال الشريفة والفعال الحميدة التي استحق على أهلها الثناء^(٥).

كما أن الثناء قد يحفّز الغير على الإتيان بمثل الفعل الذي أثني عليه، كما أنه يُسرّع الإتيان بالأفعال الحسنة لما له من إثارة للدافعية عند الأشخاص، وأثنى الله عز وجل على نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم في مواضع عدة في القرآن الكريم ومنها قوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [الْقَلَم: ٤]

وقد ذكر الله صفات المؤمنين في مواضع كثيرة من القرآن وفصل فيها فهو يحثنا على التحلي بهذه الصفات والإتيان بها، ومن الآيات التي تتحدث عن صفات المؤمنين، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٥٧﴾ [التَّوْبَةُ: ٧١]، هؤلاء الذين هذه صفتهم، الذين سيرحمهم الله، فينقذهم من عذابه، ويدخلهم جنته^(٦)، سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ السنين مفيدة وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد، وَمَسَاكِينَ تتميز بأنها غاية في الحسن والجمال والطيبة، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ، وهذا دلالة على أن رضوان الله أكبر من كل ذلك، لأنّ رضى الله هو سبب الفوز والسعادة لأنهم قد نالوا برضا الله وتعظيمهم لهم أكبر كرامة.

١. نصر الدين بن محمد بلقاسم الجزائري، أساليب تربوية في ضوء السنة النبوية، ص: ٢٤٣

٢. ابن منظور، لسان العرب، ١٤ / ١٢٤

٣. الجرجاني، التعريفات، ص: ٧٢

٤. ابن منظور، لسان العرب، ٨ / ١٧٣

٥. نصر الدين بن محمد بلقاسم الجزائري، أساليب تربوية في ضوء السنة النبوية، ص: ٣٠٨

٦. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ١٤ / ٣٤٧

المبحث الثالث: الأساليب التربوية العملية في القرآن الكريم:

الأساليب العملية وهي الأساليب التي تعتمد على الفعل والتطبيق والتنفيذ، ولا يكون التركيز فيها على الألفاظ، لكن اللفظ يدخلها كمتعمق ومكمل لها لكن الغالب والأساس فيه هو الجانب العملي.

وتكمن أهمية الأساليب العملية في أنها أسرع وأكثر تأثيراً على النفس من غيرها لكونها تعتمد على الحس، حيث يعيش المتعلم أحداثها كأنها رأي العين كما هو الحال في القصص والأمثال، ومن أهميتها أنها تعين على الفهم والإدراك بصورة سهلة وميسرة، وأخيراً لأنها أكثر تشويقاً وجاذبية من الأساليب اللفظية، وأكثر عطاءً لحقيقة الشيء^(١).

المطلب الأول: الطريقة الحسية (الحدسية):

الحس بكسر الحاء: من أحسست بالشيء، حسّ بالشيء يحسُّ حساً وحسيّاً وأحسَّ به وأحسَّه: شعر به، ويقال حسَّت بالشيء إذا علمته وعرفته^(٢).

وكذلك نرى أن الآيات الداعية إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وخاصة المكي منها، تعتمد على البراهين الواقعية، ونقل أفكارنا إلى الملموس المرئي في واقعنا إلى الإيمان بالغيب، فالقرآن لا يزال يذكر عجائب الكون وحوادثه ونظامه، ليوصلنا بالنتيجة إلى عظمة الخالق البارئ المصور لجميع المخلوقات والكائنات، ببرهان منطقي يستند إلى الفطرة السليمة ومبادئ الفكر الصحيح، ويفهمه المبتدئ والصغير والكبير على السواء كل حسب تفكيره واستعداداته^(٣).

فإن الله عز وجل في هذه الآيات يعلمنا الأسلوب العملي في التربية إلى جانب الأسلوب النظري، فسيدنا إبراهيم عليه السلام آمن وصدّق، لكنّه أراد مثلاً ونموذجاً حياً يثبت هذا الإيمان في قلبه، فكان هذا التطبيق العملي المباشر لذلك، لتكون الإجابة بما تمّ الجواب به لتعم الفائدة العظيمة للسامعين أيضاً، فالجواب ببلى إنما إيجاب لما بعد النفي، فيكون المعنى بلى قد آمنْتُ وأريد لقلبي أن يزداد إيماناً وسكوناً بما يضمه علم الضرورة من الاستدلال بتظاهر الأدلة ويكون أزوداً للبصيرة واليقين، فعلم الاستدلال يجوز معه الشك على عكس العلم الضروري، فهو يريد بطمأنينة القلب العلم الذي لا يمكن مجال فيه للتشكيك^(٤)، ﴿وَإِذْ قَالَ

إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴿٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠]

١. نصر الدين بن محمد بلقاسم الجزائري، أساليب تربوية في ضوء السنة النبوية، ص: ٣٣٤

٢. ابن منظور، لسان العرب، ٦ / ٤٩

٣. عبد الرحمن نحلاوي، أسس التربية الإسلامية وطرق تدريسها، ص: ٣٩

٤. الزمخشري، الكشاف، ١ / ٣٠٩

وكذلك ينتقل هذا الأسلوب الرائع إلى سيدنا إبراهيم فيتخذه خير طريقة ليثب بطلان ما يعبد قومه ويريههم بشكل عملي مباشر فساد ما هم عليه، ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ يَتَابَرِهِيْمُ﴾ ٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ [الأنبياء: ٦٢ - ٦٤]

المطلب الثاني: ضرب المثل:

المثل لغة مناظرة الشيء للشيء^(١)، إن ضرب المثل فيه الكثير من الحكم والفوائد التي تساهم في تربية الفرد فهو يُسهّل التفكير والتعقل وقياس الأمور على أشباهها ويكشف معاني ويقرب المراد وفي التمثيل سرعة للقبول في النفوس، فتكون صحيحة التشبيه يعلم الإنسان بها سابقا سهولة الوصول إلى الفهم وتناسب حال المستمع إليها.

ويمكن أن عرض الأهداف التربوية للتمثيل في كتاب الله عز وجل والموضوعات التي تطرقت إليها لتحقيق الأهداف المرجوة، ومنها أن تقرب صورة الممثل له إلى عقل المخاطب، والإقناع بفكرة من الأفكار، والترغيب والترهيب، وإثارة محور الطمع الرغبة أو محور الخوف والحذر لدى المخاطب، فيمدح الذي يستحق المدح ويذم الذي يستحق الذم^(٢).

وبهذا أبرزت الحكمة والفوائد التي تحملها وأقامت البرهان على الأمر والحكاية وشوّقت المستمعين لسماع الموعدة وفهم المراد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الرؤم: ٥٨]

والتمثيل يكون بتمثيل المعقولات وتقريبها للذهن، فقد ذكر الله في كتابه العزيز مثالا لمن يحمل كتب العمل ويمشي بها ولا يعلم ولا يدري ما تحتويه وماذا فيها من علوم ومنافع، فما ينال من ذلك إلا الجهد والتعب فهو كالحمار الذي يحمل الكتب القيمة على ظهره ويسير بها فضرَب الله هذا المثل للذين حملوا التوراة ومار عوها حق رعايتها ولا علموا ما فيها من علوم ومنافع فهو بئس مثال للقوم الذين علموا حق العلم بنبوة محمد عليه السلام ورغم ذلك كذبوا وأصروا على جهلهم^(٣)، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ

الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]

وكما ضرب الله الأمثال لمن لم يؤمن وناله عقاب الله وشبهه بالأعمى والبصير كذلك ضرب الله عز وجل الأمثال للمؤمنين وأحوالهم وعبادتهم، كما ضرب المثل للإنفاق في سبيله، وهذا التمثيل يصور لنا الأضعاف

١. أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، ٥ / ٢٩٦

٢. سعيد إسماعيل علي، القرآن رؤية تربوية، ص: ٣٨٦

٣. الزمخشري، الكشاف، ٤ / ٥٣٠

المزينة والعديدة، فتشعر وكأنها تتمثل أمام عيني الناظر^(١)، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]

ومن أمثلة ضرب المثل ما ورد في القرآن من ذكر حال الدنيا، وهذا فضررب لنا تشبيها مركبا، فشبه لنا حال الدنيا وما يطرأ عليها من تغييرات بمثل نراه ونلمسه كل عام فهو كالأرض التي بعد أن تسقيها وترعاه وتتخذ زينتها وكأنها العروس تصبح جفافا وحطما وكأن حالها بالأمس ليس كحالها الآن^(٢). ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤]

المطلب الثالث: اغتنام الظروف:

لقد كانت ظروف الحياة تتطلب كثيرا من التشريعات التعبدية الاجتماعية، فينزل بها الوحي أو تأتي بها سنة رسول الله عليه السلام، وإن هذه المناسبات التشريعية التاريخية تغنيا في دروس التربية الدينية عن اختراع قصة لا أصل لها لأجل التمهيد، وتعطي دروس التربية الدينية رسوخا في النفس، فللصلاة مناسبة شرعية فيها وهي الإسراء والمعراج، وللتيمم مناسبة ولتحريم الخمر أسباب حرم من أجلها على مراحل وهكذا^(٣).

فالمثال الحي والظرف الواقع فعليا ومجىء القرآن به لهو أوقع في النفس وأسرع تأثيرا وثباتا، ويمكننا هنا أن نعطي لهذا مثال ألا وهو سورة المجادلة وما في هذه السورة من حكم وعبر وآيات من وحي واقع الصحابة وما يعيشونه لتكون دستوراً لمن بعدهم من المسلمين في كافة بقاع الأرض.

المطلب الرابع: القصص

القصص أسلوب تربوي مهم فهو يختصر المسافات ويسافر بالمستمع عبر الزمن، ويجذب عقل السامع، ويشوقه لمتابعة الأحداث، ويحافظ على تركيزه، ويرفع من مستوى استيعابه، والقصة إنما هي إخبار عن حال من مضى قبلنا تبين ما جرى معهم وعاشوه في حياتهم وكيف عالجوا الأحداث الطارئة عليهم، فيكون لها من التأثير البالغ في نفوسهم، فتكون أقوى من التوجيه المباشر أحيانا.

١. الزمخشري، الكشاف، ١ / ٣١٠

٢. الزمخشري، الكشاف، ٢ / ٣٤٠

٣. عبد الرحمن نحلاوي، أسس التربية الإسلامية وطرق تدريسها، ص: ٤٢

فالقصة في حقيقتها وإن كانت انعكاسا لما جرى وحدث في الماضي إلا أنها في ذات الوقت تبين لنا صورة المستقبل وما يجب أن يكون عليه من قيم تسود في المجتمع ويتحلى بها^(١).

وللقصة أنواع كثيرة منها قصص الأنبياء ودعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي جرت على أيدي الأنبياء والصالحين، وعاقبة المؤمنين من جنة ونعيم وكذلك المكذبين من سوء وجحيم، وقس عليه قصص المرسلين والأنبياء كقصة نوح وسيدنا إبراهيم والرسول موسى وأخاه هارون ونبي الله عيسى، وخاتم الأنبياء محمد وغيرها الكثير والكثير، أو القصص الذي في القرآن بما يتعلق بحوادث غابرة وأشخاص آخرين صالحين لم تثبت نبوتهم مثل قصة الذي أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وقصة طالوت وجالوت وأصحاب الفيل وغيرهم، أو قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران ونحو ذلك، أو القصص الغيبية، وهي التي نتحدث عن أحداث ووقائع جرت من صميم الغيب، مأخوذة من مشاهدة الآخرة ومن هذا اللون قصة محاكمة عيسى عليه السلام^(٢).

١. سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص: ٣٠٥

٢. انظر في التربية الإسلامية، ص: ٣٠. سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص: ٣٠٧

الباب الثاني: علم الوقف والابتداء ومذاهب العلماء فيه:

الفصل الأول: علم الوقف والابتداء:

يُعرف الوقف والابتداء في قراءة القرآن الكريم بأنه قطع القارئ الصوت لا بنية الإعراض عن القراءة، بل ليستأنفها بأخذ نفس جديد، فلا يكون إنهاء للقراءة، بل دواماً لها وسيتبعها ما بعدها، وقد يكون هذا الوقف بآخر الكلمة التي في الآية أو ما قبلها، ولهذا الأمر من أهمية بالغة تنعكس على المعنى والتفسير العام للآية وارتباط الكلمة بما قبلها حسب علم النحو واللغة، فلا يكون الوقف سبباً في فساد المقصد العام من الآية، وسياق الآيات وترابطها فيما بينها، ولا قطعاً لمتراپبات القواعد اللغوية فيما بينها، ولا يمكن أن يقوم بهذا العلم إلا عالم بأصول اللغة والدين ناقلاً بالإسناد عن غيره.

المبحث الأول: مفهوم الوقف والابتداء:

المطلب الأول: معنى الوقف لغة واصطلاحاً:

الوقف لغة: هو أصل واحد دلالتة على تمكث في شيء ومن ثم يتم القياس عليه، ومنه وقفت أقف وقوفاً، ووقفت وقفي، ولا يقال في شيء أوقفت إلا أنهم يقولون للذي يكون في شيء ثم ينزع عنه، وحكى الشيباني "كلمتهم ثم أوقفت عنهم" أي سكت، وكل شيء أمسكت عنده فإنك تقول: أوقفت^(١). والوقف الكف عن الفعل والقول^(٢).

بدأ لغة: افتتاح الشيء، بدأت بالأمر وابتدأت به، من الابتداء، والله تعالى المبدئ والبادئ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ٢٠] ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]^(٣).

وهو فعل الشيء أول، بدأ به وبدأه يبدأه بدءاً وأبداه وابتدأه، وبديت بالشيء قدمته، وبدأت الشيء فعلته ابتداءً^(٤).

وأما المعاني المختلفة للوقف والابتداء كل حسب المجال الذي ترد فيه فيمكننا الإشارة إليها كما ذكرها الجرجاني بالشكل التالي:

١. أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، ٦ / ١٣٥. ابن منظور، لسان العرب، ٩ / ٣٥٩ و ٣٦٠ فيه تفصيلات عن كلمة أوقفت والآراء فيه. إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٤ / ١٤٤٠
٢. أحمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي، (ت: ١١٠٠)، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، ت: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث القاهرة مصر، ٢٠٠٨م، ١ / ٢٣
٣. أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، ١ / ٢١٢.
٤. ابن منظور، لسان العرب، ١ / ٢٦ و ٢٧

الوقف: في اللغة الحبس، وفي الشرع: حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة، عند أبي حنيفة فيجوز رجوعه، وعندهما: حبس العين عن التملك مع التصديق بمنفعتها، فتكون العين زائلة إلى ملك الله تعالى من وجه، والوقف في القراءة: قطع الكلمة عما بعدها.

الوقف في العروض: إسكان الحرف السابع المتحرك، كإسكان تاء مفعولات ليبقى: مفعولات، ويسمى: موقوفاً^(١).

الابتداء: هو أول جزء من المصراع الثاني، وهو عند النحويين تعرية الاسم عن العوامل اللفظية للإسناد. نحو: زيد منطلق، وهذا المعنى عامل فيهما، ويسمى الأول مبتدأ، ومسنداً إليه، ومحدثاً عنه، والثاني خبراً، وحديثاً ومسنداً.

الابتداء العرفي: يطلق على الشيء الذي يقع قبل المقصود، فيتناول الحمدلة بعد البسملة^(٢).

أما معنى الوقف والابتداء في علم القراءات فهو اصطلاحاً: قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة، بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله^(٣).

وهناك اصطلاحات للسلف في التعبير عن الوقف والابتداء وذلك بقولهم: هذه الآية مفصولة أو منفصلة أو مقطوعة أو منقطعة ويقولون هذا من الموصول والمفصول ومعنى الفصل: القطع والوقف.

والكلام قد يكون مفصولاً مما بعده وقد يكون موصولاً، وهو من جهة الوصل والفصل ينقسم إلى خمسة أقسام:

١. قسم يتصل بما بعده لفظاً ومعنى، {بسم الله}

٢. وقسم ينفصل معنى ولفظاً؛ {إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم} [البقرة: ٥٥]

٣. قسم يتصل لفظاً ومعنى؛ {وعلى أبصارهم غشاوة} [البقرة: ٧٥]، فهو متصل بما قبله لوجود واو العطف

وعود الضمير، ومنفصل معنى لأن الختم لا يقع على الأبصار، ولأن غشاوة مرفوع بالابتداء وعلى أبصارهم موضوع خبره.

١. الجرجاني، التعريفات، ص: ٢٥٣

٢. الجرجاني، التعريفات، ص: ٧

٣. شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، (ت: ٨٨٣)، النشر في القراءات العشر، ت: محمد علي الصباغ، المطبعة التجارية الكبرى، ١ / ٢٤٠

٤. فسم ينفصل لفظاً ومعنى؛ {أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى} [البقرة: ٥٥]، ينفصل لفظاً لأنه مبتدأ والذي بعده خبر، ويتصل معنى لأنه إشارة إلى الذين جرى ذكرهم من المنافقين.

٥. ما يتردد فيما بين هذه الأقسام فهو مرة يتصل بالأول وأخرى بالثاني وتارة يقوم بنفسه، وهذا يعتبر فيه تجريد الحروف واختلاف التفاسير والمعاني فتصل وتقف حسب اقتضاءها^(١).

المطلب الثاني: الفرق بين الوقف والسكت والقطع

الوقف والقطع والسكت ثلاثة ألفاظ مترادفة عند الأقدمين، والصحيح عند المتأخرين التفريق بينهما:

القطع: قطع القراءة رأساً ولا يكون إلا على رؤوس الآيات، فعند قولنا قطع القراءة فمعنى ذلك الانتقال إلى حالة أخرى غير القراءة كترك القراءة تماماً أو الكلام بغير القرآن أو الركوع، وهذا يستعاذ بعده للقراءة.

الوقف: قطع الصوت عن الكلمة زماناً يتنفس فيه بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض.

السكت: قطع الصوت زماناً دون الوقف من غير تنفس فإن طال صار وقفاً^(٢).

الوقف، والسكت، والقطع، عبارات يختلف مقصود القراء، ولعل الحكمة من وضعه أنه لما لم يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد، ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل، بل ذلك كالتنفس أثناء الكلمة، وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة وارتضاء ابتداء ما بعده^(٣).

ولهذا العلم أهمية عظيمة، وفائدة كبيرة، فلا يمكن لأي شخص أن يقوم به دون أن يكون عالماً بأصول اللغة وما نزل به القرآن والأحرف التي نزل، بها ومعاني القرآن الكريم، وأصول الدين وأحكام الشرع من تفسير وفقه، وكيفية استنباط الأدلة الشرعية بمعرفة فواصل الآيات.

وهناك الكثير من الأئمة ممن اشتهر فيه ونقلوه لتلاميذهم حفاظهم، وألف في هذا العلم الكثير من المؤلفات التي سترد في بحثنا.

١. عبد الله راجي المطيري، الوقف والابتداء وأثرهما في التفسير والأحكام، قسم الكتاب والسنة، كلية أصول الدعوة والدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ هـ، ص: ١٤٤ و ١٤٥

٢. سعيد إعراب، القراء والقراءات في المغرب، رفع: عبد الرحمن النجدي، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ١٩٩٠، ١٤١٠ هـ، ص: ١٧٨. الحسن بن أحمد وكاك، تقيد وقف القرآن الكريم، ط: الأولى، ١٩٩١ م ١٤١١ هـ، ص: ٥٠. عبد الله علي الميموني، فضل علم الوقف والابتداء والوقوف على رؤوس الآيات، دار القاسم للنشر والتوزيع الرياض، ط: أولى ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، ص: ٧

٣. سعيد إعراب، القراء والقراءات في المغرب، ص: ١٨٠

المبحث الثاني: أنواع الوقف والابتداء:

للوقف مذاهب وآراء وروايات نقلت عنه وإن يبدو ظاهرها مختلفًا لكنها تصب في الغاية ذاتها، وكما ذكرنا سابقا فإن مصطلحاته تباينت تبيينًا طفيفًا بين الأئمة.

وهذا التباين ليس اختلاف تنافر بل تنوع، فكما رأينا اختلفت الوقوف عند الأئمة وإن كانت تتلاقى بعضها في نقاط لكنها تختلف في نقاط أخرى حتى أن تقسيماتها تباينت؛ فابن الأنباري قسمها إلى تامًا وكافيًا أو حسنًا وقبيحًا^(١).

والنحاس؛ التام والحسن والصالح والجيد والبيان والبين والمفهوم والقبيح^(٢).

وأما الأشموني فقسمها إلى: تام وأتم وكاف وأكفي وحسن وأحسن وصالح وأصلح وقبيح وأقبح^(٣).

إلا أن السجاوندي انفرد بتقسيم الوقف على خمس مراتب لازم ومطلق وجائز ومجوز بوجه ومرخص ضرورة^(٤).

وذكر ابن الجزري أن الوقف ينقسم إلى اختياري واضطراري وهو في تقسيماته يقترب من تقسيمات ابن الأنباري.

المطلب الأول: الوقف التام:

الوقف التام هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده، لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده. وذلك عند تمام القصص وانقضائهن، وأكثر ما يكون موجودًا في الفواصل ورؤوس الآي^(٥).

ولهذا الوقف عدة أقسام منها:

١. محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري، **إيضاح الوقف والابتداء**، ت: محي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م، ١ / ١١٠. يونس علي يونس، **مقدمة في الوقف والابتداء مصطلحاته وعلاقاته بال نحو**، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد الرابع ١٣٨٦ هـ - ٢٠١١ م، ص: ١٦٩. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ) **الإتقان في علوم القرآن**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، ١ / ٢٨٤.

٢. أحمد بن عبد الكريم الأشموني، **منار الهدى في بيان الوقف والابتداء**، ١ / ٢٥. يونس علي يونس، **مقدمة في الوقف والابتداء مصطلحاته وعلاقاته بال نحو**، ص: ١٦٩.

٣. المصدرين السابقين.

٤. يونس علي يونس، **مقدمة في الوقف والابتداء مصطلحاته وعلاقاته بال نحو**، ص: ١٦٩. محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، **وقوف القرآن الكريم عند الإمام السجاوندي**، عرض ودراسة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ص: ٧. عزت شحاته كرار محمد، **الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية**، ط: الأولى، مؤسسة المختار القاهرة مصر، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ١٨.

٥. عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمر الداني، (ت: ٤٤٤ هـ) **المكثف في الوقف والابتداء**، ت: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط: الأولى، دار عمار، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١، ص: ٨. أحمد بن عبد الكريم الأشموني، **منار الهدى**، ص: ٢٥.

١. الابتداء بما تنتهي القصة عنده.

٢. الابتداء قبل انقضاء الفاصلة، {وجعلوا أعزة أهلها أذلة} [النمل: ٢٥]، هذا هو التمام، لأنه انقضاء كلام بلقيس ثم قال عز وجل: {وكذلك يفعلون} وهو رأس الآية.

٣. الابتداء بعد انقضاء الفاصلة، {وإنكم لتمررون عليهم مصبحين. وبالليل} [الصفات: ٣٥]، رأس الآية (مصبحين) والتمام: (وبالليل) لأنه معطوف على المعنى، أي: في الصبح وبالليل.

٤. تام في درجة الكافي من حيث تعلق الكلام من طريق المعنى، {وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً} [الكهف: ١٥]، هذا تام ثم يبدأ بقوله: {وما لهم بذلك من علم} لأن ما بعده مستغن عنه.

٥. والابتداء ببياء النداء غالباً، أو الابتداء بفعل الأمر، أو الابتداء بلام القسم، أو الابتداء بالشرط لأن الابتداء به ابتداء كلام مؤتلف.

٦. الفصل بين آية عذاب بآية رحمة، أو العدول عن الإخبار إلى الحكاية، أو الفصل بين الصفتين المتضادتين، أو تناهي الاستثناء، أو تناهي القول، أو الابتداء بالنفي، أو النهي.

المطلب الثاني: الوقف الكافي:

هو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ^(١).

وسمي كافياً لاكتفائه واستغنائه عما بعده واستغنائه ما بعده عنه بأن لا يكون مقيداً له.

وأكثر ما يكون في القطع على الفواصل، والابتداء بما بعده لأن كله معطوفاً على بعض، في سورة الجن والمدثر والتكوير والانفطار والانشقاق وما أشبههن.

وعلامته مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقواعد اللغة العربية، كأن يكون ما بعده فعلاً مستأنفاً، أو مبتدأً، أو مفعولاً لفعل محذوف نحو: {وَعَدَ اللَّهُ}، و{سُئِّلَ اللَّهُ}، أو كان ما بعده نفيًا، أو أن المكسورة، أو ألا المخففة، أو بل، أو استفهاماً، أو السين، أو سوف.

وأشهر حديث في الاستدلال على هذا الوقف، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: (اقرأ علي). قلت: يا رسول الله، اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (نعم). فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية:

١. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ١٠

{فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا}. قال: (حسبك الآن). فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان^(١).

فالوقف على كلمة شهيدا هو كاف وليس بتام، لأن التام: {وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا}، وذلك لأنه آخر القصة وهو جاء في الآية الثانية، وقد أمره النبي ﷺ أن يقف دون التام بالرغم من قرب فدل هذا دلالة واضحة على جواز الوقف على الكافي، لأن قوله: يومئذ إله ليس قيذا لما قبله، ويُعدّ هذا الحديث من أشهر الأحاديث التي يُعَوَّل عليها الأئمة في الوقف الكافي وجواز القراءة به وهو أساس في هذا النوع.

وهناك قسم ورد في بعض المصادر ألا وهو الجائز: هو ما يجوز الوقف عليه وتركه.

نحو: {وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} [البقرة: ٤]، فإنَّ واو العطف تقتضي عدم الوقف، وتقديم المفعول على الفعل يقتضي الوقف؛ فإن التقدير ويوقنون بالآخرة؛ لأن الوقف عليه يفيد معنى، وعلامته أن يكون فاصلا بين كلامين من متكلمين، وقد يكون الفصل من متكلم واحد كقوله: {لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ} [غافر: ١٦]، الوقف جائز فلما لم يجبه أحد أجاب نفسه بقوله: {لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}^(٢).

المطلب الثالث: الوقف الحسن

هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً.

{الحمد لله رب العالمين} و{الرحمن الرحيم} الوقف على ذلك وشبهه حسن، لأن المراد مفهوم، فيكون:

١. ما يحسن الوقوف عليه من جهة اللفظ والمعنى معاً.

٢. كونه نعنا لما قبله، أو توكيداً، أو حالاً، أو بدلاً، نحو: {الْحَمْدُ لِلَّهِ} وقف حسن؛ لأنه في نفسه مفيد يحسن الوقف عليه دون الابتداء بما بعده؛ للتعلق اللفظي، وإن رُفِعَ: {رَبِّ} على إضمار مبتدأ، أو نُصِبَ على المدح وبه قرئ.

٣. كون الآية استثناء، والأخرى مستثنى منها، إذ ما بعده مع ما قبله كلام واحد من جهة المعنى. إذ كثيراً ما تكون آية تامة وهي متعلقة بما بعدها.

١. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٤٧٦٣، كتاب فضائل القرآن، باب: قوله المقرئ للقارئ حسبك، ٤ / ١٩٢٥

٢. أحمد بن عبد الكريم الأشموني، منار الهدى، ص: ٢٨

المطلب الرابع: الوقف القبيح

الوقف القبيح هو الذي لا يعرف المراد منه^(١)، وهو ما اشتد تعلقه بما قبله لفظاً ومعنى^(٢).

ومثال الجزء الأول من التعريف، الوقف على قوله: (بسم) و(ملك) و(رب) و(رسل) وشبهه والابتداء بقوله (الله) و(يوم الدين) و(العالمين) و(السموات) و(الله) لأنه إذا وقف على ذلك لم يعلم إلى أي شيء أضيف. وهذا يسمى وقف الضرورة، لتمكن انقطاع النفس عنده. والجلّة من القراء وأهل الأداء ينهون عن الوقف على هذا الضرب، وينكرونه، ويستحبون لمن انقطع نفسه عليه أن يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده، فإن لم يفعل فلا حرج عليه.

ومثال الجزء الثاني من التعريف وهو الوقف الذي يكون أقبح من بعضه البعض، {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي}، {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ}؛ فهو يوهم غير ما يريد الله تعالى؛ بإيهام وصف لا يليق بالله سبحانه، وبأن الوعيد بالويل للفرّيقين معاً، وإنما هو لطائفة قد ذكروا بعده، ونحو: {لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ} ففيه الإيهام بإباحة ترك الصلاة تماماً.

وتعددت آراء الأئمة والعلماء فيمن يقف على هذا الشكل هل هو مضطر أم متعمد، فإن كان مضطر وعادوا الابتداء بما بعده غير متقصد لإثم ولا معتقد لمعنى فلا وزر ولا جناح عليه، وقال البعض إن عرف المعنى فعليه وزر لأن الابتداء لا يكون إلا اختيارياً، وقال آخرون لا إثم إن عرف المعنى غير معتقداً له، أما من وقف متعمداً ومتقصداً فالإثم والوزر عليه.

ومن أمثلة هذا الوقف:

١. الوقف على الأسماء التي تبين نعوتها حقوقها، نحو قوله {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} وما يشابهه، لأن (المصلين) اسم محمود ممدوح غير لائق به (ويل)

٢. الوقف على النفي الذي يكون بعده حرف الإيجاب نحو قوله {لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} و{مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ} و{لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} وشبهه

ما يخرج عن حكم الأول من حيث المعنى، لأنه عندما يتم قطع عليه دون ما بيان حقيقته وتوضيح مراده لم يكن شيء أقبح منه لاستواء حال من كفر ومن آمن، ومن ضل ومن اهتدى، وفي ذلك بطلان الشريعة والخروج من الملة فيلزم من انقطع نفسه عند ذلك أن يرجع حتى يصل "و" الكلام بعضه ببعض أو يقطع على آخر القصتين، أو على آخر القصة الثانية إن أراد، وقد أثم واعتدى من لم يفعل ذلك، وافترى وجهل

١. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ١٣

٢. أحمد بن عبد الكريم الأشموني، منار الهدى ص: ٢٨

و{فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني} [إبراهيم: ٣٦]، و{لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم} [إبراهيم: ٧] (١).

المبحث الثالث: ارتباط علم الوقف والابتداء بفهم معاني القرآن الكريم:

إنَّ لعلم الوقف والابتداء أهمية في علم القراءات مما لا يخفى على باحث ولا طالب علم، فبهذا العلم يتم معرفة معاني القرآن من خلال التعرف على مواطن الوقف والابتداء بما يوافق ويلائم أوجه التفسير وآراء الأئمة والحكم التي تجلت لهم فيها أثناء تفسير القرآن والوقوف على مراده، ويرادفه القراءة، وصحة اللغة، فحينئذ يتحقق لطالب العلم فهم كتاب الله تعالى وخطأ المغرضين المتعاليين على الدين، وبذلك تُعرف مقاصد القرآن الكريم، ويظهر إعجازه، ويتضح سحر بيانه ومعانيه، وتستعد قوة الفكر لأن يغوص أكثر وأكثر في محيط علوم القرآن، والنيل على روائع فوائده.

ومثلاً لما تقدم قوله تعالى: {قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين} [المائدة: ٢٦]، فإذا وقَّف على: {فإنها محرمة عليهم أربعين سنة} كان المعنى: أنها حرمت عليهم هذه المدة، فيكون {أربعين سنة} ظرفاً للتحريم، وإذا وقف على {فإنها محرمة عليهم}، كان المعنى: أنها محرمة عليهم أبداً، وأنهم يتيهون أربعين سنة، فيكون {أربعين سنة} ظرف زمان للتيه، فيرجع في هذا إلى التفسير، ويكون الوقف بحسب ذلك لأنه الأنسب للمعنى ولحكمة الله تعالى من هذا التحريم.

ومثله: {وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص} [المائدة: ٤٥]، ويكون تمام الوقف على: {قصاص} عند من نصب: {والعين} وما بعدها، عطفاً على: {النفس}، وجعل: {قصاص} خبر {أن}، وهي قراءة: نافع وعاصم وحمزة والأعمش، ومن قرأ: {والعين} بالرفع، ورفع ما بعدها، فالوقف عنده على: {أن النفس بالنفس}، وهي قراءة الكسائي، ويكون المعنى على هذه القراءة: أن {والعين بالعين...} بالرفع: ابتداء حكم في المسلمين، وبجعل ما كتبت عليهم في التوراة أن النفس بالنفس، وإيجاب الحكم في القصاص في العيون وما بعدها بين المسلمين بالآية.

وبهذا يتبين أن في معرفة الوقف والابتداء إنما هو تفريق بين المعاني أولاً، فيجب لقارئ القرآن إذا قرأه أن يفهم ما يقرأ، فيشتغل قلبه به، ويتحرى القطع والالتفاف، ويحرص على أن يفهم الذين يستمعون إلى ما يقرأ، بحيث يكون وقفه عند كلام يستغني فيه عما بعده، أو ما يشبهه به، وأن يكون الابتداء حسناً.

وطالب العلم يحتاج معرفة مواضع يقطع قراءته، وكيف يستأنف قراءته؛ لأن من الوقف ما يكون واضحاً مفهوماً معناه، ومنه ما يكون مشكلاً لا طريق لمعرفته إلا بالسماع، أو علم بالتأويل، وقس عليه ما يعلمه أهل العلم باللغة والعربية، فكان بهذا معتمداً على ما ارتضاه أهل الإتيان من أهل العربية، وما يأوله

١. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ١٦

المحققون من الأئمة، ولا يُعتمد على كل ما يتكفله أحد المقرئين، أو يتعسف به بعض المعربين، أو يتأوله محرف من أهل الأهواء المخطئين، ومثاله أن يقف على نحو قوله تعالى: {وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك} [لقمان: ١٣]، ثم يبتدئ: {بالله إن الشرك لظلم عظيم} على معنى القسم، وكالوقف على: {وارحمنا أنت} [البقرة: ٢٨٦]، ثم يبتدئ: {مولانا فانصرنا} على معنى النداء، فكل ما تقدم وما يشبهه إخراج للتنزيل عن المعنى المراد به، فهو تحريف يبطله إجماع المصاحف على أنه كلمة واحدة، فعلى طالب العلم أن يتنبه ويحذر من هذا التحريف، وأن يراعي ما نص عليه أئمة هذا الشأن؛ مهتمًا بتفهم معاني التنزيل، فهو خير له من اتباع الأهواء، أما من لم يهتم بذلك فقد يصل بين المعنيين المختلفين.

وقد يقف قبل أن يتم المعنى، فإن اضطر لهذا فقد لا يصل إلى ما وقف عليه بما جاء تاليه حتى ينتهي إلى ما يصح أن يقف عنده، وفي هذا دلالة على أنه لا يفهم هو ما يقرأ، وقد يفهم هو أو يفهم غيره على خلاف المراد من كلام الله تعالى بسبب ذلك، وهذا فساد عظيم، وخطر كبير لا تصح به القراءة، ولا توصف به التلاوة، فمثلاً في قوله تعالى: {إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى بيعتهم الله ثم إليه يرجعون} [الأنعام: ٣٦]، من قرأ: {إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى} ثم وقف، فقد وصل بين معنيين مختلفين، حيث أشرك بين المستمعين من المؤمنين، وبين الموتى في الاستجابة، وليس معنى الآية هكذا، بل المعنى: أن الموتى لا يستجيبون لدعوة الرسل، وإنما أخبر الله تعالى عنهم مستأنفاً أنهم يبعثون للحساب، وأقبح من هذا ما يحصل به فساد المعنى المراد من الآية، وسوء الأدب مع الله تعالى، مثل الوقف على قوله تعالى: {لقد سمع الله قول الذين قالوا} [آل عمران: ١٨١]، والابتداء بالمعمول دون عامله: {إن الله فقير ونحن أغنياء}، ولا يخفى ما في هذا وما أشبهه من فساد للمعنى المراد من القرآن الكريم، فلا يجوز تعمد الوقف عليه، كما لا يصح التفوه به^(١).

المبحث الرابع: أهمية علم الوقف والابتداء عند الأئمة:

كان للعلماء كما تقدم اهتماماً كبيراً بهذا العلم وما زال، فحضوا على تعلمه وتعليمه ومعرفة تامة، يعتمدون في ذلك على ما جاء من سنة النبي ﷺ، وآثار الصحابة والتابعين، ثم من بعدهم من الأئمة، فقد ورد في السنة الوقف على رؤوس الآيات، حيث أخبرت أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يُقَطِّع

١. عبد الفتاح المرصفي (ت: ١٤٠٩هـ)، هداية القاري في تجويد كلام الباري ط: الثانية، مكتبة طيبة المدينة المنورة، ١ / ٣٨٧ وحتى ٣٩٠. أبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي، (ت: ٥٦٠هـ)، علل الوقوف، تحقيق: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، الجزء الأول، مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ١ / ١٤. عبد الله علي الميموني، فضل علم الوقف والابتداء والوقوف على رؤوس الآيات، ص: ١٠ وما بعدها. يونس علي يونس، مقدمة في الوقف والابتداء وعلاقته بالنحو، ص: ١٦٦ و ١٦٧. محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، وقوف القرآن الكريم عند الإمام السجاوندي ص: ١٠. جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ١ / ٢٨٨ وما بعدها شرحاً تفصيلياً.

قراءته آية آية^(١)، فهذا دليل على أن النبي ﷺ كان يقرأ أصحابه رضي الله عنهم على مثل هذا، ويعلمه لهم.

وقد كان النبي ﷺ يعلم أصحابه رضي الله عنهم وقف التمام، بدليل ما أخرجه الطبري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة"^(٢)، قال النحاس: "فهذا تعليم التمام توقيفاً من رسول الله ﷺ بأنه ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب، ويفصل مما بعدها إن كان بعدها ذكر النار أو العقاب، نحو: {يُدخل من يشاء في رحمته} [الإنسان: ٣١]، لا ينبغي أن يقول: {والظالمين}؛ لأنه منقطع مما قبله، منصوب بإضمار فعل، أي: ويعذب الظالمين، أو: وأوعد الظالمين.

وقد وصل اهتمام بهذا العلم من العلماء بأن بينوا قواعده وضوابطه وكان البعض منهم لا يعطي الإجازة لمن لا يعرف هذا الفن وغير متقن له، ومن هذه الضوابط ما ذكره النحاس بقوله: "حكى لي بعض أصحابنا عن أبي بكر بن مجاهد - رضي الله عنه - أنه كان يقول: لا يقوم بالتمام إلا نحوي، عالم بالقراءة، عالم بالتفسير، عالم بالقصاص، وتلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن. وقال غيره: يحتاج صاحب علم التمام إلى المعرفة بأشياء من اختلاف الفقهاء في أحكام القرآن".

ومن الأئمة الذي اعتنوا بهذا الفن من السلف الصالح: أبو عبد الرحمن السلمي؛ حيث كان يستحب أن يقف على: {قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا} [يس: ٥٢]، ثم يبتدىء: {هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون}، وذلك للتفريق بين كلام الكفار، وجواب الملائكة، وكذلك: نافع المدني وعاصم والكسائي: فقد كانوا دائماً ما يراعون محاسن الوقف والابتداء وفق معنى الآية، وكذلك الإمام أبو الفضل الرازي (ت ٤٥٤ هـ) حيث إنه من أول الذين نبهوا على المراقبة في الوقف، فمثلاً في قوله تعالى: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين} [البقرة: ٢]، فإذا وقفت على: {لا ريب} لا تقف على: {فيه}، وإذا أردت الوقف على: {فيه} لا تقف على: {لا ريب}.

وقد أشاد الإمام ابن الجزري بهذا الاهتمام فقال: "وصح، بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح، كأبي جعفر يزيد بن القعقاع، إمام أهل المدينة، الذي هو من أعيان التابعين، وصاحبه الإمام: نافع بن أبي نعيم، وأبي عمرو بن العلاء، ويعقوب الحضرمي، وعاصم بن أبي النجود، وغيرهم من الأئمة، وكلامهم في ذلك معروف، ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب". ومن ثم اشترط كثير من الأئمة من الخلف أنه يجب على المجيز ألا يجيز أحداً إلا بعد معرفته الوقف والابتداء، وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل

١. أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١) مسند الإمام أحمد، ت: عادل مرشد وشعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م، ٤٤ / ٢٠٦

٢. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ١ / ٤٦

حرف ويشيرون إلينا فيه بالأصابع، سُنَّة أخذوها كذلك عن شيوخهم الأولين - رحمة الله عليهم أجمعين - وصح عندنا عن الشعبي - وهو من أئمة التابعين علماً وفقهاً ومقتدئاً - أنه قال: إذا قرأت: {كل من عليها فان}[الرحمن: ٢٦]، فلا تسكت حتى تقرأ: {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}.

بناء على ما تقدم وذكرنا نرى كم اهتم وكم أولى الأئمة والعلماء أهمية كبرى لهذا العلم، فتنوعت مشاربهم وكثر منتجاتهم فيه فمنهم من اعتنى بأفراده بالتأليف، كالإمام نافع المدني، ويعقوب الحضرمي، وأبي بكر بن الأنباري، وأبي جعفر النحاس، وأبي عمرو الداني، والعُماني، والسجاوندي، والأشُموني، والآخرين ذكرهم ضمن مباحث علوم القرآن، كالإمام مكي في التبصرة، والسخاوي في جمال القراء، والنووي في التبيان، والزرکشي في البرهان، وابن الجزري في النشر، والسيوطي في الإتقان ومنهم من نقله متواتر إلى تلاميذه وطلابه وجعلهم يتقنونه وكأنه كتاب مفتوح أمامهم كالإمام الهبّطي في المغرب^(١).

الفصل الثاني: مذاهب العلماء في الوقف والابتداء:

المبحث الأول: مذاهب العلماء في الوقف والابتداء:

تعددت مذاهب العلماء في الوقف، وكان أساسها وبنائها عمن نقل من الأئمة وتواتر هذا النقل من الشيوخ والقراء، وموافقتها للمصحف، وقواعد وأساسيات اللغة العربية، ولكل مذهب منها أصوله التي استند عليها في هذه الوقوف، والأدلة التي استنبط منها وقفه، وعلى ماذا قاس وكيف، وأوجه الوقوف لديه، والأهداف والغايات والمغزى من القراءة والوقف فيها والحكمة من ذلك.

وانطلاقاً من الخصائص التربوية للقرآن الكريم نجد أنّ معنى الرّبانية إنما يتجلى في هذا النقل المتواتر للأئمة في القراءات ففي تمام البحث والتحري والنظر في هذه الآراء نرى أنّ العبارات والمصطلحات وإن اختلفت واختلفت التقسيمات والتفصيلات، إلا أن هذا الاختلاف تنوع، لا اختلاف تضارب وتناقض، وكل ماورد في كتب القراءات والوقف والابتداء هو في جملته لا يخرج عن أقسام الوقف الأربعة الأساسية وهي التام والكافي والحسن والقبیح.

وقد جعل البيهقي والداني وأبو العلاء الهمداني، وابن القيم وابن الجزري ذلك سنة عن النبي عليه الصلاة والسلام، وكان أبو عمرو بن العلاء بن الأئمة، وأحد القراء السبعة يسكت عند رأس كل آية، وكانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية ويدعوا بعضها، وقد قوي عند العلماء أن رؤوس الآيات مقاطع في ذاتها،

١. سعيد إعراب، القراء والقراءات بالمغرب، ص: ١٧٩. السجاوندي، علل الوقوف، ١ / ١٩. عبد الله علي الميموني، فضل علم الوقف والابتداء والوقوف على رؤوس الآيات، ص: ٢٥. محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، وقوف القرآن الكريم عند الإمام السجاوندي، ص: ٨. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١ / ٢٨٢.

وأكثر ما يوجد التام فيها حتى أن هناك جماعة من العلماء كانوا يستحبون القطع عليها حتى إن تعلق كلام بعضها بالآخر^(١).

وهذا عندهم في المواضع التي لا يشتد تعلقها بما بعدها فيتغير بالوقف المعنى، ثم إنه ليس فيما نقل عن النبي عليه الصلاة والسلام دلالة على مداومة النبي على ذلك، ولهذا فإن القراء أكثرهم قد اتجهوا حيث مراعاة المعنى، وإن لم يكن رأس آية، وبالرغم أن أكثر القراء هم على مراعاة المعاني، فهم يفتقون عندما يراعون المعاني على رؤوس الآيات غالباً، وذلك لأنها كثير من الأحيان إنما مقاطع ينتهي إليها المعنى. ولا بد من تقييد القول بأن الوقف على رؤوس الآي سنة من الوجه الذي لا يفسد المعنى ولا يبدله عن وجهه.

ولهذا فقد جعل علماء الوقف والابتداء الوقف على المواضع التي يشتد تعلقها بما بعدها قبيحا بالرغم من أنها رؤوس أي كقوله تعالى: {قَوِيلٌ لِّلْمُصَلِّينَ} [الماعون: ٤]، وانطلاقاً من خاصية العالمية للتربية في القرآن الكريم، والوضوح والشمولية فيه، فلا بد من إتمام المعنى وإحاقه بما بعده ليتم فيه إيصال المراد من الأسلوب المتبع الترهيب والتخويف من ترك الصلاة.

وكقوله تعالى: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ} [الحجر: ١٤] فإن وقف القارئ هنا لكان لا معنى للكلام لأن الجواب لا يكون قد تم فإن اللام بعدها في قوله تعالى: {لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ} فهي تتعلق بما قبلها، وقد ذكرنا في أساليب القرآن الحسية ضرب المثل فكيف يتم تكامل الصورة وبنائها في الأذهان دون بيان النتيجة المتوقعة منه.

فقد ذكر كثير من علماء الوقف هذه الآيات، ونبهوا على رأس الآية، ومنعوا من الوقف عليها مع كونها رؤوس أي، فمتى اشتد تعلق الآية بما بعدها لم يصح تعمد الوقف عليها حتى وإن كانت رأس آية، لأنها بذلك تفقد الخاصية التي جاءت بها، وتضعف القيمة التربوية التي تنوّه إليها، مشتت بذلك ترابط الأسلوب المتبع.

ولذا نرى اتفاق الأكثرية من الأئمة في هذه الوقوف، فنافع كان يراعي حسن الوقف والابتداء بحسب المعنى وكذلك الشامي، والمكي يراعي الوقف على رؤوس الآية ولا يقف أواسط الآية إلا في ثلاث مواضع: {وما يعلم تأويله إلا الله} [آل عمران: ٧]، {وما يشعركم} [الأنعام: ١٠٩]، {إنما يعلمه بشر} [النحل: ١٠٣].

١. عبد الله علي الميموني، فضل علم الوقف والابتداء وحكم الوقف على رؤوس الآيات، ص: ٧٨ و ٧٩

والبصري اختلفت الرواية عنه فقليل كان يعتمد الوقف على رؤوس الآية ويذكر الرازي عنه أن كان يطلب حسن الوقف، وكذلك اختلفت الرواية عن عاصم والكسائي، واتفق الرواة عن حمزة أنه كان يقف عندما ينقطع النفس ويؤثر وصل السورة بالسورة^(١).

والضابط في التفريق بين هذه الأنواع الأربع هو النظر إلى الكلام الذي قبل الوقف والكلام الذي بعده، فيبحثون عن ثلاثة روابط وبحسب وجود شيء من هذه الروابط أو وجودها كلها فيكون تحديد نوع الوقف وحكمه، وهي: الروابط اللفظية، والمعنى الخاص بكل عبارة، والسياق العام، فإذا لم يتواجد أي من الرابط اللفظي بين العبارتين، وكان المعنى الخاص بكل عبارة كاملاً بنفسه ولا يحتاج إلى العبارة الأخرى ليكمل ويصير معنى مفيداً، وكانت العبارة الثانية بداية موضوع وسياق جديد، فهذا هو التام، أما إن كان السياق لا يزال واحداً فهذا الكافي، وإن وجد بين العبارتين رابط لفظي ورابط في المعنى والسياق العام إلا أن العبارة الأولى بنفسها تشكل معنى مفيداً فهذا هو الحسن، فإن كان كل من العبارتين محتاجاً إلى الآخر بحيث لا يكون بنفسه معنى مفيداً إلا بالعبارة الأخرى فالوقف حينئذ بينهما قبيح^(٢).

وبناء على ما تقدم من تلخيص وإيجاز لأنواع الوقف نجد أن أجل ما يتمثل فيه من مبادئ للتربية الإسلامية ألا وهو وجوب التعلم ونشر العلم، فمن خلال تعلم قواعد اللغة السليمة وتقويتها والتمكن فيها، وبالتالي ملازمة الأئمة الناقلين بالتواتر، العالمين بمواضع الوقف والابتداء، وعلى وجه الخصوص تعليم الأطفال بتنشئتهم على قراءة صحيحة سليمة، وكذلك النساء من خلال تعليمهن أسلم ما يقف عليه، نجد أننا وصلنا إلى غاية القرآن في حثه على هذا المبدأ والقيمة التربوية العظيمة.

المبحث الثاني: مذهب الإمام السجاوندي:

المطلب الأول: نبذة عن الإمام السجاوندي:

السجاوندي هو محمد بن طيفور، أبو عبد الله، الغزنوي السجاوندي - بكسر السين المهملة، وفتح الواو - إمام كبير من أئمة القراءة وهو محقق مفسر نحوي لغوي.

عند البحث في كتب التراجم وجدنا أنها لم تذكر تاريخ ولادته، ولا عن نشأته، ولكن تبين من خلال ترجمته أنه غزنوي نسبة إلى غزنة - بفتح أوله، وسكون ثانيه، ثم نون - وهي مدينة عظيمة كثيرة الخيرات والنعم، وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والهند، والآن تقع في شرق أفغانستان، في جنوب العاصمة كابول، وهي واحدة من أهم المدن فيها، عاش في القرن السادس منتصفه - وقد يكون

١. سعيد إعراب، القراءات بالمغرب ص: ١٨٠. الحسن بن أحمد وكاك، تقييد وقف القرآن الكريم ص: ٧٣. يونس علي يونس، مقدمة في الوقف والابتداء مصطلحاته وعلاقاته بالنحو، ص: ١٦٩.

٢. عزت شحاته كرار محمد، الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية، ص: ١٨ و ١٩

عاش في نهاية القرن الخامس – أثناء العصر العباسي، وفي تلك الفترة كانت الخلافة الإسلامية في بغداد تتسم بأنها ضعيفة الجانب، وليس للخليفة من الأمر سوى اسمه المذكور على المنابر، وكان العالم الإسلامي قد تقسم إلى ممالك ودويلات، كالدولة الفاطمية في المغرب ومصر، والدولة الغزنوية في خراسان، ودولة السلاجقة في خراسان والعراق، ودولة الملثمين في الأندلس والمغرب الأقصى، وكان لهذا الانقسام سببا يشجع على ظهور الاضطرابات الطائفية والفتن الداخلية حيث كان لها أثر كبير في ضعف هذه الأمة، وضعف كيانها، وتزامنا مع تلك المصائب التي وجدت في المجتمع الإسلامي إلا أنه كانت هناك نهضة علمية جيدة، وعلى الخصوص في خراسان، حيث وجد من شجع العلم والعلماء من السلاطين والوزراء، كالوزير السلجوقي نظام الملك (ت ٤٨٥ هـ)، وإلى جانب هذه النهضة العلمية الرائعة فقد كان في عصره الذي يشجع على مسيرة هذه النهضة، والاستفادة من كنوز معارفها، من العلماء الجهابذة، كإمام الحرمين أبي المعالي الجويني النيسابوري الشافعي (ت ٤٧٨ هـ)، والعلامة علي بن عقیل أبو الوفاء البغدادي، المقرئ، الأصولي، شيخ الحنابلة (ت ٥١٣ هـ)، ومن سبق عصر المؤلف بقليل، وكان له اهتمام في علم الوقف والابتداء، الإمام مكي بن أبي طالب القيسي الأندلسي، إمام الأندلس وعالمها، وشيخ القراء فيها (ت ٤٣٧ هـ)، وكذلك الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت ٤٤٤ هـ)^(١).

وعند البحث في كتب التراجم نجد أنها لم تذكر رحلات له، أو من هم شيوخه، ولا تلاميذه، ولم تتطرق الكتب إلى أي شيء من نحو هذا، وقد قال الذهبي: لم أدر على من قرأ، ولا من أقرأ.

وقد ترك آثارًا علمية قيمة لا غنى للمكتبة الإسلامية عنها، ومنها: (عين المعاني في تفسير الكتاب العزيز والسبع المثاني): وقد أثنى عليه القفطي، وكذلك الصفدي، وابن الجزري، وابن قاضي شهبه، والسيوطي، والداودي، حيث قالوا: له تفسير حسن للقرآن، ومن مؤلفاته أيضًا كتاب (علل الوقوف): ويسمى: الوقف والابتداء الكبير؛ وهو الكتاب الذي كان مرجعي الكبير في البحث هذا، ومن كتبه؛ السراجية نسبة إلى كنيته (سراج الدين) في الفرائض والمواريث، وشرح السراجية و(الوقف والابتداء) و(الجبر والمقابلة) رسالة، و(ذخائر نثار في أخبار السيد المختار ﷺ)، توفي رحمه الله سنة ٥٦٠ هـ الموافق لـ ١٢٠٤ م^(٢).

١. خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، الأعلام (ت: ١٣٦٩)، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر ٢٠٠٢م، ٧ / ٢٧. السجاوندي، علل الوقوف ٤٣ / ١.

٢. خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام ج ٧ ص ٢٧. السجاوندي، علل الوقوف ١ / ٥٠. محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، وقوف القرآن الكريم عند الإمام السجاوندي، ص: ٧.

المطلب الثاني: ما يتفرد به مذهب السجاوندي عن غيره من المذاهب:

للإمام أقسام في الوقف تميّزه عن غيره من الأئمة، لكننا نجد في تقسيم الإمام لها أنما هو توّحدها في البحث عن حكمة الله في الآية وحكمته في ترتيب الألفاظ والآيات ضمن المعنى العام للآية، وهذا كله تحت ظل قواعد اللغة وانضباط الألفاظ.

أولاً: الوقف اللازم: وهو ما يلزم الوقف عليه، ومن ذلك الوقف على قوله تعالى: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض} [البقرة: ٢٥٣]، فلو وُصِل صار الجار وما دخل عليه صفة لبعض، فانصرف الضمير في بيان المفضل بالتكليم إلى {بعض} لا إلى جميع الرسل، فيكون موسى عليه السلام من البعض المفضل عليه غيره، لا من البعض المفضل على غيره، وليس هذا المراد من الآية.

ونحوه قوله تعالى: {سبحانه أن يكون له ولد} [النساء: ١٧١]، فلو وصل به: {له ما في السماوات وما في الأرض} صار حرف الجر المتصل بالمُنكّر وصف له، فيكون المنفي ولدًا له ما في السماوات وما في الأرض، والمراد نفي الولد مطلقًا.

ونحوه ما يجعل الوصل ما بعده ظرفًا لما قبله، وليس بظرف له، كقوله تعالى: {واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق} [المائدة: ٢٧]، فلو وُصِل به: {إذ قرّبا قربانًا} صار: {إذ} ظرفًا لقوله: {واتل}؛ فيختل المعنى، فحينئذ يلزم الوقف على: {بالحق}؛ لأن عامل: {إذ} محذوف، أي: اذكر إذ.

ومن ذلك ما يجعل الوصل ما بعده من مقول القول، وإنما هو إخبار مستأنف، كقوله تعالى: {ولعنوا بما قالوا} [المائدة: ٦٤]، فلو وُصِل بما بعده صار قوله: {بل يدها مبسوطتان} من مقول اليهود، وإنما ذلك إخبار مستأنف، يَرُدُّ قولهم: {يد الله مغلولة} (١).

ثانيًا: الوقف المطلق: وهو ما يحسن الابتداء بما بعده، كالاسم المبتدأ به، نحو قوله تعالى: {الله يجتبي إليه من يشاء} [الشورى: ١٣]، والفعل المستأنف مع السين، كقوله تعالى: {سيقول السفهاء} [البقرة: ١٤٢]، أو بغير السين، كقوله تعالى: {يعبدونني لا يشركون بي شيئًا} [النور: ٥٥] (٢).

ومن الأمثلة التي يكون فيها الوقف المطلق: ما يقتضيه العدول من الإخبار إلى الحكاية، أو العكس، كقوله تعالى: {ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل} [المائدة: ١٢]؛ لأن قوله: {وبعثنا} معدول بالحكاية عن الإخبار في قوله تعالى: {ولقد أخذ الله}، وكذلك الوقف على: {نقيبًا}؛ لأن قوله تعالى: {وقال الله} معدول بالإخبار عن الحكاية في قوله: {وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا}. وكذلك في العدول عن الماضي إلى المستقبل، وعكسه،

١. يونس علي يونس، مقدمة في الوقف والابتداء مصطلحاته وعلاقاته بالنحو، ص: ١٧١ شرحا تفصيليا. محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، وقوف القرآن الكريم عند الإمام السجاوندي، ص: ١٣

٢. السجاوندي، علل الوقوف، ١ / ٦٢

كقوله تعالى: {فَأَمَّا بَعْضُ النَّاسِ} [الجن: ٢]؛ لأن قوله: {ولن نشرك بربنا أحداً} مستقبل بعد قوله تعالى: {فَأَمَّا بَعْضُ النَّاسِ} وهو ماضٍ، وكذلك العدول عن الاستخبار إلى الإخبار، كقوله تعالى: {مستهم البأساء والضراء} [البقرة: ٢١٤]، على الإخبار بعد تمام الاستفهام على قوله: {خلوا من قبلكم}، فيوقف هنا وقفًا مطلقًا.

ثالثًا: الوقف الجائز: وهو ما يجوز فيه الوصل والفصل؛ لتجاذب الموجبين من الطرفين، كقوله تعالى: {وما أنزل من قبلك} [البقرة: ٤]؛ لأن واو العطف يقتضي الوصل، وتقديم المعمول على الفعل يقطع النظم، فإن التقدير: ويوقفون بالآخر. وقوله: {ويسفك الدماء} [البقرة: ٣٠]؛ لأن انتهاء الاستفهام على قوله: {ويسفك الدماء} يقتضي الفصل، واحتمال الواو معنى الحال في قوله: {ونحن نسبح بحمدك} يقتضي الوصل، وقوله: {أبأؤكم وأبأؤكم} [النساء: ١٢]، لأن قوله: {أبأؤكم} يحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هم أبأؤكم، وأن يكون مبتدأ خبره: {لا تدرون}. وقوله: {ولكم ما كسبتم} [البقرة: ١٤٣]؛ لأن واو العطف يقتضي الوصل، واختلاف جملتي المعطوف والمعطوف عليه يقتضي الفصل؛ فإن قوله: {ولكم ما كسبتم} جملة من مبتدأ وخبر، أو جار وخبره، وقوله: {ولا تسألون} جملة من فعل مجهول ومفعوله^(١).

رابعًا: الوقف المجوز لوجه: وهو ما يجوز فيه الوقف لوجه من الوجوه المعتبرة، كقوله تعالى: {أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة} [البقرة: ٨٦]، لأن الفاء في قوله: {فلا يخفف} لتعقيب يتضمن معنى الجواب والجزاء، لا حقيقة الجواب والجزاء، وذلك يوجب الوصل، إلا أن نظم الفعل على الاستئناف يجوز للفصل وجهًا. وقوله: {فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به} [البقرة: ٨٩]؛ لأن فاء الجواب والجزاء أكد في الوصل، ونظم الابتداء في قوله: {فلعنة الله} في وجه جواز الفصل أضعف.

خامسًا: الوقف المرخص ضرورة: وهو ما لا يستغنى ما بعده عما قبله، لكنه يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس؛ لطول الكلام، ولا يلزمه الوصل بالعود؛ لأن ما بعده جملة مفهومة، كقوله تعالى: {والسمااء بناءً} [البقرة: ٢٢]؛ لأن قوله: {وأنزل} لا يستغني عن سياق الكلام، فإن فاعله ضمير يعود إلى المصرح المذكور قبله، إلا أنها جملة يفهم منها المراد لكون الضمير مستكنًا، وإن كان لا يظهر إلى النطق، وقوله: {من بعد ميثاقه} [البقرة: ٢٢]؛ الوقف هنا مرخص ضرورة؛ لأن قوله: {ويقطعون} معطوف على قوله: {ينقضون}، غير أن الجملة مفهومة، ولكن أسند فعلها إلى ضمير الفاعل في {ينقضون}^(٢).

١. السجاوندي، علل الوقوف، ١ / ٦٣

٢. السجاوندي، علل الوقوف، ١ / ٦٤. يونس علي يونس، مقدمة في الوقف والابتداء مصطلحاته وعلاقاتها بال نحو، ص: ١٧١ وما بعدها. محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، وقوف القرآن الكريم عند الإمام السجاوندي، ص: ١٣

من خلال ما تقدم نرى أن الأنواع التي ذكرها الإمام ماهي إلا وقف اعتمده الأئمة كذلك مع اختلاف المصطلحات فقط، حيث إنها تصب كلها في مكان واحد وغاية وهدف أصلي ألا وهو مناسبة الوقف للمعنى ضمن الآية الواحدة وما بعدها من الآيات وضمن السياق العام للموضوع.

المبحث الثالث: مذهب الإمام الهبطي:

المطلب الأول: نبذة عن الإمام الهبطي:

أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي السماتي صاحب كتاب تقييد القرآن.

كان من أئمة القراءات المتفرغين معظم وقتهم للإقراء والسماع من الحفاظ ولعل هذا ما يفسر قلة مؤلفاته رحمه الله، ويعتبر الإمام واضع علم الوقف في بلاده وله من الشيوخ والتلاميذ الكثير رغم شح الكتب بالكلام عنهم وهو من نشر الإقراء والوقف في المغرب، تعلم ذا بدء في البادية كما هو معلوم عند الكتاب فحفظ القرآن في الأقصر الكبير والتي كانت وجهة الأئمة والقراء في ذلك الوقت وكانت البادية مشتهرة بكثرة القراء والروايات وهي من ساعدت على انتشار هذا الفن الراقى.

ثم رحل إلى فاس وأكمل قراءاته فيها وقرأ على كثير من الشيوخ ومنهم أبا عبد الله بن غازي وقرأ وسمع عن كثير من تلامذته وكان آخرهم أبا عبد الله محمد بن علي بن عدة الأندلسي تـ ٩٧٥ وكان الإمام الجليل يجلس للإقراء بالمسجد الجامع بالكوفة واستمر على ذلك أربعين سنة فكان همه رحمه الله نقل العلم لا التأليف الكثير ونشر النفع بين تلامذته وكان يردّد حديث عثمان رضي الله عنه "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"

كان الإمام عالماً عاملاً تقياً فقيهاً فرضياً متبحراً في العلوم عارفاً بالقراءات ووجوهاها، ولم يصلنا من آثار هذا العالم الجليل إلا هذا الوقف الذي انتشر وانشهر به وهو العنوان البارز للمصحف المغربي، والطابع الشخصي للمدرسة القرآنية في المغرب.

توفي رحمه الله وأحسن إليه عام ثلاثين وتسعمئة المدفون بروضة الهزميري بفاس الأندلس، رحمه الله تعالى^(١).

المطلب الثاني: ما يتفرّد به مذهب الهبطي عن غيره من المذاهب:

ينبغي قبل البيان عن منهجية الإمام الجليل في الوقف شرح نقاط أساسية برزت في وأثرت في انتشار وقوفه، ألا وهي:

١. سعيد إعراب، القراء والقراءات في المغرب، ص: ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧

أولاً: تفشي وقفه في المغرب فشواً ظاهراً وذلك مما اعتدناه من أهل المغرب في اتباعهم لمذاهب خاصة تنفرد بهم فهم في الفقه مالكية وفي العقيدة أشاعرة وفي القراءات نافع براوية ورش.

ثانياً: تعليمه هذه الوقوف لتلامذته بطريقة سهلة وعملية مما سارع في انتشارها أكثر وأكثر.

ثالثاً: أن له أوقافاً خاصة تختلف عما اعتدنا عليه من الأئمة والقراء، حتى أن بعض خالف فيها القراء كالوقف على رأس الآية.

رابعاً: اتباعه المعنى والتفسير للآية وعدم وقوفه على أوجه الإعراب في بعض وقوفه وهو ما سنضرب عليه الأمثلة إن شاء الله.

وبناء على ما سبق يتلخص منهج الهبطي في الوقف في نقطتين رئيسيتين وهما:

أولاً: إيمانه رؤوس الآية؛ فحاله كحال أكثر الرواة في الوقف^(١).

ثانياً: اعتماده المعنى وهنا يأتي تفصيل وشرح كثير ومطوّل وأخصه بالتالي؛

كان كثيراً ما يعتمد التفسير أو العقيدة ومعنى الآية حيث كان دقيقاً جداً في إيصال المعنى وعدم فساه عند الوقوف واستشعرت من خلال وقف الإمام الهبطي حساسيته الكبيرة في ضبط المتشابه والأدب مع الله تعالى ومع أنبيائه وفي هذه النقطة أمثلة ومنها {وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً} [البقرة: ٨٣]، فهو وقف على كلمة الله والوقف هنا كاف غير تام لكن معنى وقوفه على لفظ الجلالة أكثر تأثيراً في النفس وإفراده جملة التوحيد عن غيره من المأمورات.

حتى أنه في كثير من المواضع كان يراعي المعنى دون الإعراب: وهنا كانت بعض المآخذ عليه من قبل العلماء وكثير من الأمثلة التي انتقده الأئمة فيها وأذكر هنا مثالين أولاً قوله: {فلما أضاعت ما حوله ذهب الله بنورهم} [البقرة: ١٧]، فالإمام وقف على ما حوله وقطع بين الشرط وجوابه الذي يتم به المعنى. وأجيب عن هذا بتقدير الجواب أطفأت النار فانطفأ النار لا يعني ذهاب ما يمكنهم الانتفاع به فالجملة جملة استئناف والضمير يعود للمنافقين وعليه وافقه الزمخشري في هذا وردّه ابن حيان^(٢).

١. سعيد إعراب، القراءة والقراء في المغرب ص: ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢. الحسن بن أحمد وكاك، تقييد وقف القرآن الكريم، ص: ١٨ و ١٩ و ٢٠.

٢. الحسن بن أحمد وكاك، تقييد وقف القرآن الكريم ص: ١٥٧. سعيد إعراب، القراء والقراءات في المغرب ص: ١٨٦.

أما المثال الثاني: قوله: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} [البقرة: ٣٤]، فالإمام وقف عند فسجدوا فهو بهذا قطع الاستثناء عن المستثنى منه وهو وقف كاف عنده إعلامًا عن أن إبليس هو من الملائكة^(١).

وهكذا نرى أن الإمام كانت له وقوف يمكن أن نقول عنها خاصة ومميزة لعله وجد فيها معنى وحكمة لم يدركها من بعده رغم تعليل تلاميذه ومن بعده للكثير من هذه الوقوف وتبين المراد من وقفه عندها، فهو غالبًا ما يحمل رسالة يريد أن يوصلها لنا في وقفه.



١. سعيد إعراب، القراء والقراءات في المغرب ص: ١٨٦ و ١٨٧. جهاد أخوة ومروءة بيه، غريب الوقف الهبطي في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، جامعة الشهيد خمه الخضر الوادي، ١٤٤٠ هـ- ٢٠١٩ م.

الباب الثالث: نماذج للوقفات التربوية والسلوكية عبر مواضع الوقف في القرآن الكريم:

من خلال ما تقدم من ذكر لأنواع الوقف وتشعبها وتفصيلاتها نجد أنه لا يمكن استيعاب جميع آيات القرآن وذلك لأسباب كثيرة، ومنها تفرع وقوف العلماء، وصعوبة الجمع بين دلالات كتب اللغة، والتفسير، وكتب الوقف، ويقصد بالصعوبة هنا استيعابها لجميع ما ورد من الآيات، لذلك سنقف على أبرز النماذج التي تجلت فيها تقسيمات الأئمة وأوقافهم وآرائهم، مما أشرنا إليه سابقاً، مع ومضات التفسير فيها، وأقوال الأئمة، مع توضيح للاستنتاجات التربوية فيها:

الآية الأولى: من سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِعَصَبِ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَغْيًا حَقِّ ذَلِكُمْ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٦١]

في هذه الآية الوقف على قوله: بالذي هو خير أساسه اختلاف المفسرين، فالذين يقولون إن ذلك من كلام موسى عليه السلام وعلى نبينا، قاله جواباً لهم حين غضب لما سألوه ذلك، وإن قوله تعالى: اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم، من كلام الله تعالى على لسان نبيهم جواباً لهم وليس من كلام موسى عليه السلام وما بعده كلام الله تعالى، وهذا قول أكثر أهل التفسير، ويدل على أن قوله تعالى: {اهبطوا مصراً} من كلامه عز وجل أن ما بعد {فإن لكم ما سألتم} وذلك لأن الأوامر لا تتوجه إلا من الله تعالى، وكذلك جواز كونه من كلام موسى ظاهراً ولذا جوزه أهل العلم، ولا يمنع من ذلك كون موسى مبلغ عن الله فقوله: {فإن لكم ما سألتم} من كلامه علم ذلك من ربه الذي أرسله سبحانه^(١).

وقيل إن الجملتين من قول الله تعالى، ولا يبعد أن يقول الله لهم ذلك جواباً عن قولهم لموسى عليه السلام وعليه يكون الوقف على {خير} كافياً، وكذلك إن قلنا إن الكلامين جميعاً من موسى فإن الوقف على {خير} كاف لأن الكلام عن متكلم واحد.

عندما أنزل الله عليهم المن والسلوى عندما كانوا في التيه ملؤا منه وذكروا ما كان لهم في مصر قال الله عز وجل: {أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم}، وبهذا هذا يكون الوقف على كلمة {بصلها} تام وكاف على {خير}^(٢).

١. عبد الله راجي المطيري، الوقف والابتداء وأثرهما في التفسير والأحكام، ص: ١٦٥

٢. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ٢٢

وبالنظر إلى الآية الكريمة وما يرفقها من الوقف الكاف في قوله {خير} إنما دلالة عظيمة على المحاسبة والمسألة وأن من واجب الذي يسأل ويطلب العلم بالشيء التفكير والتحري فيما يطلب فلا يتعسف بالأسئلة لمن هو أعلى منه شأنًا ورفعة، وفيه دلالة عظيمة على وجوب الأدب والتحلي بالقناعة والرضا فيما أعطى الله عز وجل للإنسان.

وبالنظر إلى ما تقدم من حوار دار بين سيدنا موسى عليه السلام وقومه نجد فيها نموذجًا حيا ورائعا من التربية الجماعية، فإن كانت الجماعة على فكر ورأي واحد، وكان في هذا الفكر ما ينافي الفضل والخير الذي يعيش فيه، فسيعم العقاب بالتالي على من غير ومن سواه من الجماعة، لذا إن صلح الفكر صلحت الجماعة، وإن فسد انقلب ذلك عليها، فكان الغضب والعقاب متواليًا بإخباره عز وجل {اهبطوا مصرًا} على كلا قولي أهل التفسير أكان من الله مباشرة أم على لسان نبيه لكن الهدف والغاية واحد وهي تربية المجموعة ليصلح المجتمع أجمع، فتكون العبرة لهم ولمن يأتي بعدهم من الأقبام.

ونرى في هذه الآية الكريمة نموذجًا رائعًا من نماذج القصة والحكاية التي توقظ الذهن وتنقل الصورة للإنسان فيتجسد أمامه بشكل الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وقومه الخطأ الواضح الذي يجب أن يبتعد عنه الإنسان فتتحقق الحكمة وتصل الرسالة.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. القصة القرآنية وأثرها في أخذ العبر والموعظة وتجنب الأخطاء التي وقعت في الماضي.
٢. الحوار والسؤال في إقرار خطأ المخطئين وتحملهم نتائج خطأهم.
٣. الرضا بما قسم الله تعالى للإنسان وجعل له فيه معاشه وحياته.
٤. عدم التكبر وتحقيق نعم الله، والإقرار بعظمتها وفوائدها.
٥. عدم الاعتراض على أوامر الله والامتثال له.
٦. تربية الجماعة والفريق لتتحقق تربية الشعوب والأمم.
٧. الجزاء والعقاب عند تجاوز الحدود والاعتراض على الأحكام.
٨. التفكير المنطقي ووزن الأمور بميزانها وعدم التهاون في مقدراتها.

الآية الثانية: من سورة آل عمران:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]

تعتبر هذه الآية من أبرز وأكثر الآيات التي توالى عليها شروح المفسرين ووقع فيها اختلاف في معاني الكلمات ومقاصدها، وفيها تنازع مشهور، ونحن هنا سنقف على أنواع الوقف فيها، على كلمة {إلا الله} أو الوقف {والراسخون في العلم} وحسب غير متطرقين إلى اختلافات المفسرين في الألفاظ، والفروقات بين المحكم والمتشابه وما خلف الألفاظ، ليكون التركيز أعم وأشمل على الجوانب التربوية والسلوكية المراد منها.

والوقف على {إلا الله} تاماً، وتكون الواو بعد الاسم الشريف لاستئناف خبر عن الراسخين في العلم، وعليه فلا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، وهذا قول أكثر أهل العلم وهو قول أكثر التابعين وقول أكثر القراء والمفسرين، وبه قال أكثر المفسرين، واختاره جماعة من كبار المحققين، واحتجوا له بعدة احتجاجات منها قراءة عبد الله بن مسعود {إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به} وقراءة أبي عبد الله بن عباس {ويقول الراسخون في العلم} (١).

فهل القرآن كان كله محكماً؟ لو كان محكماً كله لتعلق الناس به وذلك لسهولة الأخذ منه، ولأعرضوا عن الذي يحتاجون فيه إلى التفحص والتأمل من الاستدلال والنظر، ولو قاموا بذلك لتعطل الطريق الذي لا يتوصل به إلى معرفة الله وتوحيده إلا به، وذلك لما في المتشابه من الابتلاءات والتفريق بين الثابت على الحق والمتزعزع فيه، ولما في تقادح العلماء وإتباعهم قرائحهم في استخراج المعاني وردّها إلى المحكم من فوائد جليلة وعلوم وفيرة وتحصيل للدرجات عند الله، ولأنّ المؤمن الذي يعتقد بأنه لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف، إن رأى فيه ما يتناقض في ظاهره، ومن أهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد، فيراجع نفسه وغيره ويفكر فيفتح الله عليه ويتبين له مطابقة المتشابه المحكم، فيزداد طمأنينة إلى اعتقاده وقوة في الإيقان {الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ} هم أهل البدع {فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق {ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ} طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلّوهم {وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} وطلب أن يؤوّلوه التأويل الذي يشتهونه {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} أي لا يهتدى إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله

١. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، تحقيق: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، ط: الأولى، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م، ص: ١٢٥

وعبادہ الذین رسخوا فی العلم، أي ثبتوا فیہ وتمکنوا وعضوا فیہ بضرر قاطع. ومنہم من یقف علی قوله {إلا الله}، ویبتدئ {والراسخون فی العلم یقولون}.

ویفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه، وبمعرفة الحکمة فیہ من آیاته، کعدد الزبانية ونحوه.

والأول هو الوجه. ویقولون: کلام فیہ استئناف یوضح حال الراسخين بمعنی أن هؤلاء العالمون بالتأویل یقولون آمنا به أي بالمتشابه فهو کله من عند ربنا، أي کل واحد منه ومن المحکم من عنده، أو بالکتاب سواء متشابهه ومحکمه من عند الله الحکیم الذی لا یختلف کتابه ولا یتناقض کلامه^(١).

ومن خلال ما تقدم نجد حکمتین رئیسیتین تحثان علی التسليم بعلم الله وقدرته وطلب العلم والسعي للنهل منه ثانیا.

فبالوقوف علی قوله تعالى {إلا الله} لنا هنا تسلیم تام بقدره وسعة علمه سبحانه وأنه فوق ذی علم فهو الخالق والمقدر لكل ما فی الكون، ومن ثم بالاستئناف علی {والراسخون فی العلم} له دالتان مهمتان:

أولاً: أن الراسخين فی العلم رغم معرفتهم وعلم یسلمون الأمر لله ولخالقه ویقولون آمنا به کل من عند الله. وثانیا: فیہ حث علی الاجتهاد والسعي لتثبيت المحکم والمتشابه من آیات الله والوقوف علی معانيها وتفصيلاتها وترجيح الأقوال فیها، فیشتغل عقل ووقت المسلم بالبحث والتحري عن العلم، والوصول إلى الحق فیہ، مع التسليم بقدره الله علیه.

وإننا لنرى فی هذا الزمن كم تطور العلم وتقدم، ونرى فی کل يوم اختراعا جديدا وكشفا جديدا، وكل هذا ما هو إلا بتوفيق وتيسير من الله عز وجل، وإن من سبحانه وتعالى لیصل الإنسان إلى ما یصل إلیه.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء فی الآية:

١. طلب العلم والسعي لأجله لا ینافی الإقرار بسعة وعظمة علمه تعالى.

٢. الاجتهاد والتثبت فی العلوم.

٣. البحث فی علوم اللغة العربية ومعاني الألفاظ ودلالاتها.

٤. بیان فضل أصحاب العلم وتقدير مكانتهم وذكرهم فی القرآن الکریم.

٥. التسليم الخالص بعلم الله رغم کل یتوصل إلیه الإنسان من علوم محسوسة أو مجردة.

٦. التذكير بفضل الله عز وجل وعلمه.

١. الزمخشري، الکشاف، ١ / ٣٣٨

٧. إيصال الأمر إلى أهله والاعتراف به وعدم التطاول عليه.

الآية الثالثة: من سورة المائدة:

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوزِلْنِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرَى سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣١-٣٢]

في هذه الآية حكمة عظيمة وتربية جليلة للفرد والمجتمع بأجمعه وإن كنا سنقف على هذه المعاني فلا بد من توضيح نوع الوقف هنا، والشاهد من هذه الآية قوله تعالى: {من النادمين} و{من أجل ذلك} فقد اختلف الأئمة في الذي يتعلق به قوله تعالى {من أجل ذلك} هل يتعلق بما قبله يعني فأصبح من النادمين من أجل ذلك، أو أنه متعلق بقوله: {كتبنا} يعني من أجل ذلك كتبنا.

وذهب أكثر أهل اللغة إلى أن الوقف على قوله: {من النادمين} تام، وتكون {من} صلة لقوله {كتبنا} يعني فأصبح من النادمين على قتل أخيه^(١).

أما من قال الوقف على قوله تعالى: {من أجل ذلك} يعني فأصبح من النادمين من أجل ذلك ضعيف، وهذا قول يخرج عن قول أهل التأويل، فهم يقولون من أجل قتل ابن آدم أخاه كتبنا على بني إسرائيل، وفي الحديث ما تقتل نفس إلى يوم القيامة إلا كان على ابن آدم منها وزر لأنه الذي سن القتل^(٢).

أما السجاوندي فقد جعل الوقفين جانزين على سبيل البدل وعلى سبيل الاجتماع على السواء، محتج بأن {من أجل ذلك} يجوز أن يتعلق بقوله: {كتبنا} وبقوله {فأصبح} وجعل ندمه لأنه لم يوار أظهر^(٣).

والراجح من الأقوال القول الأول وهو التعلق بـ{كتبنا} كما هو قول الأكثرين و{من} لابتداء الغاية، أي ابتدأت الكتاب وأنشأت من أجل ذلك.

وتتدرج الآية الكريمة تحت ما يطلق عليه المسؤولية والجزاء، ويقصد بالمسؤولية الشخصية الذاتية أي فردية التبعية أو تحمل ما يحصل من جزاء نتيجة العمل الذي قام به الفرد أو كلف به، ولهذه المسؤولية ثلاثة أركان وهي:

١. أبو عمر الداني، المكتفى ص: ٦٠. محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ت: محي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٠هـ، ١٩٧١م، ٢ / ٦١٧

٢. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، الوقف والانتاف ص: ٢٠٢

٣. السجاوندي، علل الوقوف ٢ / ٤٥١

الأول: السائل، وهو الله عز وجل المالك القادر على الجزاء.

الثاني: المسؤول، وهو البالغ العاقل المبلغ على لسان الرسل.

الثالث: المسؤول عنه، وهي شريعة الله التي ارتضى لعباده من التعاليم المبلغة.

ومن خلال هذه الحقيقة المرء يقرر الحياة التي يريد أن يحيها والسبيل الذي سيختاره لذاته والمصير الذي سيكون إليه، كل فرد يضع نفسه في المكان الذي يريده، والخطاب هنا واضح وبيّن في الحث على تربية الذات والسمو إلى المراتب العليا بالشخصية وذلك بالجهوزية لهذه المسؤولية التي سيواجهها كل فرد، حيث تبدأ منذ أن يبلغ سن التكليف وتنتهي بمفارقته لها، فتكون لكل مسؤوليته الخاصة^(١).

وبالنظر إلى معنى الآية وما فيها من تربية عظيمة للفرد والمجتمع نجد أن كل واحد من الناس إنما يدلى بما يدلى الآخر به من الكرامة على الله وثبوت الحرمة، فإذا قتل فقد أهان ما كرم على الله وهتكت حرمة، وبذلك لا يكون الفرق بين الواحد والجميع في ذلك.

وفي هذا حكمة عظيمة تتجلى في انعكاس التربية والعمل الفردي على المجتمع والعكس صحيح، وفيها فائدة عظيمة ألا وهي عظمة قتل النفس وإحيائها في قلوب الناس ليشتمنز الناس ويتعدوا عن الجسارة على القيام بها، ويرغبون في المحاماة على حرمتها لأنّ الذي يتعرض لقتل النفس إن تصوّر أنه يقتلها يقتل الناس جميعاً عظم هذا الأمر عليه فمنعه وثبطه عن فعله، ومثله الذي أراد إحياءها.

وعن مجاهد: قاتل النفس جزاؤه جهنم، وغضب الله، والعذاب العظيم. ولو قتل الناس جميعاً لم يزد على ذلك. وعن الحسن: يا ابن آدم، أرأيت لو قتلت الناس جميعاً أكنت تطمع أن يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به؟ كلا إنه شيء سؤلته لك نفسك والشيطان، فكذلك إذا قتلت واحداً بَعْدَ ذَلِكَ بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات الْمُسْرَفُونَ يعني في القتل لا يبالون بعظمتهم^(٢).

وعليه فبالنظر إلى أسلوب القرآن القصصي هذا وما جرى بين قابيل وهابيل من حوار ليتمثل أمام أعيننا كأنه يجري الآن أمامنا، ويعلمنا الإخلاص في النية عند التقرب إلى الله تعالى، وتركية النفس عما يخالطها من أدران، ليكون العمل خالصاً متقبلاً عند الله، والوقوف على {من النادمين} بكونه تاماً ليتحقق معنى الحسرة والندم الشديد بعد القيام بمثل هذا الجرم الكبير، وليتجسد لنا المعنى العظيم والخطورة الكبيرة من قتل النفس، فليس بالهين إهراق الدم وإن لقتل نفس واحدة يعادل قتل الناس جميعاً، وفي هذا التشبيه الجليل من معنى عظيم لعدم المساس بحرمة النفس إلا بالحق.

١. هاشم علي الأهدل، التربية الذاتية من الكتاب والسنة ص: ٤٥ و ٤٦

٢. الزمخشري، الكشاف ١ / ٦٢٧

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. أهمية أخذ العبر والموعظة مما جرى في الأمم السابقة التي استعرض القرآن الكريم أحداثها.
٢. التعليم عن طريقة عرض الأحداث وإيقاظ المشاعر.
٣. الإخلاص والتجرد في النية لله عز وجل عند تأدية العبادات والنوافل.
٤. تطهير النفس عند أداء العبادات والابتعاد عن الضغائن والأحقاد.
٥. أهمية الفرد في بقاء واستمرار الجماعة وحفظ سلامتها.
٦. التعظيم الشديد والزجر عن قتل النفس بالتشبيه الذي يبين حجم خطورة الفعل.
٧. استحضار مشاعر الندم والحسرة والحث على عدم الإقبال على الأفعال المحظورة.
٨. الربانية في التشريعات والإنسانية في الدين الإسلامي من خلال سن السنن وحفظ الأنفس.

الآية الرابعة: من سورة الأنفال:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]

في هذه الآية معنيان رئيسيان مبنيان على العطف في قوله تعالى، فالمعنى الأول أي الله وحده كافيك وكافي أتباعك، والمعنى الثاني الله يكفيك ويكفيك المؤمنون.

وفي الآية أربعة أقوال إعرابية:

الأول: إن {من} مرفوعة على المحل عطفًا على لفظ الجلالة، أي يكفيك الله والمؤمنون، يعني حسبك الله وحسبك المؤمنون، وعلى هذا فلا يوقف على حسبك الله، لأن ما بعده معطوف عليه، والتمام {ومن اتبعك من المؤمنين}.

الثاني: إن {من} مجرورة المحل عطفًا على الكاف في قوله حسبك يعني حسبك الله وحسب الذين اتبعوك من المؤمنين، وهو قول أكثر المفسرين^(١).

الثالث: إن {من} موضوع ابتداء بتقدير ومن اتبعك من المؤمنين وكذلك فمن اتبعك في مكان الرفع بالابتداء وعلى هذا فالوقف على {حسبك الله} كاف، لأن ما بعده مستأنف^(٢).

١. القول الأول والثاني تم ذكره في القطع والانتاف، ص: ٢٨٠

٢. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ٨٥

الرابع: إن {من} في موضع نصب بفعل محذوف دل عليه الكلام، تقديره ويكفي من اتبعك من المؤمنين، وعلى هذا يجوز الوقف على {حسبك الله} ^(١).

والخلاصة: أن الوقف على {ومن اتبعك من المؤمنين} تام بلا خلاف وإنما الخلاف في الوقف على: حسبك. والراجح أنه لا يوقف عليه بل يوصل إذ الظاهر من الكلام أن ما بعده معطوف عليه.

ومن المعلوم أن كفاية المؤمنين للنبي عليه السلام إنما هي من كفاية الله تعالى لنبيه عليه السلام، إذ هو سبحانه الذي هداهم للإيمان به عليه الصلاة والسلام، وجمع قلوبهم على محبته، وهذا الاستعمال إنما ورد في كلام الله تعالى لافي كلام البشر، ولا مانع منه لغة، ولا يوجد مانع شرعي صحيح منه، ولذا جَوَزَ جوزه الكثيرون ^(٢).

وتقول الآية أي أنت أيها النبي الله حسبك، والذين اتبعوك من المؤمنين الله حسبهم أيضاً، يعني لابد لكم من أن تكونوا متجردين لله، وهذه صفة ضرورية من صفات المؤمنين تؤهلهم للنصر: مؤمنون متحابون متآلفة قلوبهم متجردون لله.

ولقد روى رسول الله من لدن ربه الخبير في مكة على التجرد، وروى صحابته عليه رضوان الله عليهم، حتى صح قولهم عن أنفسهم أو كتب السيرة عنهم (خلت أنفسهم من حظ أنفسهم) فلم يعد لهم حظ نفسي حتى في انتصار الدين على أيديهم-وهي رغبة بشرية شريفة عالية- ولكن حتى هذه تجردوا منها لله، ابتغاء مرضاة الله، فإن شاء نصرهم بأشخاصهم، وإن شاء غير ذلك رضوا به لأنهم تجردوا لله ^(٣).

وبالاستنتاج من الراجح من الأقوال والوصل والعطف هنا، نستخلص حكم الله في هذه الآية.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. معية وكفاية الله عز وجل الباقية منذ القدم مع رسول الله عز وجل ومن بعده من المؤمنين.
٢. اتباع الرسول وسنته عليه الصلاة وسلامية تحقق كفاية الله له في الدين والدينا.
٣. اتباع سنته عليه الصلاة والسلام وما جاء فيها من أقوال وأفعال وتقريرات ماهي إلا وحي من الله عز وجل لتتحقق هذه الكفاية له وللمؤمنين.

١. أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء ٢ / ٦٨٧. القول الأول والرابع ذكرا عند الزمخشري في الكشاف، ٢ / ٢٣٤. وانظر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري ١٤ / ٥٠.

٢. عبد الله راجي المطيري، الوقف والابتداء وأثرهما في التفسير والأحكام ص: ٢٠١

٣. محمد قطب، دروس تربوية من القرآن الكريم، ط: الثانية، دار الشروق، مدينة نصر القاهرة، مصر، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص: ٨٠

٤. أسلوب رائع من أساليب القرآن الكريم بالتربية بالقُدوة وهو رسول الله عز وجل ومن اتبعه من المؤمنين.

٥. الجمع بين أنواع التربية وأساليبها بالتركيز على الفرد قلباً وقالبا، ولهذا وجب على الفرد الاجتهاد والسعي لتحقيق أهدافها وفي مقدمتها العبودية لله عز وجل، والامتثال لأوامره ونواهيه، واستشعار الكفاية التي أرادها لنا في هذه الآية.

الآية الخامسة: من سورة التوبة:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

والشاهد هنا قوله {حريص عليكم} والوقف عليها.

فإن كان الخطاب لأهل مكة ثم الابتداء بقوله {بالمؤمنين رؤوف رحيم} فالوقف هنا كاف على {حريص عليكم}.

وإن كان الكلام متصلاً والآية فيها خطاب عام فالوقف حسن وعليه رأي الجمهور والداني والأشمونى والسجاوندي، فالآية فيها خطاب للعرب جميعاً وتعداد لنعم الله عز وجل التي أنعمها على العرب بأن بعث فيهم رسولا منهم ولبسانهم^(١).

فقوله جل وعلا مِنْ أَنفُسِكُمْ من نسبكم من جنسكم قرشي عربي كماكم، ثم أتبع ذلك ما تكون عليه المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ أي شديد عليه شاق- لكونه بعضاً منكم- لقاءكم المكروه وعنتكم، فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب وسوء العاقبة حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ حتى لا يخرج أحد منكم عن اتباعه والسعادة بدين الحق الذي جاء به بِالْمُؤْمِنِينَ منكم ومن غيركم رَءُوفٌ رَّحِيمٌ. وقرئ: من أنفسكم، أي من أشرفكم وأفضلكم^(٢).

ومن خلال ما كان عليه الأئمة من الوقف الحسن عليها والخطاب العام فيها نرى أروع الصفات التي تحلى بها نبينا عليه الصلاة والسلام وهو قدوتنا ومعلمنا، يرشدنا لتجمل بذات الصفات، فيعلمنا الحرص أشد الحرص على من تبعه وتبع منهجه عليه الصلاة والسلام ويلهمنا كيف يكون المعلم حريص على طلابه

١. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتاف ص: ٢٩٨

٢. الزمخشري، الكشاف ٢ / ٣٢٥. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري ١٤ / ٥٨٤. جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤ هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تفسير الجلالين ص ٢٤٦، ط: أولى، دار الحديث، القاهرة.

وتلامذته أخذوا بيدهم نحو الحق والعلم، متصفا بأعلى صفات الإنسانية من الرحمة والشفقة والرأفة فلا يكون جافا فظا عليه وإنما متعاطفا رؤوفا بهم.

وعليه فإنه من الواجب علينا شرعا الاقتداء بسنته عليه الصلاة والسلام، في تشريعاتنا ومعاملاتنا وعلاقاتنا، وفي كل شأن من شؤون حياتنا قدر الاستطاعة، فتربية الرسول عليه الصلاة والسلام لنا هي تربية متكاملة عنيت بالجانب الروحي والعقلي والوجداني والأخلاقي والاجتماعي والجسدي في تكوين الشخصية الإنسانية وفق معيار الاعتدال والاعتزان، فلا إفراط في جانب دون غيره، ولا تفريط في جانب لحساب آخر، وهي تركز على تنشئة الإنسان الصالح بدون قيود الزمان والمكان، وهي بهذا الهدف الخلاق فاقت هدف التربية الحديثة التي تنشد تكوين (المواطن الصالح) حسب معايير البيئة التي يعيش فيها أو العصر الذي يحيا فيه^(١).

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. الثقة بالله والتوكل عليه والرضا بما اختاره لنا من قدوة حسنة.
٢. التذكير بفضل الله عز وجل وحكمته البالغة من إرسال الأنبياء والرسول.
٣. التأكيد على صفات الرحمة والرأفة التي يتصف بها رسولنا الكريم والحث على الامتثال بها.
٤. الاقتداء بالأسوة الحسنة التي يكون بها صلاح معاش الإنسان.
٥. القدوة الصالحة تؤثر في توازن الفرد والمجتمع على السواء.
٦. ذكر الصفات التي يجب على المعلم الاتصاف بها اقتداء برسول الله.
٧. الحرص على المتعلمين وتقديم منفعتهم وعلمهم مع عدم إهمال الرحمة بهم والرأفة عليهم.
٨. الواقعية والإيجابية التي يتصف بها ديننا الإسلامي بإنعامه علينا برسول منا يحرص علينا.

١. عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ط: الثانية، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس ١٩٩٣، ص: ١١

الآية السادسة: من سورة يوسف:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّآهُ بُرْهَانَ رَبِّهٖ كَذَلِكَ لَتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ يُوسُف:

[٢٤]

سورة يوسف كسورة الكهف وغيرها من السور التي تحمل في ثناياها أسلوب عظيم من أساليب التربية ألا وهو القصص القرآني، ففي كل آية ومشهد حكمة وموعظة، وقد اخترت هذه السورة وهذه الآية بالذات لما فيها من تماس رفيع للنفس الإنسانية وما يعترئها.

الشاهد هنا قوله {همت به} ثم الابتداء {وهم بها} تفريقاً بين هم امرأة العزيز، وهمه عليه السلام، ونفياً للهم بالمعصية عن سيدنا يوسف عليه السلام فقل لا يوقف على ذلك.

فالرأي الأول: الوقف على {ولقد همت به} تام على قوله إنه لم يهم بها والتقدير (لولا أن رأى برهان ربه هم بها) والحجة أن الأنبياء معصومون من الوقوع في الخطأ، أي: لولا رؤية البرهان من الله لهم هو بها، وهذا فيه نظر من حيث العربية عند من رده، لأن العرب لا تقدم جواب لولا قبلها، واختار أبو حيان أن جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه أي لولا رؤية البرهان من ربه لقام بالهم بها.

الرأي الثاني: وذهب جمهور العلماء والمفسرين إلى أن يوسف عليه السلام هم بها حقيقة كما أخبر الله، والراجح هذا القول لموافقة ظاهر القرآن ولسلامته من التكلف لكنه هم طارئ، وعصمة الأنبياء لا تنافيه لأنها قد وقعت من الوقوع في المعصية، فحمى الله نبيه بعد أن طرأ الهم العارض على قلبه بالبرهان الذي هو آية ومعجزة، كما حكا الله عز وجل بأن صرف عنه كيد النسوة بعد أن التجأ إليه تعالى أن يصرف عنه كيدهن، حتى كان السجن والأذى أحب إليه، والله تعالى في خلقه حكمة نافذة وتقدير معجز، فوقع الهم من يوسف النبي الرسول الصديق ابن الأنبياء عليه السلام بيان من الله تعالى أن الفضل بيده وأن العبد لا يستغني طرفة عين عن ربه مهما علت منزلته ولئلا يقنط الخلق من عظيم رحمته، وعليه الوقف التام إنما على {لولا أن رأى برهان ربه} لا على {همت به} (١).

وإن كان يتراود في ذهننا السؤال بكيف يجوز على نبي الله أن يصدر منه ما يكون على القصد والهم بالمعصية؟

المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب ميلاً يشبه الهم به والقصد إليه، وهو يكسر ما به ويردّه بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم، ولو لم يكن

١. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتفاف ص: ٣٣١، وقد ذكر فيه كلا القولين. أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء ٢ / ٧٢١. عبد الله راجي المطيري الوقف والابتداء وأثرهما في التفسير والأحكام ص: ٢١٦ و٢١٧

ذلك الميل الشديد المسمى همًّا لشدّته لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع، لأن استعظام الصبر على الابتلاء، على حسب عظم الابتلاء وشدّته، ولو كان همه كهمها عن عزيمة، لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين، ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها، على أنّ المراد بالمخالطتين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه، وتوصله إلى ما هو حظّه من قضاء شهوته منها، لولا أن رأى برهان ربه، فترك التوصل إلى حظّه من الشهوة، فلذلك كانت (لولا) حقيقة بأن تعلق بهمّ بها وحده^(١).

وإذا ما نظرنا إلى القرآن وهو يسرد لنا قصة يوسف عليه السلام نجد أن القصة تحتوي على عدة عظات، فهو يدعونا إلى وجوب الاعتصام بالعفاف والأمانة والشرف بالبراهين الواضحة الساطعة، ففي هذا القسم من أقسام القصة الرائعة، يتواجد يوسف مع امرأة العزيز في موقف قلّمَا ينجو منه إنسان إلا من عصم الله، موقف يوضح صراع الخير مع الشر، الأمانة مع الخيانة، الإنسانية مع الحيوانية، الرفعة مع الدنية، والجمال مع القبح، العفة مع الابتذال، فالآيات الكريمة تحكي قصة النفس البشرية عندما يسيطر عليها الهوى ويجنح بها إلى مهوى الإثم، ويوسف عليه السلام يرتجف وهو يستعيز بالله من هول هذا الفعل، فقول يوسف {معاذ الله} فيه إشارة إلى أنه منكر هائل يجب أن يعاذ بالله-تعالى- للخلاص منه، لما أراه الله البرهان النير على ما يحمله من غاية القبح ونهاية السوء^(٢).

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. أثر القصة القرآنية في إبراز نواحي ضعف الشخصية الإنسانية.
٢. أخبار الأنبياء تحسن القيم والمبادئ الإنسانية التي يحض عليها الدين الإسلامي.
٣. اغتنام الفرص بالنجاة من المعصية والخطأ، فعندما رأى سيدنا يوسف برهان ربه سارع بذكر الله.
٤. عدم خيانة الأمانة وحفظ حقوق الغير وعدم التجرؤ عليها.
٥. المحاكمة العقلية لمجربات الأمور والأحداث.
٦. الالتزام بالأخلاق الرفيعة والاعتصام بالعفة.
٧. الاعتراف بالخطأ والالتجاء إلى الله تعالى بمجرد اليقظة والتنبيه إليه.
٨. حسن الأدب والابتعاد عن سوء الأخلاق وعدم التهاون في حفظها.

١. الزمخشري، الكشاف ٢ / ٤٥٦. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري ١٦ / ٣٨

٢. سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص: ٣٢٤

الآية السابعة: من سورة النمل:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ أَخْلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمُنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٨)

[النمل: ١٨]

الشاهد هنا الوقف على قوله {وجنوده} مبني على الخلاف في قوله {وهم لا يشعرون} فالوقف تام عند من قال إن قوله {وهم لا يشعرون} من قول تعالى وليس من قول النملة، لأن كلام النملة على هذا انقضى عند قوله {لا يحطمنكم سليمان وجنوده} وهذا القول من اختيار الإمام الداني، ولم يذكره ابن النحاس ودل كلامه أنه لا يرى الوقف عليه ولذا قال: ثم القطع على رؤوس الآي كاف، ومثله قول العماني والسجاوندي لأنه منع الوقف على {وجنوده} لأن الواو للحال^(١).

والراجح أن الوقف على قوله {وجنوده} ليس بكاف وإنما تام وأنه لا يوقف عليه لأن الكلام متصل عن النملة وهي التي قالت: {وهم لا يشعرون} كما هو اختيار أكثر علماء الوقف والتفسير، فقولها {وهم لا يشعرون} التفاته مؤمن وأدب كريم منها فكان منها الثناء على سليمان وأخبرت بأفضل ما تستطيع عليه بأنهم قد لا يشعرون في حال إن حطموكم.

ومرة أخرى نرى عبرة وحكمة في قصص القرآن وكأن الله عز وجل يريدنا أن نتخذ أسلوب هذه النملة طريقة لنا في معيشتنا، عند خوفها على جماعتها، واستشعارها الخوف، والتضرع بأدب للدخول في المساكن احتراماً لقوة القوي وتأديباً في مخاطبة من هو أكبر وأعلى منها مرتبة بكثير، فنراها عبّرت عن ذلك بقولها {وهم لا يشعرون} فتعطينا درساً في اتخاذ التدابير والتحوط عند الخطر وحماية الجماعة مما قد تشعر نفسها أنها بمأمن منه.

وقد تحقق في الآية منهج الإسلام في التوفيق وتحقيق التوازن بين الفردية والجماعية، من خلال الفهم والوعي بضرورة الجماعة وأهميتها في حياته وضوابط العمل معها، وأثر سلوكها على وجودها ونجاحها، والمشاركة الفعالية ببذل النصيحة وإعمال الفكر، ورعاية الجماعة للفرد والعكس، واستشعار المسؤولية، الذي يحمله على تنفيذ كل الخطوات من أجل العيش والتعايش مع الجماعة^(٢).

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. الإقرار بقوة القوي وضعف الضعيف وتجنب ما قد يؤثر عليه سلباً.

١. السجاوندي، علل الوقوف ٢ / ٧٦٧. عبد الله راجي المطيري، الوقف والابتداء في القرآن الكريم وأثرهما في التفسير والأحكام، ص: ٢٥٠

٢. السيد محمد نوح، شخصية المسلم بين الفردية والجماعية، ص: ٧٤

٢. حماية الجماعة من الوقوع في الخطر والهلاك.

٣. الدعوة بالقول الحسن وذكر الأسباب والمسببات، ليتحقق المراد من النصيحة.

٤. أخذ العبرة والموعظة من القصص التاريخية القرآنية.

٥. عدم المجابهة والمخاطر بالفرد والجماعة.

٦. المبادرة واليقظة في إيجاد الحلول والمشاركة في تطبيقها.

الآية الثامنة: من سورة النمل:

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]

الشاهد في هذه الآية الوقف ودلالته في تفسير هذه الآية وما يجري على المدن والقرى عند دخول الملوك إليها.

فالوقف على قوله {وجعلوا أعزة أهلها أذلة} تام لأنه انتهاء كلام بلقيس وما بعده من كلام الله {وكذلك يفعلون} تصديقا لكلامها^(١).

فالوقف على {أذلة} تام على القول بأن {وكذلك يفعلون} من كلام الله تعالى لا من كلام المرأة، ولا يوقف على {أذلة} إذا كان {وكذلك يفعلون} من تنمة كلام المرأة، وإن قيل إنه من كلام سليمان فهو من جهة الوقف كالقول بأنه من كلام الله تعالى، فقوله {وكذلك يفعلون} إن كان من كلامها فإنما قالته تأكيدا للذي ذكرته من وصف لأحوالهم وتقريرا بأن ما ينتج عنه إنما هو من عاداتهم، وعليه فالكلام متصل ولا وقف على {أذلة} وإن قلنا قوله {وكذلك يفعلون} ليس من كلامها وكان من كلام الله فيوقف على {أذلة} فهذان هما القولان الصحيحان في معنى الآية والوقف فيها، وأما القول بأن ذلك من كلام سليمان فالظاهر أنه ليس من كلامه إطلاقا، لأن الحكاية إنما هي عنها، لكن يصح بلا شك أن يكون من كلام الله تصديقا لقولها، فمن وقف على {أذلة} ثم ابتدأ بـ{وكذلك يفعلون} فهم من وقفه أن قوله {وكذلك يفعلون} ليس من كلام المرأة فيؤثر الوقف على معنى الآية عند التالين والسامعين، كما يؤثر الوقف على ذلك أيضا على تفسير معنى الآية عند من يدرس أقوال علماء الوقف والابتداء فيها^(٢).

١. أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، ٢ / ٨١٧. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتاف، ص: ٥٠١.

٢. عبد الله راجي المطيري، الوقف والابتداء وأثرهما في التفسير والأحكام، ص: ٢٥٣.

ويمكن أن نفهم من تفسير الآية الكريمة خطة محكمة لحسن التصرف والسلوك والمشى وفق ذلك والاحتياط عند الخطر حتى يقع أهون الضررين، ومن ثم التصرف وفق ذلك بتصرف جديد يوافق التطورات التي وقعت فتكون قد حمت نفسها وأنقذت جماعتها.

فهي عندما شعرت أنهم يميلون إلى المحاربة، وجدت أن الميل إلى الصلح وأن تبتدأ به يكون هو الأحسن، فنظمت الجواب ورتبته، فزيفت ما قالوه وذكرت لهم فيه الخطأ فيه ب إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً عَنُوةً وَقَهَرُوا أَسَدُّوْهَا أَيْ خَرَّبُوهَا- ويقال للفساد الخراب وبعده وأذلوا العزيز فيها، وأهانوا الأشراف، وجالوا بأن قتلوا وقاموا بالأسر، فبينت لهم ماهي عواقب الحرب وسوء مغبتها ثم أتبعته وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ أي تريد من هذا: وهذه عاداتهم التي لا تتغير الثابتة المستمرة، فهي كانت في بيت الملك القديم، فرأت وسمعت ما نحو ذلك، ثم أتبعته ذلك بذكر أمر الهدية وما هو الرأي السديد الذي تراه.

ومن خلال الرأي الراجح في الوقف نجد في ذلك تصديق من الله لكلامها، فالساعون قد يتعلقون في الأرض بالفساد بهذه الآية ويجعلون ذلك حجة لأنفسهم. فالذي يستبيح حراما يكون قد كفر، فإذا كانت الحجة له ما جاء في القرآن على وجه التحريف فقد جمع هنا بين كفرين، وأما قولها مرسله إليه بالهدية أعبر لهم فيها عن ملكي فأرى ما يبدر منه لأتصرف وفق ذلك^(١).

ونرى توظيف للوعي التاريخي والذي له أهمية قصوى في صنع التاريخ، حيث أنه بقدار ما يكون هذا الوعي العميق، واتجاهه، يأتي العمل التاريخي ممثلا في عدة أشكال حضارية تعبر عن الروح العامة للحضارات، فالقرآن يدعو الناس أن ينظروا، وأن يتفكروا في تاريخ المسيرة الحضارية لأي أمة من الأمم كي يدركوا العلة التي أفضت إلى ما حل بها^(٢).

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. أهمية القصة التاريخية في أخذ العبر والموعظة.
٢. تجنب الدخول في المصارعات والتهلكة التي تضر بالجماعة والفرد.
٣. الحرص على سلامة الجماعة وتجريب الطرق المختلفة للخروج بأقل الخسائر.
٤. أخذ العبر من أحوال الأمم السابقة بالقياس.
٥. الدقة في العلم والتصرف بما يناسب الموقف المطروح.

١. الزمخشري، الكشاف، ٣ / ٣٦٥

٢. سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص: ٣٢٨

٦. الحكمة وعدم التسرع والاستعجال في مواجهة الخطر.

٧. التخطيط واتخاذ الأسباب.

الآية التاسعة: من سورة لقمان والرعد:

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَالْأَرْضَ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ۖ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [لُقْمَان: ١٠]

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرَّعْد: ٢]

في الآية دلالة عظيمة على التفكير والنظر في خلق السماوات والأرض والدعوة إلى التفكير والتبحر في شتى أنواع العلوم.

والشاهد من الآيتين قوله تعالى {بغير عمد ترونها} وفي هذا الوقف قولان:

القول الأول: الوقف على {عمد} تام يعني خلق السماوات بغير عمد، ثم بعد ذلك استأنف، فقال: {ترونها} يعني وأنتم ترونها وهو معنى قول الحسن وقتادة ولفظ ذلك عند الطبري^(١).

وعليه يكون المعنى خلق السماوات بغير دعائم ثم استأنف فقال {ترونها} أي وأنتم ترونها يعني ترونها بغير دعائم.

القول الثاني: أن الوقف على {ترونها} ويكون المعنى خلقها بغير عمد ترونها يعني لها عمد لا ترونها قال ابن عباس (لها عمد لا ترونها) وجعل الأشموني الوقف على {ترونها} حسنا^(٢).

والمعنى عليه يكون قوله {ترونها} صفة للعمد يعني خلقها بعمد غير مرئية لكم للرمز إلى أنه سبحانه عمدها بعمد لا ترونها.

والفرق بين القولين والوقفين من جهة أن القول الأول فيه نفي العمد بتاتا عن السماوات، وإثبات أنه سبحانه خلقها بغير عمد وأيضا الضمير على القول الأول في {ترونها} يرجع إلى السماوات، والقول الثاني فيه إثبات عمد لا ترى ولهذا نقل عن قال به أن لها عمدا لكنكم لا ترون العمد روي هذا عن مجاهد وعكرمة، وفي القول الثاني الضمير في {ترونها} يرجع إلى العمد لا السماوات.

١. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص: ٥٣٩

٢. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ١٦٣

وقد ذكر في الكشف كلا القولين: تَرَوْنَهَا الضمير فيه للسموات، وهو استشهاد برؤيتهم لها، غير معمودة على قوله بِغَيْرِ عَمَدٍ كما تقول لصاحبك: أنا بلا سيف ولا رمح تراني فإن قلت: ما محلها من الإعراب؟ قلت: لا محل لها لأنها مستأنفة. أو هي في محل الحرّ صفة للعمد أي: بغير عمد مرئية، يعنى: أنه عمدها بعمد لا ترى، وهي إمساكها بقدرته هذا إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته. والخلق بمعنى المخلوق. وَالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ آلَهِمْ، بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه. فأروني ماذا خلقته آلَهِمْ حتى استوجبوا عندكم العبادة، ثم أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورّط في ضلال ليس بعده ضلال^(١).

وما تقدم من جهة بناء الوقف على المعنى، والراجح من جهة المعنى والله أعلم القول الأول أن السموات مرفوعة بغير عمد ويكون قوله {ترونها} تأكيدا لكونها بلا عمد فهي مرفوعة بغير عمد كما نراها، ونسبه ابن الجوزي إلى الجمهور ورجحه الإمام الطبري وابن كثير وقال (إنه أكمل في القدرة).

وأما من جهة الوقف فالوقف على {ترونها} أحسن ولا مانع منه حتى مع اختيار أن السموات بنيت بلا عمد إذ يمكن أن يكون عمد تأكيدا فالوقف على {ترونها} حسن وهو اختيار العماني^(٢).

وعلى كلا الوجهين نرى أن القرآن مصدر التعليم والعلوم الكونية والحاث عليها وعلى التفكير فيها.

فالحق أنه لا توجد سورة في القرآن الكريم – وعلى وجه الخصوص السور المكية- إلا وتحتوي على إشارات أو تصريحات أو عروض كاملة للنظر في هذا الكون والتأمل في إبداعه ونطاقه، وذلك لتحريك السمع والحواس والبصر والذهن لأن يتفكر فيما خلق الله، ومن ثم ينتقل من المخلوق إلى خالقه، ومن الطبيعة والكون وما فيها إلى المكون والبارئ لها وكذلك من المسبب إلى السبب الأصلي والحقيقي له، ومن المصنوع إلى صانعه، وهذا مما يقتضيه العقل ويسوق إليه الفكر من أدق الأمور إلى جليلها ومن أحقر الأشياء إلى العظيم منها.

فمن أهداف الآيات الكونية في الكتاب كذلك، أنه يوجه نظر الإنسان إلى حقيقة كونه جزء من هذا الكون، ليربطه به وليعرف أسرار ما عليه من أحوال، وليعرف أنه وهو الصغير قد سخر له هذا الكون الواسع الجليل.

وفي آيات كثيرة متنوعة يشير القرآن إلى هذه النقطة العظيمة وهي تسخير الله كل ما في هذا الكون البديع للإنسان فيحثه على دراسة ما فيه، واستكشاف أسرار والتفكر والتأمل في نظامه، كما تمت الإشارة إليه عدة مرات، ليستفيد الإنسان منه ويستخدمه لصالحه، في المعاش الدنيوي والمعاد الأخروي^(٣).

١. الزمخشري، الكشف ٣ / ٤٩٢

٢. عبد الله راجي المطيري، الوقف والابتداء وأثرهما على التفسير والأحكام، ص: ٢٦٤

٣. سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص: ٤٤٣

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. الدعوة إلى التعلم والحث على البحث والتحري في الكون.

٢. اتخاذ أسلوب السؤال والاستفهام لتحصيل المعلومات.

٣. تعلم العلوم التطبيقية إلى جانب العلوم النظرية.

٤. تسخير الكون وما فيه لمعيشة الإنسان معيشة كريمة.

٥. استخدام الأسلوب الاستنتاجي من خلال التأمل في آيات الكون.

٦. إعمال الفكر والبحث في الأسباب والمسببات.

٧. الملاحظة والتجريب واستخدام مختلف النظريات للوصول إلى العلم.

الآية العاشرة: من سورة يس:

﴿ قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ۚ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٢]

في هذه الآية وموطن الوقف فيها مشهد عظيم وحكمة كبيرة وتربية عميقة للنفس الإنسانية وتصوير دقيق لمشهد الندم والحسرة التي يقع فيها الإنسان في ذلك الموقف.

الشاهد هنا الوقف على {مرقدنا} أو على {هذا} مبني على التفسير والإعراب.

وذلك أن {هذا} إما أن يكون صفة لـ {مرقدنا} فيوقف عليه ويبتدأ بـ {ما وعد الرحمن} أو لا يكون صفة له فيوقف على {مرقدنا} ويبتدأ بـ {ما وعد الرحمن}.

وقد اختلف أهل التفسير في قوله {هذا م ا وعد الرحمن} فمنهم من ذهب إلى أنه من كلام الله المؤمنين، ومنهم من ذهب إلى أنه من كلام الملائكة، وهذا هما القولان المشهوران عند أهل التفسير وعليهما فيوقف على {مرقدنا} لأنه انتهاء كلام الكفار ويبتدأ بـ {هذا} لأنه جواب عن كلام الكفار.

فالوقف على {مرقدنا} تام عند الأكثرية، وعزاه الداني إلى جميع أصحاب التمام من القراء والنحويين، قال أبو حاتم {من بعثنا من مرقدنا} تام، قال: وهو مأثور عن ابن عباس، قال القتيبي {من بعثنا من مرقدنا} تام ويستحب الوقوف عليه لأنه كلام ان على ما روى في التفسير أن الكفار قالوا من بعثنا من مرقدنا فقالت لهم الملائكة {هذا ما وعد الرحمن} قال الفراء: قيل انقطع الكلام عند المرقد ثم قالت الملائكة هنا ما وعد

الرحمن، قال مجاهد: يهجع الكفار قبل يوم القيامة هجعة يذوقون فيها النوم فإذا قامت القيامة قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فقال لهم المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون^(١).

وقيل: هو من قول الملائكة. وقد أجاز ابن الأنباري والدينوري الوقف على قوله ((هذا)) لأنه تابع لـ ((المرقد)) م مبتدأ ((ما وعد الرحمن)) بتقدير: بعثكم وعد الرحمن^(٢).

وعلى هذه الأقوال تكون هناك ثلاث وجوه إعراب متقاربة في قوله {ما وعد الرحمن}

١. أن يكون خبرا بإضمار هذا.

٢. أن يكون خبرا بإضمار: بعثكم ما وعد الرحمن.

٣. أو أن يكون التقدير ما وعد الرحمن وصدق المرسلون.

والراجح أن قوله {هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون} من قول المؤمنين جوابا لقول الكافرين {من بعثنا من مرقدنا} لأنه أشبه بظاهر الترتيل، ولأن قول الكفار {من بعثنا من مرقدنا} دليل على أنهم كانوا جهالا بمن بعثهم، ولذلك تثبتوا من غيرهم، وهو ترجيح الإمام الطبري، ثم إن المجيب للكفار يمكن أن يكون الملائكة ويمكن أن يكون المجيب للكفار المؤمنين، ويصلح أن يكون المجيب المؤمنين والملائكة ولا مانع من ذلك^(٣).

فالوقف على {مرقدنا} تام للفصل بين كلا الكافرين والمؤمنين.

وعلى كلا القولين في الوقف نرى عناية القرآن الكريم بالحوار عناية بالغة، وذلك لأهميته في الإقناع الذاتي، فهو الطريق الأمثل لليقين والاقتناع الذي منبعه من أعماق صاحبه، وأساس الإيمان هو الاقتناع هو الذي لا يمكن أن يكون عن طريق الفرض والإجبار، وإنما يصدر من داخل الإنسان.

وليس الهدف الوحيد هو الوصول للحق من الحوار وحسب بل إن هناك عدة أهداف ومحاسن كثيرة يمكن تلخيصها في التالي:

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. أنه يحترم الذات الإنسانية فهو لا يستخدم أسلوب فرض الأفكار عليها والتجارب والخبرات فرضا، بل يدعها تنمو وتكبر مع الذات من خلال اكتسابها شخصيا من النقاش والحوار.

١. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص: ٥٨٢

٢. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ١٧٥

٣. عبد الله راجي المطيري، الوقف والابتداء وأثرهما على التفسير والأحكام، ص: ٢٧١

٢. أنه يعمل على تشجيع روح النقد الذاتي عند الإنسان وذلك ليراجع أفكاره وخبراته بين وقت وآخر.

٣. استغلال الجانب الإيجابي للتفكير في الشخصية الإنسانية في مراقبة الجوانب الأخرى للشخصية في السلوك والإدراك والانفعال.

٤. الحث على التفكير بعمق في جوانب الموضوع المعين أو إلى القيام بإجراءات الاستقصاء والملاحظة والتجارب حيث يكون بعيدا عن التلقي والحفظ دون وعي.

٥. توجيه بشكل غير مباشر لتزداد ثقة الفرد بنفسه عند طرح الأفكار والرد المناسب عليها^(١).

وأخيرا فإن تصوير مشهد البعث هذا ومشاعرة الحسرة والندم والخسران فيها والحوار والاستنكار الدائر فيه لما هو من أبلغ الصور التي تنبه النفس للاستيقاظ من غفلتها، وتدعوها لمراجعة نفسها، وكأنه يقول لها، مازالت الفرصة لديك قائمة، ومازالت لديك الفسحة في التوبة وإصلاح الذات قبل فوات الأوان.

الآية الحادية عشرة من سورة الزخرف:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْمُ آلَيْسَ لِي مَلِكٌ مِّصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزُّخْرَف: ٥١ - ٥٢]

الشاهد في هذه الآية الكريمة اختلاف الوقف في ثلاث مواضع {أفلا تبصرون} ف قيل يوقف عليه، وقيل يوقف على {أم} وقبل لا يوقف عليها ويوقف على قوله {ولا يكاد يبين}.

فالوقف على {أم} بوصله {تبصرون} ب{أم} ويقف على {أم} ثم يبتدئ {أنا خير من هذا الذي هو مهين} وهو قول مجاهد ويعقوب، وعلى هذا تكون أم هنا زائدة، وعليه يكون المعنى {أنا خير من هذا الذي هو مهين} أو أن يكون أفلا تبصرون أم تبصرون، وحذف الثاني للدلالة.

أما الوقف على {تبصرون} وهو تام، وتكون {أم} بمعنى بل ويكون المعنى: بل أنا خير من الذي هو في رأيي ونظري مهين.

أو أنه لا يوقف عليهما جميعا وإنما يوقف على تمام كلام فرعون وهو قوله: {ولا يكاد يبين} وهذا بناء على مذهب سيبويه من أن أم تسوي بين الأول والثاني، والمعادلة فبعض الكلام متعلق ببعضه، وأن المعنى أم يبصرون الأمر الذي هو حقيق أن يبصر عنده وهو أنه خير من موسى.

١. هاشم علي الأهدل، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، ص: ١١٣

قيل وهي هنا منقطعة في اللفظ وذلك لأن الجملة تقع بعدها، وهي بمعناها متصلة متعادلة لأن المعنى، أنا خير من هذا أم لا، أو أي منا هو خير.

ورجح أبو حيان أنها بمعنى بل وجعله ظاهرا، وجعل القول بأنها معادلة متكلفا جدا، لأن المعادل إنما يكون مقابلا للسابق وهنا ليس كذلك^(١).

وأخيرا نرى أن الآية صورة بديعة ودعوة صريحة للالتزام الأدب والتواضع وعدم التكبر، فمهما أوتي الإنسان من ملك ومهما سخر له من أمور في الأرض، فإن استحکم التكبر والكبر على نفسه وجد نفسه أقل ممن ما عنده الذي لا يمتلكه.

فيقول أفلا ترون يا قوم ما الذي أعيش فيه من نعيم وخير، وما هو فيه موسى من الفقر ومشكلة لسانه وعدم إفصاحه، فهو هنا يفتخر بملكه، وما تمكن له من نعيم الدنيا وما هو إلا استدراجا من الله، فظن أن ما فيه من خير قد حصل عليه بحوله ويده هو، وأن موسى عليه السلام لم يستطع الوصول إلى ما وصفه من نعيم وخيرات، فنسبه ووصفه بسبب ذلك بالمهانة يحتج على ذلك جهالة القوم بأن موسى لو كان على حق فيما جاء به من العبر والآيات وليس ذلك بالسحر لاستطاع أن يكسب نفسه النعمة والملك، وقهو قد مثل لذلك اغترار بإملائه إياه وجهالة منه بالله^(٢).

وبالرغم من هذه المقارنة العلنية والصريحة إلا أن الله اجتنب موسى عليه السلام نبيا وروسلا، وآتاه من المعجزات ما يدل عليه عظمته سبحانه، وجعل الله عز وجل فناء فرعون على يديه.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. الأدب والتواضع مع من يدعو إلى الدين ويتحلى بأخلاقه.

٢. عدم التكبر والتعالي على الخلق.

٣. الإقرار بضعف الإنسان وحاجته مهما أوتي من ملك.

٤. ضرب القصة والمثل للتعاضد وأخذ العبرة.

٥. أهمية القصة وعرض نتائجها وعبرها.

٦. المحاكمة العقلية ووزن الأمور بميزانها.

١. أبو عمر الداني، المكتفي، ص: ١٩١. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص: ٦٤٤. عبد الله راجي المطيري، الوقف والابتداء وأثرهما في التفسير والأحكام، ص: ٢٧٦

٢. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ٢١ / ٦١٨

الآية الثانية عشرة: من سورة الحديد:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]

الوقف على قوله تعالى {رأفة ورحمة} مبني على المعنى والتفسير.

وذلك أن قوله تعالى {ورهبانية ابتدعوها} ليس داخلا في الذي جعله الله تعالى في قلوبهم هم الذين ابتدعوها. فالوقف على {ورحمة} كاف عند يعقوب ونافع وتام عند نصير، وقتادة قد قال (الرأفة والرحمة من الله وهم ابتدعوا الرهبانية) فعلى هذا نصب قوله {ورهبانية} على الاشتغال أي ابتدعوها رهبانية ابتدعوها فالنصب له فعل مقدر يفسره ما بعده وليس منصوبا بالعطف على {ورحمة} (١).

ولهذا وصف الوقف على الرهبانية بأنه تام.

نرى صورتان رائعتان توضحان لنا الصفات التي جعلها الله عز وجل فيمن يتبع دينه ونهجه، وصورة أخرى تبين لنا الشطط الذي قد يميل إليه ويبتدعه الإنسان في دينه، فالرحمة والرأفة هاتان من الله، والرهبانية إنما هي بدعة من صنع البشر أنفسهم، وهي لم تُفرض أو تكتب عليهم، وبالرغم من أنهم يريدون بذلك ابتغاء رضا الله، إلا أنهم لم يراعوها حق رعايتها، ذكر لنا أنهم رفضوا النساء، واتخذوا الصوامع، وفي حديثنا عن التربية النبوية المطهرة وواقعية الدين الإسلامي وتناوله جوانب الحياة بتوازن واعتدال دون ميل لجانب على آخر، ذكرنا مثالا يوافق ما جاءت به الآية الكريمة ألا وهو قصة الرهط الثلاث وتزاحمهم في فعل الطاعات، فذكر كل واحد منهم العبادة التي اختارها لنفسه ورأى أنه قادر على القيام بها تاركا بذلك أهم صفة يتمتع بها ألا وأنه بشر بحاجة إلى العبادة والاحتياجات الإنسانية بشكل متوازن سليم، ليخرج عليهم النبي عليه السلام ويذكر لهم حق الإنسان في المعيشة الطبيعية بما يتوافق مع العبادة، وينبهم إلى أن من يرغب ويرفض هذا النمط من السنة فليس على الصواب وعلى طريق هديه عليه الصلاة والسلام، ففي الآية خواص رائعة من خواص التربية الإسلامية ألا وهي الواقعية والإنسانية والتوازن، فالدين جاء لأجل الإنسان وصلاحه، ولا يعقل أن يحتم عليه ما فوق طاقته، أو ما يعارض فطرته، فيؤدي هذا التعارض إلى الخلل وعدم الاتزان ويخرج به عن الغاية التي أراد الوصول إليها من أدائه لتلك الطاعات.

وهذا أسلوب عظيم من أساليب القرآن التي تبعث على التحلي بصفات ذكرها الله لمن اتبع دينه ورضوانه مع المحافظة على الواقعية وعدم الغلو في التدين، فذكر الرأفة والرحمة فالرأفة هي أشد الرحمة، وكأنه

١. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص: ٧٢١. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ٢١٣

بذلك يدعوننا لأن نتجمل بها فيما بيننا وعلى الأشد على ضعافنا من أطفال وشيوخ ونساء، وعلى كل ما حولنا من حيوانات وطبيعة وبيئة، ثم دعانا إلى عدم الغلو في الدين رغم أن المؤمن قد تكون نيته فيه إنما ابتغاء رضا الله عليه خالصا مخلصا له، فبالرغم من صفاء هذه النية وجمال هدفها وغايتها إلا أن الغلو يدعو إلى الميل فيحيد عن الغاية التي ابتدئها لأجلها.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. أهمية القصص القرآني والوقف على العبر التي فيها.
٢. الحث على صفة الرأفة والرحمة، وضرورة التحلي بها.
٣. الواقعية وعدم الشطط والغلو في العبادة والدين.
٤. التوازن والقصد والاعتدال في العبادات.
٥. التحلي بالصفات التي ذكرها القرآن مادحا فيها أصحابها.

الآية الثالثة عشرة: من سورة الإسراء:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ [الإسراء: ٢٣]

الآية قانون عظيم ودستور للمعاملة الحسنة والسلوك القويم للفرد في عائلته ومع أمه وأبيه.

الشاهد في هذه الآية الوقف على {وبالوالدين إحسانا} فهو كاف والتمام {وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا} ^(١).

فالتزام في الوقف على هذه الآية يرشدنا إلى أسلوب رائع وسلوك قويم في التعامل مع والدينا، مدرجا لنا أشد حالتهم ضعفا، وهما في سن كبيرة، وكذلك يرشدنا إلى احترامهما أشد الاحترام والتزام الأدب في الحديث معهما، وعدم رفع الصوت والتأفف أمامهما، واختيار أحسن وأفضل الكلمات معهما.

فهما عندما يكبران ويصبحان عاجزان، وكانا كلاً على ابنهما حيث لا كافل لهما سواه، وهما عنده في بيته وتحت كنفه، وهذا أكثر في المشقة والاحتمال والصبر، ويقدر يتولى منهما ما قد كانا يتوليانه من ولدهما وهو في حال الطفولة، فهو هنا مأمور باستعمال الخلق المتواضع الحسن والجانب اللين والاحتمال الشديد

١. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ١٢١. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتاف، ص: ٣٧٥.

لحالهما، فلا يصدر منه القول إن ضجر أو استقذر منها أو استقثل من مؤنهما: أف، فضلا عن الذي قد يزيد عليه من القول والكلام.

ولقد بالغ ربنا في توصيته بالوالدين حيث افتتح الكلام بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ونظمهما في سبيل القضاء بالوالدين معا، ثم ضيق الأمر في الاعتناء والمراعاة لهما فهو لم يرخص أدنى الكلام الذي قد ينفلت من الذي يتضجر عند حدوث ما قد يتضجر، ومع أحوال لا يكاد يستطيع تحمل صبر الإنسان فيها، وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَلَا تَزْجِرُهُمَا عما يصدران ما لا يعجبك. والنهي والنهر والنهم: كلمات مترادفات وَقُلْ لَهُمَا بَدَلًا مِنَ التَّأْفِيفِ وَالنَّهْرِ قَوْلًا حَسَنًا جَمِيلًا، بالشكل الذي يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة^(١).

فما أروع من أسلوب وما أحكمها من طريقة ليلتزم فيها الإنسان أدبه مع من رباها وليتخذها أسلوبا وسلوكا في حياته مقورا ما جاء في القرآن الكريم.

وإننا لنرى أحوال الأسر اليوم وما عليه من اضطراب وتفكك، وما تجده من صعوبات في التفاهم بينها وبين أولادها، حتى أن الأب أو الأم لا يجراً على الكلام مع ولده، خوفا من ردة فعله، أو من تصرفه معه تصرفا لا يلق به كأب ومربي، ونرى العجائز والشيوخ في دار العجزة مهملين متروكين، رغم أحوالهم المادية الجيدة ورغم عوائلهم التي تتمتع بالصحة والعافية، فترى الوالدين في أرذل العمر دون أن يجدا حولهما من يهتم ويعتني بهما ويرى حاجتهما سواء كانت تلك الحاجة مادية وجسدية أو معنوية روحية، فجاءت الآية غاية في الروعة للردع عن هذه الأفعال دون ضرورة وحق والتي قد تكون في بعض الأحيان مبالغة ولا داع لها فدعا إلى التمثل بأعلى الصفات التي يجب على الأولاد التحلي بها في مقابل والديهما.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. الحث على الجماعية وتماسك العائلة الواحدة.
٢. التزام الأدب في التعامل والسلوك مع الوالدين.
٣. تجنب الألفاظ والسلوكيات التي تنافي حرمة الوالدين ومكانتهما.
٤. النصيحة والحض على فعل الخير.
٥. الحض على الصحبة الحسنة والقول الحسن.
٦. الوضوح في المعاملة وحسن التصرف.

١. الزمخشري، الكشاف ٢ / ٦٥٧ و ٦٥٨

٧. أهمية العائلة ومكانتها في الحياة الشخصية والدينية للفرد.

٨. الحرص أشد الحرص على إبراز النموذج الأجمل للحياة الأسرية.

الآية الرابعة عشرة: من سورة إبراهيم:

﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلْنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]

الشاهد هنا قوله {رب إنهن أضللن كثيرا من الناس} كاف، والتمام {فمن تبعني فإنه مني} فإذا كان خبر (إن) مختلفين، لا يستحسن الوقوف على واحد منهما حتى يأتي بالتالي نحو (فريقًا تقتلون) فلا يستحسن الوقوف هنا إلى أن نقول {وتأسرون فريقًا} ومثله {فمن تبعني فإنه مني} لا يستحسن الوقوف عليه إلى قراءة {ومن عصاني فإنك غفور رحيم} (١).

ففي الآية إقرار على إضلال هذا الفريق لكثير من الناس، وأن الأحق بأن يكونوا تابعي هم من آمنوا بي وصدقوا برسالتي، لكنه في ذات الوقف إقرار بسعة مغفرة الله تعالى ورحمة التي وسعت كل شيء.

فالدنيا فتنتهم وغرتهم، فمن تبع طريقي وكان على الملة التي جئت بها حنيفا مسلما فهو بعض مني وذلك لفرط اختصاصه بي وأيضا ملابسته الشديد لي، {وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} فالله سيغفر له عصيانه مما مضى إن ظهر له وأراد الإطاعة، وقيل في معنى من عصاني أي دون الشرك (٢).

فالقرآن الكريم يعلمنا بهذا الأسلوب الصفح والغفران، وألا نحمل في قلوبنا ضغينة، ولا في نفوسنا كشحا، والله عز وجل يغفر الذنوب ويستر العيوب، يعلمنا أن نتحلى بالغفران فيبدأ بنفسه، وهو جل وعلا الذي لا يعجزه شيء، لكن يحب أن يغفر لنا.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. الدعوة إلى الإيمان والهداية دون كلل.

٢. الإقرار بالمعصية وطلب السماح والغفران.

٣. اتخاذ الأساليب والتدابير للدعوة بالقول الحسن والموعظة.

٤. الاعتراف بالخطأ وإيصال الأمر إلى أهله.

١. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص: ٣٥٠

٢. الزمخشري، الكشاف ٢ / ٥٥٨

٥. التذكير بفضل الله سبحانه من الرحمة والغفران.

٦. التحلي بصفات الرحمة والصبر رغم الإيذاء والعصيان.

الآية الخامسة عشرة من سورة الماعون:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۚ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۚ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۚ﴾ [الماعون: ١ - ٧]

الآية دستور عظيم في الردع والجزر عن أقبح ما يتصف به المرء من صفات تعارض الدين الحنيف القويم الذي جاء رحمة للعالمين، وفي الآية وقفان مهمان أولهما عن أكثر الناس ضعفا وحاجة ألا وهو اليتيم وثانيها عن أكثر العبادات التي تبقى حبل الوصال بين العبد وربّه بأمتن حال.

والشاهد هنا الوقف على {ولا يحض على طعام المسكين} فهو تام^(١).

وأما عن الحديث عن المصلين فيتعقبه سبب الويل لهم وهو قوله {عن صلاتهم ساهون} وهو وقف كاف، أي يؤخرونها عن وقتها^(٢).

والذي عليه الأئمة الوقف على {ولا يحض على طعام المسكين} قطع كاف والتمام آخر السورة^(٣).

وما أخوف هذا المقام، وكم هو بالغ في التحذير والتنبيه من الوقوع في المعصية، والتي يجدر بها أن تكون دلالة على ضعف الإيمان واليقين، فقد وصل القول بالويل للمصلين الذين يتساهلون ويسهون في صلاتهم بسبب قلة مبالاتهم لأن تفوت أو يخرج وقتها، ولا يصلون الصلاة كما صلاها الرسول عليه السلام والسلف من بعده، بل ينقرونها دون خشوع وإخلاص وخضوع، ودون اجتناب لما يكره أن يفعل أثناءها من اللعب بالحية أو ترتيب الثياب والعبث بها أو كثرت الالتفات والتثاؤب، فلا يدرك الواحد منهم ماذا فعل ولا ماذا قرأ، وهذه ما تكون عادة من يراءون ويمنعون حقوق أموالهم^(٤).

فالإنسان لا يعي ما تتضمنه شخصيته من أخلاق كالصدق والكذب، ومعاملات كالأمانة والخيانة، ومن النظام والفوضى إلا إن عاش ضمن مجموعة فتحدث مع أفرادها وتعامل معهم بأن ائتمنوه على أي شيء

١. أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء ٢ / ٩٨٨. السجاوندي، علل الوقوف ج ٣، ص ١١٦٦

٢. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ٢٤٠

٣. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص: ٨٢٢

٤. الزمخشري، الكشاف ٣ / ٨٠٤

سواء من أموالهم أو دمائهم أو أعراضهم أو ضرب لهم موعداً، أو قدّم من نفسه عهداً لهم ثم نظر، هل يحدثهم بما يوافق الحقيقة والواقع؟

وهكذا تعد الجماعة حقلاً تجريبياً يطلع المسلم من خلاله على ما في نفسه من كمال أو قصور، ومن قوة أو ضعف، الأمر الذي يسهل عليه أن يعمل-إذا كان جاداً وراغباً في إقامة هذا الدين في نفسه- أن يعمل على تنمية ورعاية جوانب القوة وتكميل جوانب الضعف^(١).

فيشفق على اليتيم ولا يتركه وحده ضمن هذا المجتمع الكبير، ويسعى ويجتهد لمساعدة الضعيف والمساكين فتستقيم نفسه ويرق قلبه، ويخلص العبادة لله وحده، فتخلق هذه المشاعر في نفسه الغيرة والاجتهاد والعمل والسعي وتنعكس على دينه ودنياه.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. تميز الدين الإسلامي بخاصية الإنسانية.
٢. استخدام طريقة السؤال لتحفيز عقل السامع للجواب.
٣. ضرب الأمثلة والصفات عن الشيء المراد تحريره ومعرفته.
٤. تجنب الصفات التي تهز العقيدة والدين.
٥. ضعف الوازع الديني مسبب للخلل الاجتماعي.
٦. ضرورة التكافل الاجتماعي بدءاً من اليتيم والمساكين.
٧. تحمل المسؤولية الفردية تجاه اليتيم والمساكين.
٨. النهي عن إيذاء اليتيم والمساكين قولاً وفعلاً.
٩. النهي عن إهمال اليتيم معنوياً ومادياً.
١٠. ضعف الوازع الديني مسبب لضعف أداء العبادات وإهمالها.
١١. ضعف التضامن الاجتماعي مسبب لاضطراب أداء العبادات.

١. السيد محمد نوح، شخصية المسلم بين الفردية والجماعية، ص: ٢٧

الآية السادسة عشرة: من سورة الذاريات:

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۖ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصَرُونَ ۝﴾ [الذَّارِيَّات: ٢٠ - ٢١]

الشاهد في الآية {وفي أنفسكم} فوقه كاف، ثم قال {أفلا تبصرون} قال أبو جعفر: وهذا القول هو على مذهب أهل اللغة والتأويل لأن في أنفسنا آيات وعبر، والتمام {أفلا تبصرون} (١).

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره، كلما شاهدوا آية عرفوا وجه تأملها، فيزدادون إيماناً مع إيمانهم، وإيقاناً إلى ما هم موقنون له وَفِي أَنفُسِكُمْ أي في أحوال ابتدائها وكذلك تبدلها وانتقالها من حال إلى آخر وفيها في الباطن والظاهر من عجائب الفطر وبدائع الخلق: ما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من أصناف المعاني، وبالألسن، والنطق، ومخارج الحروف، وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها: من الآيات الساطعة والبيئات القاطعة على حكمة المدبر، دع الأسماع والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له (٢).

والحكمة من الآية الكريمة أن القرآن يحرص على عدم التركيز والاعتماد على الفطرة فقط في الاعتراف والتصديق بالخالق، بل هو يحرك النفوس عند الناس لتتشوق للدراسة والبحث وتطلب العلم، فتكون الإشارة هنا إلى ما في السموات من نظام رائع غاية الإحكام، وإلى تعاقب الليل والنهار، وحركة السموات والأرض والكثير من دقائق الكون وما يحتويه من أسرار مما لا يترك للعقل طريقاً ليقول أن هذا النظام البديع قد نشأ عن طريق المصادفة والتوافق، أو أنه أسس عن موجد لا يشمل القدرة والمعرفة وليس واسع الحكمة، بل يجبره بعد البحث إلى أن يجزم بأن قوة مدبره حكيمة تحيط بالأشياء إحاطة تامة، هي التي نظمت الكون، ومن خلال اتباع ما في القرآن من إشارات وكذلك أوامره تجعل من الخير كله للعالم أن يسبح بعقله في هذا الوجود، وأن يتطلب العلم لإدراك كنه السموات والأرض، ويحيط بهذا النظام الباهر، وهذه المعارف إنما هي التي تزيد إيمان المؤمن وتجعل قلبه أكثر اطمئناناً (٣).

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. الحث على طلب العلم، والاستزادة منه.
٢. عدم إهمال العلوم التطبيقية إلى جانب النظرية.
٣. التفكير في آيات الكون وإيجاد المعجزات فيها، بدأ من الأرض التي نعيش فيه والجسم الإنساني.

١. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ٢٠٤. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص: ٦٨٥.

٢. الزمخشري، الكشاف ٤ / ٣٣٩.

٣. سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص: ٢٨٩.

٤. السؤال في العلم والبحث والتحري، بالنظر والتفكر والسؤال.

٥. البحث والعلم في ذات الإنسان وتكوينه جسدا وروحا.

٦. إيقاظ روح المعرفة والاطلاع والبحث عن الجوانب العلمية في ذات الإنسان.

الآية السابعة عشرة من سورة المطففين:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝﴾ [المطففين: ١ - ٣]

الشاهد في الآية الكريمة قوله {يخسرون} والوقف تام في هذه الآية وهو الصحيح عند علماء الوقف^(١). ويكون المعنى: وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يخسرون، فالهاء في موضع نصب فتقول العرب: كلتك ووزنتك وتقول كلت لك ووزنت لك، فتعدي الفعل بنفسه وبحرف الجر كما تقول نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك.

وهذا ونسق الكلام يبين المعنى ويرفع الإشكال فإنه سبحانه قد قال قبل ذلك ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] وهذا مع صحة هذه الاستعمال وشهرة تلك اللغة عند العرب^(٢).

وإننا لنرى في الآية نهى واضح عن البخس في الكيل والميزان وأن نلتزم العدل والإحسان في أعمالنا دنيوية كانت أم أخروية، فتعامل مع الناس بالقسط والإحسان والعدل.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. الابتعاد عما نهى الله عز وجل وزجره وبين سوء فعله.

٢. حفظ الحقوق لأصحابها وعدم الغش وتجاوز الحد بغير الحق.

٣. التزام العدل والقسط في التعامل مع الغير.

٤. المحافظة على التوازن الاجتماعي وحفظ حقوق الناس مهما كانت طبقتهم.

٥. الحث على حسن التعامل والتصرف في المعاملات الدنيوية، قياسا على الكيل والوزن.

٦. الحرص على عدم الغش وأكل الحقوق، وعدم تحقير أبسطها.

١. أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء ٢ / ٩٧٠. المكتفى، ص: ٢٣١. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص: ٧٩٥

٢. عبد الله راجي المطيري، الوقف والابتداء وأثرهما في التفسير والأحكام، ص: ٢٩٣

٧. أهمية المعاملات الدنيوية وترابطها الوثيق مع إيمان الفرد وانعكاسها عنه.

الآية الثامنة عشرة: من سورة القصص:

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩]

الوقف في هذه الآية على {قرت عين لي ولك} وهذا تام عند ابن قتيبة ومحمد بن عيسى وأحمد بن جعفر وقيل أن التمام على قوله {ولا تقتلوه} كما هو قول الأخفش، وهذان الوقفان صحيحان.

وهناك وقف آخر غريب قد أنكره الأئمة وهو وقف روي عن ابن عباس رضي الله عنه فقد روى الفراء وابن الأنباري والداني من طريق محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إنها قالت {قرت عين لي ولك لا} ثم أعقب بقوله {تقتلوه}، وعلى هذا المعنى يكون الوقف على {قرت عين لي ولك لا} فيقف على {لا} وبعدها يبدأ {تقتلوه}

وهذا الرواية تسقط عن طريقة الرواية والدراية وفيها ثلاث علل قوية كلها وتحتم سقوطها وهي:

١. ضعفها الشديد وهي أضعف الطرق عن ابن عباس وسميت بسلسلة الكذب.

٢. مخالفتها للأصح منها بدرجات كثيرة كما رواها الطبري (والصحيح عن ابن عباس أنه قال قالت قرّت عين لي ولك فقال فرعون أما لك فنعم وأما لي فلا فكان كما قال)

٣. أن المعنى لا يستقيم وهو لحن.

٤. لم يعول الأئمة على هذه الرواية ولم يلتفتوا إلى الوقف فيها بهذا الشكل ولم يرووه ومخالفته ما هو ظاهر وشدة التكلف واضحة فيه^(١).

والشاهد من حيث التفسير {قرّة عين} أنها خبر لمبتدأ محذوف ولا يمكن أن تجعله مبتدأ و{لا تقتلوه} خبر، ولو كان على النصف لكان أقوى، وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه دلالة على أنه خبر، فقد قرأ: لا تقتلوه قرّة عين لي ولك، بتقديم لا تقتلوه.

فلربما يجري لنا النفع فيه وقد توسمت فيه علامات اليمين ودلائل الفائدة لأهله، وذلك لما رأت من النور وارتضاع الإبهام وشفاء البرصاء، ولعلها عاينت في سيماها ما يؤذن بكونه نافعا^(٢).

١. عبد الله راجي المطيري، الوقف والابتداء في القرآن وأثرها في التفسير والأحكام، ص: ٢٥٦

٢. الزمخشري، الكشاف ٣ / ٣٩٥. علي بن أحمد النيسابوري، التفسير البسيط ١٧ / ٣٣٨

وفي الآية حكمة بالغة وعظيمة في أن الإنسان مهما جرت به الأحوال والأحوال فقد يقدر الله له ولقومه الخير فيها، فما على المؤمن الحق إلا أن يتوسم في إرادة الله الخير، فروية الطفل الرضيع وهو في المهد كانت إشارة أن الله عز وجل إن أراد الخير جعل له إشارات ودلائل تدل عليه، رغم وقوعه في التهلكة والخطر، ورغم أن تربية وتنشئته قد تكون في أشد البيوت عداوة لله، والمثال هنا بيت فرعون وقومه، وفيه إشارة إلى أن الإنسان في أضعف أحواله قد يهياً الله له الفرصة والمخرج مما كان فيه، فما عليه إلا أن يسلم الأمر لله ويتوكل في أنه المنجي والرامي.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. النصيحة حتى للكافر فلعل في الاستجابة صلاح له ولقومه.
٢. البحث في صفات الأنبياء وما حملوه من خير لأمتهم.
٣. النهي عن القتل وسفك الدماء بدون حق.
٤. التمتع بالنظرة المستقبلية حيث قد يكون النفع فيها.
٥. التسليم بقضاء الله مع الأخذ بالأسباب.
٦. أهمية القصص القرآني وما يحمله من آيات وعبر تنطبق على كل عصر وجيل.
٧. ضرورة التحلي بالرفقة والرحمة مع الأطفال والصغار.
٨. دعوة الحاكم الظالم إلى الحق ونصحه وإرشاده.

الآية التاسعة عشرة: من سورة القصص:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]

الشاهد هنا في موضعين هامين، فقد اختلف في الوقف على قوله {ويختار} وقيل على {الخيرة} وذلك مبني على معنى ما.

قال ابن النحاس: أكثر أصحاب التمام وأهل التفسير والقراء أن الوقف التام في الآية {ويختار}، ثم ذكر جماعة منهم، وهذا القول اختيار الإمام الداني رحمه الله وتكون {ما} جحدا (نافية).

وقيل إن الوقف على {الخيرة} ومن قال هذا جعل {ما} موصولة بمعنى الذي ويكون المعنى ويختار الذي لهم فيه الخير مما يتعبدونهم به ويدعوهم إليه، وتكون {ما} منصوبة بـ{ويختار} وهذا اختيار الإمام الطبري وجماعته.

ولسبب نزولها علاقة بالمعنى قال الواحدي رحمه الله تعالى: (قال المفسرون هذه الآية قد نزلت للجواب على المشركين عندما قالوا {لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم} وقيل في سبب نزولها غير ذلك).

ومعناها ويختار من يشاء لنبوته ورسالته أي فيبعث من يشاء وكما أن الخلق إليه فيخلق ما يشاء فكذلك الاختيار إليه في جميع الأشياء فيختار مما خلق ما يشاء ومن يشاء ثم نفى الاختيار عن المشركين فقال: {ما كان لهم الخيرة} أي الاختيار.

وكلا القولين له وجه من جهة المعنى ظاهر، فالقول الأول: بالوقف على {ويختار} وجعل ما نافية له وجه ظاهر وهو صحيح من جهة اللفظ والمعنى.

والقول الثاني: بالوصل والوقف على: {الخيرة} وجعل {يختار} عاملة في {ما} قول قوي لا يمنع منه مانع. والأرجح القول الأول الذي ذهب إليه أكثر المفسرين والقراء لأنه فيما يظهر أقرب القولين وأوضحهما فإن جعل {ما} نافية هنا أقرب للفهم لأنه هو المتبادر إلى الذهن وأسهل في التقدير.

وأيضاً فمن لا يقول بالوقف على {ويختار} فيهم جماعة من أئمة أهل السنة ولا يلزم من قولهم بذلك أنهم يخالفون في هذه المسألة لأنهم يقولون بغير ذلك من الأدلة ولأن في أول الآية دلالة على مسألة الاختيار^(١). وفي هذه الآية ربانية عظيمة تتجلى في اختياره جل وعلا للرسول وأن فيها من صلاح الأمة والأقوام من بعده ما فيها، فخير الله عز وجل لها حكم وآيات تتجلى وتظهر كلما مرّ الزمن وكلما تعمق فيها أهل الإيمان والطاعة، وأن ليس للإنسان فيما اختاره الله له من رأي بعده، فالله عالم حاكم، بلغ علمه كل شيء.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. الإيمان المطلق والتسليم بما أَرَادَهُ اللهُ لَنَا.

٢. الإيمان بالرسول وصفاتهم، وأن في إرسالهم صلاح لأقوامهم.

٣. الحث على التحري والعلم في أسباب اختيار الله عز وجل لرسوله وأنبيائه.

٤. التواضع لله عز وجل، والتسليم المطلق لاختياراته لعباده في الدين والدنيا.

٥. البحث والتحري في صفات الرسل والأنبياء.

١. عبد الله راجي المطيري، الوقف والابتداء في القرآن وأثرهما في التفسير والأحكام، ص: ٢٦١. علي بن أحمد النيسابوري، التفسير البسيط ١٧ / ٤٣٨. الزمخشري، الكشاف ٣ / ٤٢٧.

٦. التحلي بصفات الرسل والأنبياء الذين اختارهم الله للدعوة لرسالته.

الآية العشرون: من سورة الإنسان:

﴿وَجَزَلْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۖ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۖ﴾ [الإنسان: ١٢ - ١٣]

الشاهد هنا {متكئين} فهي حال مفعول: {جزاهم} والوقف على {الأرائك} جائز لأن الذي بعده يمكن أن يكون حالا بعد حال، أي متكئين غير رائين، ويمكن مستأنفاً، لأنهم لا يرون في حال الاتكاء، ولا غيره، وهو أجوز^(١).

وتلك جملة في حكم المفرد ويكون تقديره: غير رائين فيها شمساً ولا زمهريراً، ودانية عليهم ظلالها، فالواو دخلت للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم، وذلك كأنه قيل: وجزاهم الجنة يجمعون فيها بين البعد عن الحرّ والقرّ ودنوّ الظلال عليهم.

وقرئ: ودانية، بحركة الرفع، على أن ظلالها مبتدأ، ودانية خبر، والجملة في موضع الحال، والمعنى: لا يرون في الجنة شمساً ولا زمهريراً، والحال أن الظلال دانية عليهم، ويمكن أن تجعل مُتَّكِنِينَ وَلَا يَرَوْنَ ودانيةً هذه الكلمات كلها صفات لجنة^(٢).

والوقف هنا يبين لنا هذه الأحوال وكأنه يجعلنا نعيشها ونستشعرها، فيوقظ في دواخلنا الشوق للدنو والاقتراب منها، وعيش هذه الحال بكل تفاصيلها، فيخلق فينا حب العمل والسعي الخالص لوجه الله، فيخلص العبد نتيه، ويزداد تشوقه لجنان الخلد، وما فيها من نعم وآيات، جزاء بما كان عليه خال المؤمن في الدنيا، ورأس الآية يحثنا على صفة من صفة المؤمنين الأتقياء المخلصين، ألا وهي الصبر، الصبر على كل ما تحملوه في سبيل الدين، والصبر على الشهوات، والصبر في أداء العبادات، وإننا لنعرف ما في الصبر من حكم وما في الصبر من مشقات وصعوبات، فكان الجزاء أعظم مقابل هذه الصفة.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. جزاء الصبر والإيمان في الآخرة وما يتبعه من أحوال تسر وتسعد قلب المؤمن.
٢. أهمية التحلي بالصبر في حياة المسلم لما لهذه الصفة من حكم وفوائد تنعكس على حياة الشخص الدينية والدنيوية.

٣. الثبات على المبدأ من أهم الأمور التي يجب على المسلم الوقوف عليه لينال حسن الثواب.

١. السجاوندي، علل الوقوف، ٣ / ١٠٧٢

٢. الزمخشري، الكشاف ٤ / ٦٧١

٤. تصوير مشاهد النعيم الذي يكون عليه حال المسلم في الآخرة مما يشجعه على المزيد من الأعمال والطاعات.

٥. تشويق المؤمن لأحوال الحياة الآخرة.

الآية الواحدة والعشرون: من سورة النبأ:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ۚ﴾ [النَّبَأ: ١-٢]

الوقف في الآية كاف والتمام الآية الثانية وهو ما عليه أكثر الأئمة، قال أبو حاتم {عم يتساءلون} كاف قال ثم قال جل ثناؤه {عن النبأ العظيم} (١).

قال أبو جعفر: أن الذي قاله أبو حاتم هو قول الأكثر من النحويين البصريين، ويم يقل هنا تقديرا والتقدير على هذا يكون عندهم على إضمار فعل أي: يتساءلون عن النبأ العظيم.

وللكوفيين رأي آخر يكون الكلام متصل لديهم والوقف {عم يتساءلون عن النبأ العظيم} أي لا وشيء يتساءلون عن النبأ العظيم ثم قال جل وعز {الذي هم فيه مختلفون} أي هذا الذي فيه مختلفون، قال محمد بن عيسى: تم كلامه عز وجل والوقف عند نصير {كلا} قال رد أي كلا لا اختلاف فيه، وقال أبو حاتم: ليس قوله جل وعز {كلا} ها هنا بتمام والوقف على قول الضحاك {كلا سيعلمون} لأنه قال: كلا سيعلمون الكافرون، {ثم كلا سيعلمون} المؤمنون والتمام عند غيره {ثم كلا سيعلمون} (٢).

وأما دلالة الوقف هنا على المعنى، فالاستفهام دلالة على تفخيم الأمر وتعظيمه، حتى جاء في كلام الذي لا تخفى عليه خافية فهم يتساءلون بسؤال بعضهم بعضا، أو يتساءلون غيرهم من الرسول والمؤمنين.

والضمير لأهل مكة: كانوا يتساءلون فيما بين بعضهم البعض عن البعث، وأيضا يتساءلون غيرهم عنه من طريق الاستهزاء عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ وفي هذا بيان للشأن المراد تفخيمه، ألا وهو السؤال عن هذا اليوم الجلل العظيم.

وإن كان الضمير في يتساءلون للكفار، فما دلالة {هُم فِيهِ مُخْتَلِفُونَ}؟ يكون أنه كان فيهم من يقطع الكلام بإنكاره للبعث، ومنهم الذي يشكك في ذلك، وقيل: الضمير للمسلمين والكافرين على السواء، وكانوا جميعا يسألون عن هذا الخير العظيم، أما المسلم فليزداد خشية وجهوزية، وأما الكافر فكي يزداد استهزاء (٣).

١. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ٢٢٩. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص: ٧٨٠.

٢. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف ٧٨٠. السجاوندي، علل الوقوف، ٣ / ١٠٨٠.

٣. الزمخشري، الكشاف ٤ / ٦٨٤.

والسؤال والاستجواب لهو أسلوب عظيم من أساليب القرآن الكريم يحمل الكثير من الأساليب التربوية في ثناياه، فالله عز وجل رد على سؤالهم بسؤال، وأتبعه الجواب، فهو جل وعلا أولا يدعوهم لطرح هذه السؤال على أنفسهم، وإعمال فكرهم وعقلهم فيه، والبحث في دواخلهم عن جواب كاف شاف عليه، كيف لا والسؤال أصلا عظيم، ألا وهو السؤال عن يوم البعث والنشور، فإن كان سؤال السائل لمعرفة الجواب أصلا فقد تحركت في داخله الدوافع للبحث عن الجواب الحق عليه، وأما إن كان السؤال للاستهزاء والسخرية فحسب، فيأتي الجواب بما يبين أن المسؤول عنهم هو أعظم وأبلغ من أن يسأل عنه بهذه الطريقة، مما يترك هذا الأثر العميق في النفس لمحاسبتها عن سؤال أمر خطير كهذا بهذه الطريق، فيحث وإن كان غير راغب في المعرفة على تتبع آثار الجواب وإرواء الحاجة التي اشتعلت في داخله لمعرفة هذا النبأ العظيم.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. الأدب عند السؤال واختيار الزمان والمكان والحال المناسب له.
٢. عدم التعسف عدم السؤال، فعلى السائل أن يعرف أهمية ما يسأل عنه.
٣. اختيار الألفاظ بما يناسب الأمر الذي يسأل عنه، وعدم الاستهانة بالسؤال سواء أكان بالنسبة للسائل شيئا عظيما أم لا.
٤. أسلوب الإخبار والإتيان بالسؤال لتحريك دوافع البحث عن الأمر الذي يسأل عنه.
٥. شد انتباه السامع لمعرفة ما سيأتي بعد السؤال.
٦. الحث على العلم والتحري، وترك الغيبيات لما جاءت به الشريعة المطهرة.
٧. اختيار صيغة تناسب السؤال مما يبين علو شأنه وخطير أمره.

الآية الثانية والعشرون: من سورة النازعات:

﴿وَالْتَرَعَتِ غَرْقًا ۖ وَالتَّشِيطِ لَ نَشْطًا ۖ وَالسَّيْحَتِ سَبْحًا ۖ فَالْسَّيْفَتِ سَبَقًا ۖ فَالْمُدَبِّرَتِ أَمْرًا ۖ﴾ [النازعات: ١-٥]

الشاهد في هذه الآيات، وما يوافقها من آيات أخرى في القرآن تبدأ بالقسم هو الوقوف عند نهاية القسم، وذلك بعد سرد ما أقسم به، والخلاف فيها كما الخلاف في غيرها من السور، والأرجح قول الأئمة بالوقوف عند نهاية القسم.

ويمكن تبين الآراء كالتالي:

١. ومن قال في إن جواب القسم {إن في ذلك لعبرة لمن يخشى} التمام عنده ها هنا.

٢. ومن قال إن التقدير لديه {فإذا هم بالساهرة والنازعات} فالتمام عند {بالساهرة} وهذا الكلام ذكره أبو حاتم وهو على بعده يعتبر خطأ من وجهتين أولهما إنه يبتدىء بالفاء وهذا غير جائز عند أحد من النحويين، والأخرى أن بداية السورة واو القسم وطريق القسم في النحو إذا بدء به لا يلغي وأن يكون له جواب عليه وهذا يعد أصل من أصول النحو.

٣. قول آخر يكون جوابه {يوم ترجف الراجفة} والتقدير ليوم ترجف الراجفة فيه فحذفت اللام لأن الحديث قد طال فبناء على هذا الجواب يكون تمامها {أبصارها خاشعة} لأن معناه يقولون في الدنيا فهو منقطع من قبله^(١).

٤. ومن قال بأن الجواب محذوف لأنه قد علم المعنى قال الوقف {فالمدبرات أمرا} والتقدير هنا لتبعثن ولتحاسبن وهذا مذهب الإمام الفراء، فاكتمى بقوله {إذا كنا عظاماً نخرة} من الجواب، وذلك كأنهم يقولون، لما قيل لتبعثن، هل نبعث في حال كنا عظاماً نخرة، ولا وقف إلى قوله {أمرا} لأن جواب القسم محذوف بعده، والتقدير: أقسم بهذه الأشياء لتبعثن، والوقف عليه لازم، لأنه لو وصل كان {يوم} ظرفاً للمدبرات، وقد انتهى تدبير الملائكة في ذلك اليوم، بل عامل {يوم} هو {تتبعها}^(٢).

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

يقاس على هذه الآيات مثلها في سورة الفجر والعصر وغيرها من السور التي تبدأ بالقسم، والشاهد هنا لغوي وتربوي معاً:

١. أهمية تعلم اللغة العربية، ومعرفة تفاصيل اختلافات النحويين واللغويين في بعض مواضعها.
٢. أهمية القسم في شد الانتباه وإيقاظ فكر وعقل السامع لما سيأتي بعده.
٣. جذب السامع إلى ما يقسم به، وتعظيم أمره، وإيقاظ روح البحث والتحري في ذاته ليعرف معاني المقسم به وأهميتها والأسباب التي استدعت لأن يقسم بها في القرآن الكريم.
٤. تهيئة السامع لما سيأتي من كلام بعد القسم، فيكون على أعلى جهوزية وفي تمام التركيز والرغبة في الاستيعاب.

١. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص: ٧٨٧

٢. المصدر السابق. أبو عمر الداني، المكثف، ص: ٢٣٠. السجاوندي، علل الوقوف، ٣ / ١٠٨٧

الآية الثالثة والعشرون: من سورة عبس:

﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۚ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ ۝١٨ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۚ ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ۚ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۚ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۚ﴾ [عبس: ١٧ - ٢٢]

الشاهد هنا قوله عز وجل {قتل الإنسان ما أكفره} قطع كاف.

قال مجاهد في معنى قتل هنا أنها لعن، أما في معنى ما أكفره فهناك قولان للفراء أولها أنه تعجب والمعنى الآخر أن المعنى ما الذي أكفره {من أي شيء خلقه} وهو هنا قطع كاف.

ثم وضع جل وعز ذلك الأمر فقال {من نطفة خلقه فقدره} أي من النطفة إلى العلقة إلى الذي بعده ذكرًا أو أنثى شقيا أو سعيدا وأعقب عليه {ثم السبيل يسره} قطع صالح قيل هو كقوله {إنا هديناه السبيل} أي طريق الخير والشر^(١).

فقوله عز وجل هنا {قُتِلَ الْإِنْسَانُ} دعاء على الإنسان في الحقيقة، وهذه من أشد الدعوات، لأن القتل هو أقصى شذائد الدنيا ومن فظائعها، ومن ثم جاء بعدها بالتعجب بقوله {مَا أَكْفَرَهُ}، وذلك بسبب إفراطه في الكفر بنعمة الله.

فهذا أسلوب غاية في الشدة يبين عز وجل الإنسان ودرجة كفرانه لما هو فيه من خير عظيم، فأخذ في بيان وصف حاله تلك اعتبارا من بدء حدوثه، إلى الانتهاء وما هو مغمور في هذه الحال بأصول النعم وما يتفرع عنها، وما هو غامر فيه رأسه من الكفر وقلة الالتفات إلى ما يعيش فيه ويتقلب في نعيمه وإلى ما يجب عليه من القيام بالشكر^(٢).

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. ربانيته عز وجل وتفرد في الخلق، وخلق الإنسان في أحسن تقويم وأبلغ نعمة.
٢. شمولية خلقه عز وجل للإنسان كيف ما كان وأينما كان ونعمه جل وعلا عليه في أدق مراحل نموه.
٣. اللغة العربية وبلاغتها في تبين الأمر عظيم من خلال الدعاء بما هو أشد ما يكون من أحوال الإنسان.

١. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص: ٧٩٠. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ٢٣٠

٢. الزمخشري، الكشاف ٤ / ٧٠٣

٤. ضرورة تعلم اللغة العربية وآدابها وبلاغتها، لتبين تسلسل الكلام وترتيبه وتدرجه، بما يكون أبلغ في شد السامع، وأكثر تأثيراً في نفسه.

٥. الحث على تعلم وتبين مراحل نمو الإنسان منذ كونه نطفة إلى رجلاً سوياً وما في ذلك من آيات في العلم وحكم بالغة ونعم عظيمة من فضل الله على البشر.

٦. التواضع ومعرفة الإنسان قدره ومكانته في هذا العالم الفسيح وعدم التكبر.

الآية الرابعة والعشرون: من سورة التكويد:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ١٤﴾ [التكويد: ١ - ١٤]

الشاهد في الآية الوقف التام عند الانتهاء من سرد أحوال يوم القيامة وما يكون فيه من أهوال، فجواب {إذا} {علمت نفس} ولا تمام دونه عند أكثر الأئمة، وهو تام، ورؤوس الآي بين ذلك كافية^(١).

وقال أبو حاتم أن في هذه الآيات ليس فيها دون ذلك تمام تام وأيضاً ليس فيها كاف والتمام بعده عنده {مطاع ثم أمين} وفي الرواية عن نافع {مطاع} تم، وقال أبو جعفر أن هذا لا معنى له وبالتالي لا وجه له كذلك وذلك لأن أمين نعت للذي قبله فلا يتم الكلام ولا يكفي إلى أن يأتي بالنعته وأيضاً فمن القبيح أن يبتدأ، أما القطع على رؤوس الآيات إلى {فأين تذهبون} فهو قطع تام^(٢).

الآية تصوير بليغ عن أحوال وأهوال ذلك اليوم، وتصوير بديع عن حال الكون وتقلبه في تلك الشدة، وكأنه يسرد أماناً تلك الأهوال، كحوادث نراها ونسمعها ونشاهدها في مخيلتنا ليتمثل لنا ذلك اليوم، وما عليه حال الكون من تغيرات وشدائد، فيضع السامع والقارئ في كل آية في موقف وحده وفي صورة وكأنها حقيقة أمامه يراها ويعيها ويسلم أمره الله فيها، باعثة فيه الشعور بالرضا بأمر الله والخضوع له، مع القيام بأوامره ونواهيه على أتم وجه، لتكون خاتمته ونتيجته حسنة، فهو أعلم بما أحضر وعمل وقدم بين يديه.

الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. الإيمان بالبعث والخلود مما لا شك في وقوعه وحدوثه.

١. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ٢٣١. السجاوندي، علل الوقوف، ٣ / ١٠٨٩

٢. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص: ٧٩٢

٢. تصوّر أحوال وأهوال يوم البعث وما يكون عليه حال الكون فيها.
٣. ضرورة الوقوف عند كل مشهد ومعرفة الحكم التربوية والأخلاقية والصور العلمية فيه.
٤. تجنب المعاصي وما تجره إليه من مآل وجحيم.
٥. الحث على أن يخلص الإنسان العمل ويظهر قلبه مما فيه ويجهز نفسه ما استطاع لذلك اليوم.
٦. أهمية معرفة المبادئ الأساسية في حياة الإنسان المنتهية بالجزاء والعقاب.

الآية الخامسة والعشرون: من سورة العصر:

﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾ [العصر: ١ - ٣]

الشاهد في هذه الآية عدم الوقف إلى آخرها وهو ما عليه الأئمة. فلا وقف في هذه الآية إلى آخرها لأن {الذين آمنوا} تستثنى من الأول، ومعنى قوله {إن الإنسان} إن الناس، ولذلك يجوز الاستثناء لأنه لا يستثنى الأكثر من الأقل^(١). أقسم الله جل وعلا بصلاة العصر لفضلها ولأن التكليف في أداء هذه الصلاة هو أكثر مشقة وذلك لانشغال الناس في يومهم وتجارتهما وما يكسبونه آخر اليوم، ومشغوليتهم بمعيشتهم، والإنسان: للجنس، وكما ذكر أن المتفق عليه معنى الناس، أي الناس في خسارة من هذه التجارة إلا الصالحين فقط، لأنهم اشتروا الحياة الآخرة بما في الدنيا، فربحوا ونالوا السعادة، وأما غيرهم فقد تاجروا غير تجارتهم، فوقعوا في الخسارة والشقاء، {وتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} وهو الأمر الثابت الذي ليس من الممكن إنكاره، وهو الخير كله: من الإقرار بتوحيد الله وإطاعته، واتباع كتبه والرسال الذين بعث إلينا، والزهد في هذه الدنيا، والرغبة في الحياة الآخرة {وتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} عن فعل المعاصي وعلى أداء الطاعات، وعلى ما يبتلّي الله به عباده^(٢). الدروس التربوية والسلوكية المستفادة من الوقف والابتداء في الآية:

١. أهمية التعمق في علوم اللغة ومعاني التفسير لما أقسم الله عز وجل به في القرآن، وذلك لبيان فضله وتعظيمه وبيان فضله.
٢. بيان صفات المؤمنين الحق وما يجب أن يكونوا عليه ويجتمعوا من أجله.
٣. أهمية التواصي بالحق بين الأخوة في الإسلام وأنها سبيل الفلاح والنجاح.

١. أبو عمر الداني، المكتفى، ص: ٢٣٩. السجاوندي، علل الوقوف، ٣ / ١١٥٦. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، القطع والانتشاف، ص: ٨١٨

٢. الزمخشري، الكشاف ٤ / ٧٩٤

٤. أهمية الصبر كصفة لا بد منها في شخصية المرء المسلم، بدءاً من الصبر على ترك المعاصي ومروراً بالصبر في الدعوة لدين الله الحق وانتهاء بالصبر في أداء العبادات والطاعات.
٥. ضرورة تحلي المسلم بالصبر في حياته الدينية والدنيوية، مع نفسه ومع الآخرين، لما للصبر من محاسن وعواقب حميدة.



الخاتمة:

الحمد لله الذي تمت بفضل الصالحات، وفي النهاية يمكن التنويه إلى أهم النتائج التي توصلت إليها، من خلاله وبالتحري في كتب التربية والقراءات والتفسير والحديث.

ووجدت أن الدين الإسلامي كما هو في كل زمان ومكان، وحدة مترابطة متماسكة قوية، ولا تكاد تخلو آية من آيات القرآن العظيم أو حديث من أحاديث النبي وأفعاله من حكمة بالغة للإنسان سواء في دينه ودنياه. وأن العلوم الحديثة مهما تطورت وجرى عليها من تغييرات وأحداث، لا تعد شيئاً يذكر أمام عظمة ما جاء بها ديننا الحنيف منذ بدء الدعوة والرسالة.

فرأينا حرصه أشد الحرص على الفرد والجماعة سواء بصورة فردية أو صورة مركبة، وأن الأساس المنطوي عليه استمرار صلاح وهناء الفرد يتمثل في الجماعة والعكس.

وكان التكامل والانسجام العالي في خصائص التربية الإسلامية بدءاً من كونه ربانياً إلى مثاليته وواقعيته دون اختلال، وإنسانيته وشموليته وإيجابيته المنعكس على حياة المجتمعات.

ووجدنا حث مبادئ التربية على العلم والتعلم بدءاً من الأطفال إلى النساء، مستعرضين أهم الصفات التي يجب أن تتوافر في المعلم والمتعلم على حد سواء.

ولابد بعد كل هذه الأمور من قيم تحيط بها ومن أخلاق تجملها وتحميها وتصل بها إلى أسمى الغاية، مستعرضة فيما بعد أساليب التربية اللفظية، من حوار وسؤال، وترغيب وترهيب، وثناء وتشجيع، ومن ثم العملية من ضرب مثل، واغتنام للفرص، والقصاص.

وأخيراً بإلقاء الضوء على الوقف والابتداء رأينا ترابط كل ما ورد بمواطن الوقف والابتداء في القرآن، سواء أكان وقفاً توقيفياً، أو مبنيًا على المعنى والتفسير.

أهم النتائج:

ويمكن تنفيذ نتائج البحث كالتالي:

١. الاندماج الوثيق بين التربية والتعليم والسلوك في الدين الإسلامي، فكل مصطلح من هذه المصطلحات مرتبط بالآخر، والنتائج المنبثقة منه معكوسة من الكل.

٢. الحاجة الماسة إلى العقيدة الدينية وأهميتها في بناء البنية الأساسية للفرد والمجتمع.

٣. أهداف التربية الإسلامية تبدأ من الفرد منذ تكوينه الأول لتعم الكون وتشمل كل ما فيه من مخلوقات.

٤. أهمية الطبيعة الإنسانية في الإسلام والاهتمام بكل جوانبها المعنوية والمادية.

٥. ضرورة تعلم الجوانب الأساسية للتربية في القرآن الكريم بدءاً من الخصائص والمبادئ والقيم والأساليب.

٦. ارتباط علم الوقف والابتداء بالتربية والسلوك وتوجيه الإنسان من خلال أبرز الوقوف التي وردت عن الأئمة.

٧. خصائص التربية في الإسلام تبدأ بالربانية وتنتهي بالعالمية متدرجة ضمنها أهم الخصائص التي تميزها عن غيرها.

٨. أهمية العلم والتعليم والتدرج فيه وضرورة الارتباط الوثيق بين المعلم والمتعلم وتحليهما بأسمى الصفات التي يدعو إليها الدين الحنيف.

٩. البعد الوظيفي للتربية في الإسلام من خلال طرق وأساليب التعليم ومبادئه ودلالاته التربوية.

١٠. تميّز الدين الإسلامي بأساليب تربوية خاصة ومتنوعة تناسب وتخطب كل الشرائح وفي كل الأحوال والأزمنة.

١١. مرونة الإسلام وصلاحيته للتماشي مع تطورات الحياة وفي كل مجالاتها، متجاوزة بذلك بعد الزمان والمكان.

١٢. خلو العقيدة الإسلامية من الغموض والتعقيد وتقديمها أعلى النماذج والصور للحياة العملية.

١٣. التوازن الكلي بين الجانب التعبدى والجانب المعيشي لحياة الإنسان.

١٤. السعي الدؤوب في الدين الإسلامي لتكوين أعلى مثل وأفضل صورة للمجتمع المتكامل.

١٥. تفرّد الدين الإسلامي في التربية وكل ما اندرجت عنه، واندماجها في حياة المجتمعات مع المحافظة على ثباتها.

وفي نهاية هذا العمل أسأل الله القبول وأن يكون ما قدمته خالصاً له، وأسأله جل وعلا أن يكون هذا العمل خطوة متواضعة يكتب لها القبول في عكس علوم القرآن والقراءات ومنها علم الوقف والابتداء على العلوم التربوية التي تميزت بوجودها وتأصلها منذ نزول أول آية في القرآن الكريم، سائلة المولى عز وجل أن يكون خطوة تتبعها خطوات وعمل يتبعه أعمال في سبيل الدين والعلم، فإن أصبت فمن توفيقه وإحسانه وفضله وكرمه، وإن أخطأ فمن نفسي ومن الشيطان.

والحمد لله، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

المصادر والمراجع:

- أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١) **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: عادل مرشد وشعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥ هـ)، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق سوريا، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- أحمد بن محمد الحملوي (ت: ١٣٥١ هـ) تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، **شذا العرف في فن الصرف**، مكتبة الرشد الرياض السعودية.
- أحمد حسن الزيات باشا (ت: ١٣٨٨)، **مجلة الرسالة**، العدد ٢٣٢، معنى التربية وضرورتها وقدرتها.
- أحمد الجابري، **آداب التربية في تراث الآل والأصحاب**، نماذج تعامل الآل والأصحاب مع صغارهم، الطبعة الأولى، مبرة الآل والأصحاب، الكويت ١٤٣٧ - ٢٠١٦ م.
- أحمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي، (ت: ١١٠٠)، **منار الهدى في بيان الوقف والابتداء**، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث القاهرة مصر، ٢٠٠٨ م.
- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨) **التفسير البسيط**، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى ١٤٣٠ هـ.
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، **الجامع الصحيح (صحيح مسلم)**، تحقيق: محمد ذهبي أفندي - إسماعيل بن الحافظ الطرابلسي - أحمد رفعت بن عثمان حلمي القره حصارى - محمد عزت بن عثمان الزعفرانبوليوي - أبو نعمة حسن شكري بن حسن الأبقري، دار الطباعة العامة تركيا، ١٣٢٤ هـ.
- أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، **القطع والانتاف**، تحقيق: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ودار اليمامة دمشق سوريا، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ت ١٨٠ هـ، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، **العين**، دار ومكتبة الهلال.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي محمد بن السلامة، **تفسير ابن كثير**، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، **الصاح تاج اللغة وصحاح العربية**، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- أبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي (ت: ٥٦٠)، **علل الوقوف**، تحقيق: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، الجزء الأول، مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

- أسماء حسن فهمي، مبادئ التربية في الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة مصر ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.
- إسحاق بن عبد الله السعدي، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المُستشرقين منه، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤ هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تفسير الجلالين ص ٢٤٦، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة.
- جهاد أخوة ومروءة بيه، غريب الوقف الهبطي في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، جامعة الشهيد خمه الخضر الوادي، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩م.
- الحسن بن أحمد وكاك، تقييد وقف القرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٩٩١م ١٤١١هـ.
- خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، الأعلام (ت: ١٣٦٩)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.
- سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض السعودية.
- سعيد إسماعيل علي، القرآن الكريم رؤية تربوية، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، مدينة نصر القاهرة مصر ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- سعيد إعراب، القراء والقراءات في المغرب، رفع: عبد الرحمن النجدي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ١٩٩٠، ١٤١٠هـ.
- السيد محمد نوح، شخصية المسلم بين الفردية والجماعية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثالثة، المنصور مصر، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.
- شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشف)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الخوخ، القسم الدراسي: جميل بني عطا، الناشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، (ت: ٨٨٣)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: محمد علي الصباغ، المطبعة التجارية الكبرى.
- عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الطبعة الثانية، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس ١٩٩٣.
- عبد الرحمن نحلاوي، أسس التربية الإسلامية وطرق تدريسها، دار الفكر، دمشق سوريا.
- عبد الرحمن نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ) الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.

عبد الفتاح المرصفي (ت: ١٤٠٩هـ)، هداية القاري في تجويد كلام الباري، الطبعة الثانية، مكتبة طيبة المدينة المنورة.

عبد الله علي الميموني، فضل علم الوقف والابتداء والوقوف على رؤوس الآيات، دار القاسم للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

عبد الله راجي المطيري، الوقف والابتداء وأثرهما في التفسير والأحكام، قسم الكتاب والسنة، كلية أصول الدعوة والدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ.

عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمر الداني، (ت: ٤٤٤هـ) المكتفى في الوقف والابتداء، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الطبعة الأولى، دار عمار، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

عزت شحاته كرار محمد، الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار القاهرة مصر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، التعريفات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣.

كافي الكفاة صاحب إسماعيل بن عباد (ت: ٣٢٦ - ٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، المحيط في اللغة، ط: الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عالم الكتب، بيروت لبنان.

مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ) القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة، بيروت لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

ماجد عرسان الكيلاني الأردني، أهداف التربية الإسلامية، الطبعة الأولى، دار القلم.

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مصر.

محمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠) تفسير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، وقوف القرآن الكريم عند الإمام السجاوندي، عرض ودراسة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

محمد بن مكرم بن عي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الزويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، الحواشي، ليازجي ومجموعة من اللغويين، الطبعة الثالثة، دار صادر بيروت لبنان ١٤١٤هـ.

محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، إصدار وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ١٣٨٥-١٤٢٢هـ - ١٩٦٥-٢٠٠١م.

محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف ومعه الانتصاف ومشاه الإنصاف والكافي، الانتصاف من الكشاف لأحمد المعروف بابن المنير الإسكندري، والكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، وحاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي (ت: ١٣٥٥هـ).

- محمد عطية الأبرشي، التربية في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر، دار الشروق، القاهرة مصر ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- محمد قطب، دروس تربوية من القرآن الكريم، الطبعة الثانية، دار الشروق، مدينة نصر القاهرة، مصر، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- محمد منير مرسى، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، دار المعارف، طبعة منقحة ١٩٨٧ م.
- نصر الدين بن محمد بلقاسم الجزائري، أساليب تربوية في ضوء السنة النبوية من خلال الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- نايف القرشي، التربية الجماعية في الإسلام، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢ هـ.
- هاشم علي الأهدل، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، دار التربية والتراث، ١٤٢١ هـ.
- يونس علي يونس، مقدمة في الوقف والابتداء مصطلحاته وعلاقاته بالنحو، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد الرابع ١٣٨٦ هـ - ٢٠١١ م.

السيرة الذاتية:

زينب صاي، تخرجت من جامعة دمشق، كلية الشريعة في سنة ٢٠٠٧، وحصلت على إجازة القرآن الكريم في ذات العام.

تعمل كمدرسة للغة العربية لغير الناطقين بها في مركز تعليم اللغات أكاديمية إسطنبول في تركيا إسطنبول منطقة الفاتح منذ عام ٢٠١١ وحتى الآن.

ÖZGEÇMİŞ

Zeynep SAY, 2007 yılında Şam Üniversitesi İlahiyat Fakültesinden mezun oldu ve aynı yılda Kuran-ı Kerim icazeti aldı.

2011 yılında Akdemistanbul Yurt Dışı Eğitim Danışmanlık Hizmetleri'nde yabancılara Arapça eğitimi vermeye başladı ve devam etmektedir.





**T.C.
YALOVA ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ**

**TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ BİLİM DALI (ARAPÇA)**

**KUR'AN-I KERİM'DE VAKIF VE İBTİDA'NIN EĞİTİMSEL VE DAVRANIŞSAL
YÖNLERİ**

YÜKSEK LİSANS TEZİ

ZEYNEP SAY

TEZ DANIŞMANI: PROF. DR. MUSTAFA ATİLLA AKDEMİR

**YALOVA
MAYIS-2024**